

إصدارات مكتبة الجوادين العامة

مؤسسة السيد هبة الدين الشهرستاني

- ٨ -

نهضة الحسين (ع)

الجزء الأول

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني 1

دراسة وتحقيق

محمد إِيَاد جواد هبة الدين

الطبعة الثانية عشر (مزيدة ومنقحة ومحقة)

مؤسسة هبة الدين الشهرستاني (1)

للطباعة والنشر

٢٠١٦م

١٤٣٧هـ

هوية الكتاب

رقم التصنيف: ٩٥٣.٠٤٢

المؤلف: الشهرستاني، هبة الدين الحسيني ش ٩٤٥

عنوان الكتاب: نهضة الحسين

المحقق: محمد أياد جواد هبة الدين الحسيني

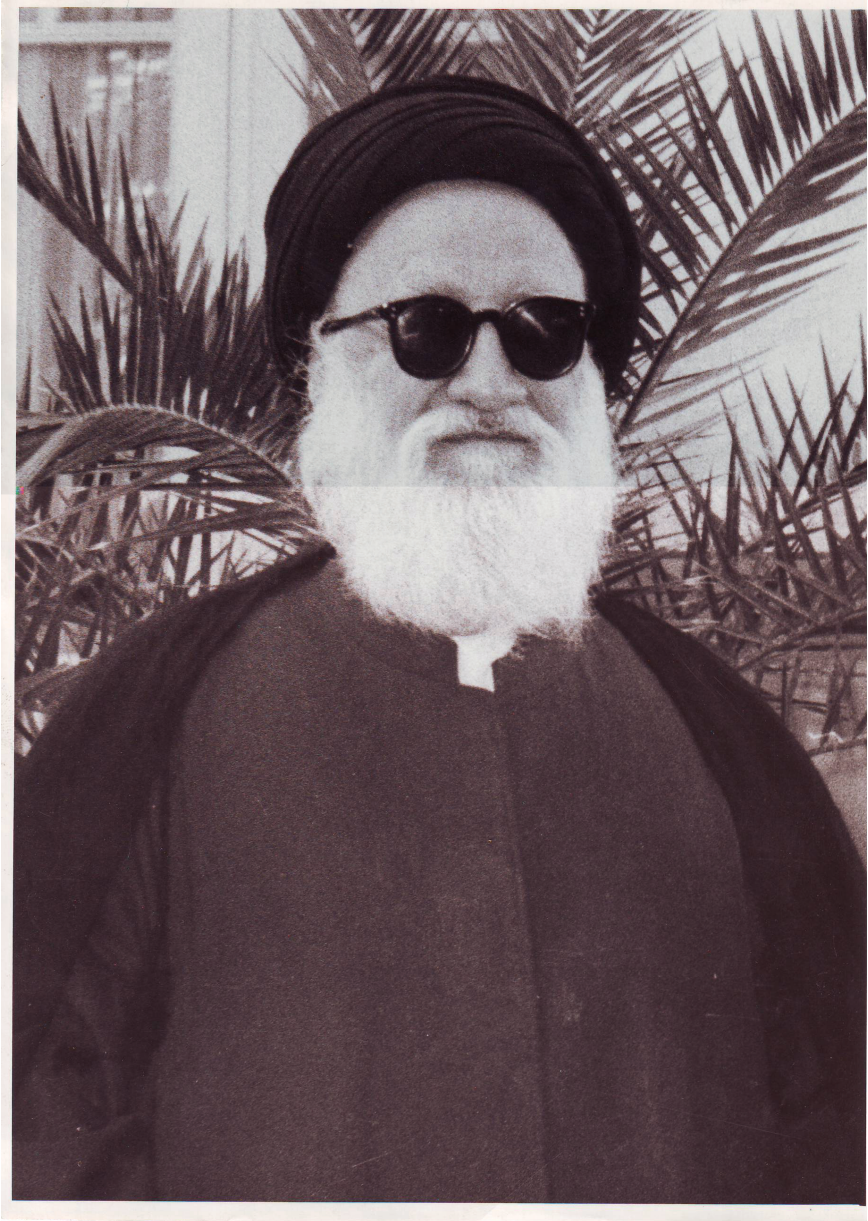
الناشر: الكاظمية - مؤسسة هبة الدين الشهرستاني (1)

الطبعة الحادية عشر: محرم ١٤٣٥ هـ

المطبعة:

عدد النسخ: ١٠٠٠

رؤوس الموضوعات: تاريخ إسلامي - العصر الأموي - نهضة الحسين



السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني



الباب الأول

نهضة الحسين (ع)

الجزء الأول

تأليف

السيد هبة الدين الحسيني

الشهرستاني 1

دراسة وتحقيق

محمد إِيَاد جواد هبة الدين

النهضة الحسينية

النهضة^(١): قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامة كالحركة التي قام بها الحسين بن علي^(٢)8. وحقيقة النهضة سيالة في الأشخاص والأمم وفي الأزمنة والأمكنة، ولكن بتبدل أشكال واختلاف غايات

(١) نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضًا : أي قام ،وانتهض القوم وتناهضوا أي نهضوا للقتال.(لسان العرب ج ٧ :ص ٢٤٥ مادة نهض)[المحقق]

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب 3أمه فاطمة الزهراء 3 بنت محمد المصطفى 9من زوجته الكبرى خديجة أم المؤمنين 3 وهو أحد السبطين الريحانتين وخامس أهل الكساء، ولد في المدينة عام الخندق في السنة الرابعة للهجرة في خامس شعبان الموافق شهر كانون لسنة ٦٢٦م، وعاش مع جده النبي 9ست سنوات وشهوراً وبقي معه أخيه الحسن أعواماً وشهوراً وكان مجموع عمره ستة وخمسين عاماً، وكانت شهادته بعد الظهر من يوم الجمعة عاشر محرم الحرام سنة ٦١هـ الموافق سنة ٦٨٠م بحاير الطف من كربلاء في العراق. واشترك في قتله شمر بن ذي الجوشن وسان بن أنس وخولي بن يزيد من قواد جيش عمر بن سعد الذي أرسله والي الكوفة عبيد الله بن زياد بأمر من أمير الشام يزيد بن معاوية ليحصروا الحسين 7ورجاله ويقتلوه وهم عطاشى. فقتلوه ورجالهم ونهبوا وسبوا عياله مسافرين إلى الكوفة ثم إلى الشام فالمدينة. وإن اشتهار فضائل الحسين 7 والآثار المروية فيه ومنه وعنه في كتب الحديث والتاريخ ليغني عن التوسع في ترجمته الشريفة. المؤلف

(١) وكأنما أراد المؤلف أن يشير إلى بعض النهضات التي حدثت ومشابهاة لقضية الإمام الحسين ،فقصة إبراهيم تتحدث عن موقفه من طاغية عصره (نمرود) وهو يتقدم إلى المحرقة ولا يهتم إلى هول النار،للمزيد ينظر:مهذب محمد عثمان،مواقف إيمانية من قصة الخليل إبراهيم:ص١٥ ؛ عبد الله بن علي محمد أبو سيف،الخليل إبراهيم7في الكتاب والسنة(رسالة ماجستير/ جامعة ام القرى):ص١٠٥ [المحقق]

(٢)هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

كان في الجاهلية بياع الزيت والأدم،ذميم الخلقة،هو من كبار قريش حتى قامت به قيامة قريش على الهاشميين قبيل الهجرة فترأس في المحالفة القرشية وأخذ على عاتقه مناوأة الإسلام ومقاتلة المسلمين.وله في عام الهجرة نحو سبع وخمسين سنة. ولم تقصر عنه أخته أم جميل العوراء في إيذاء رسول الله 9 وسعيها بالنميمة والفساد بين بني هاشم والقبائل،إذ كانت تحت أبي لهب والمقصود من آية «وامراته حمالة الحطب... الخ» ولم يبرح يثير الأقوام ويشكّل الأحزاب ضدّ رسول الله 9 كما في بدر الكبرى ويدر الصغرى وفي أحد والأحزاب وفي وقايحه الأخرى. ولم يهدأ ساعة عن معاداة النبي 9 في السر والعلانية وبإثارة النفوس والجيوش ضده ، ويجاهد المسلمين جهده إلى يوم فتح مكة حيث أسلم مع بقية قريش،وأول مشاهد بني سفيان مع المسلمين كان في غزوة حنين فمنحه المصطفى 9مائة بعير من غنائم الحرب منوهاً به وبمكانته. ثم اشترك أبو سفيان يوم الطائف فأصابته نبله في احد عينيه ففقت واستعمل جابياً، ثم اشترك في واقعة اليرموك في السنة الثالثة عشر للهجرة = = على

للمزيد عن حياة صخر بن حرب ينظر: خالد احمد صالح الدليمي، أبو سفيان صخر بن حرب سيرته وأثره السياسي في مكة (رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ابن الرشيد):ص ٥ [المحقق]

(١) يزيد بن معاوية أمه ميسون الكلابية ولد سنة خمس وعشرين فسماه أبوه باسم أخيه، وكان بديناً، مجدراً، رفيع الصوت، على أنفه قرحة، شديد السمرة، ولعاً بلعب النرد والصيد بالفهد، شغوفاً بمعاقرة الخمر والفجور بأنواعها، متجاهراً بالفسق حتى في سفر الحج. وفي مدينة الرسول 9 أخذ معاوية له بيعة الخلافة في حياته ثم استقرت له بعد وفاته في رجب سنة ٦٠ هـ ومات بذات الرئة في منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين عن ثلاثة عشر ولداً أكبرهم معاوية بن يزيد . المؤلف

(٢) إنّ مشاهير الفضلاء يومئذ في الأمة الإسلامية . كسيدنا الحسين 7 وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله ابن عمر. وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر . أنكروا على معاوية استخلافه ليزيد الخمر والفجور، وقد توجس يزيد من مخالفة هؤلاء الوجوه خيفة أن يكون الرأي العام في جانبهم، واهتم في اضطهاد هؤلاء وإرغامهم، =

خلافة يزيد وخلاف الحسين(ع) له

خلافة النبي 9 نيابة عنه في الولاية على الأمة في جميع شؤونها، أو جميع شؤونه إلاّ الوحي، فهي أخت النبوة وشريكها في البيعة والعهد والرئاسة العامة، وسمي المتولي لهذا العهد «إماماً»^(١) يجب الاقتداء بأفعاله والاهتداء

(١) أم القوم أي تقدمهم، والإمام كلّ من أتمّ به قوم سواء أكانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين، والحادي: إمام الإبل، لأنه الهادي لها (ابن منظور) (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ، مادة أمم، ج ١٢/ص ٢٢)، وقد سمي الإمام إماماً لأنه = قدوة للناس منصوب من قبل الله تعالى مفترض الطاعة على العباد (مجمع البحرين ج ١/١٠٠)، فالإمامة: وهي منزلة قيادة البشرية، والإمام يسعى إلى تطبيق أحكام الله عملياً عن طريق إقامة حكومة إلهية واستلام مقاليد الأمور اللازمة ... بعبارة أخرى، مهمة الإمام تنفيذ الأوامر الإلهية، (تفسير الأمثل، الشيرازي، ج ١، ص ٣٧١)، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة في القرآن والسنة النبوية الدالة عن الإمامة والتي حددها القرآن الكريم بنوعين هما إمامة شرعية وإمامة غير شرعية، بينما وردت كلمة (إمام، وإماماً، وإمامهم، وأئمة) في القرآن اثنتي عشرة مرة جميعها تنطبق على المعنى اللغوي لكلمة الإمامة، فعشرة آيات تدل على الإمامة الشرعية، خمسة منها تكشف عن معنى الكتاب والمرجع والمصلح والهادي والرمز كما مبين في قوله تعالى:

١. وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً - هود : ١٧

٢. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ - الحجر : ٧٩

٣. يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ - الإسراء : ٧١

٤. وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ - يس : ١٢

٥. وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً - الأحقاف : ١٢

بينما الآيات الخمسة الثانية تكشف عن معنى المثل الأعلى، القدوة الحسنة، القيادة الراشدة والمرجعية الموثوقة، أو بتعبير أدق تعني الزعامة أو الوجاهة المؤمنة المرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى

٦. وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا - الفرقان : ٧٤ =

= ٧. قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ - البقرة : ١٢٤

٨. وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ... - الأنبياء : ٧٣

٩. وَنَجْعَلُهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ - القصص : ٥

١٠. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ... - السجدة : ٢٤

أما الآيتين الأخيرتين تمثل الإمامة غير الشرعية، فتبين وتكشف عن المرجعية الضالة والقيادة الفاسدة وقدوة السوء التي تجر من يتبعها إلى دار البوار كما في قوله تعالى:

١١. فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ - التوبة : ١٢

ولقد ثار المهاجرون والأنصار ومسلمو مصر والأمصار على عثمان بن عفان حتى كان ما كان من أمره وأمر مروان، كل ذلك إنكاراً منهم لأحداث تخالف الكتاب والسنة، ولقد كان الأحرى بالجمهور وأولياء الأمور: أن يعتبروا بهذا الحادث ويأخذوا دروساً من الحوادث فلا يُؤمّروا إلا من ائتمنوه على الدين لكي يسير فيهم على الهدى والصلاح، لكن ابن هند وعصبته المستخفة بالحق . لم يتبعوا سبيل المؤمنين يوم ملكوا رقاب المسلمين وأخضعوا أمام قوتهم حتى المهاجرين. هذا ولم يحس من الحسين بعد الحسن 8 موجة خلاف أو رغبة الخلافة، بل أقام مسيرته الهادئة برهاناً ساطعاً على زهده

١٢. وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ - القصص: ١٤، للمزيد عن الإمامة ينظر: احمد حسين يعقوب، الوجيز في الإمامة والولاية، بيروت: الغدير للطباعة، ١٩٩٧م، ص ١٣ [المحقق]

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤ [المحقق]

وبالرغم من صبر الحسين 7 واحتسابه مدّة أربعين عاماً من إمارة معاوية مرّت حوادث مُرّة ضاق عنها صدر ابن علي الرحب وأوغرت صدر يزيد من الجهة الأخرى أخص بالذكر منها حدثين بارزين استثار الواحد منهما حنق يزيد وكل ما في حفايظه من ضغائن، وهو ما سنقصّه عليك من أمر أرينب بنت إسحاق سيدة الجمال^(١)، كما استثار الحدث الثاني من حسين الفتوة كل شهامة ومروءة، وحول وقوة، وذلك اهتمام ابن هند لاستخلاف ولده يزيد إماماً

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٠. المؤلف

ارينب بنت إسحاق: من أعرق الحجازيات نسبا وشرفاً، وأكثرهن مالا وجملا حتى أصبحت مثلاً في أهل زمانها فكانت أجمل نساء عصرها وقصتها مشهورة تناولتها اوثق المصادر التاريخية والأدبية (ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة ، تحقيق: علي شيري، قم: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ، ج ١، ص ٢١٧-٢٢٣)

[المحقق]

تذاكر معاوية يوماً مع الناس في بيعة يزيد والأحنف بن قيس^(١) جالس لا يتكلم فقال: مالك لا تقول يا أبا بحر؟ قال: أخافك إن صدقت وأخاف الله إن كذبت^(٢).

(١) الأحنف بن قيس (٦٧هـ): هو ابن معاوية بن حُصين، الأمير الكبير، العالم النبيل، أبو بحر التميمي، اسمه الضحّاك، وقيل: صخر، أدرك النبي 9 وأسلم، ولم يجتمع به، شهد بعض الفتوحات منها قاسان والتميرة، وكان من جَلّة التابعين وأكابرهم، وكان سيّد قومه، وأحد من يُضربُ بحلمه وسؤدده المثل، شهد مع الإمام عليّ 7 وقعة صفين، وكان من قوَاد جيشه فيها، كان من أصحاب عليّ ومن أصحاب الحسن 8، (ابن عبد البر ٦٣هـ)، الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، ج ١: =

= ص ١٤٤؛ عباس القمي (١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، طهران: مكتبة الصدر ج ٢: ص ١٢؛ أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، طه (طبعة منقحة ومزودة)، [د.م.]: نشر الثقافة الإسلامية، ج ٣: ص ١٦٦] [المحقق]

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد (٣٢٨هـ) ج ٤، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص ١١١ [المحقق]

وعن الحسن البصري أنه قال: «أفسد أمر هذه الأمة اثنان: عمرو بن العاص في التحكيم والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولاً. فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال أمر كنت أوطؤه وأهيئه. قال: ما هو: قال البيعة ليزيد من بعدك. قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى عملك فلما خرج قال له أصحابه: ما ورائك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرزغي لا يزال فيه إلى

(١) هو زياد بن أبي سفيان (٥٣هـ): ويقال له زياد بن ابيه وتارة زياد بن سمية، وقبل الإستلحاق زياد بن عبيد الثقفي، وأمه سمية جارية الحارث ابن كعدة، اختلف في وقت مولده فقيل: ولد عام الهجرة، وقيل قبل الهجرة، وقيل يوم بدر، يكنى أبا المغيرة، كان والياً على البصرة في عهد علي بن أبي طالب 7، توفي بالكوفة في رمضان سنة ثلاث وخمسين (الاستيعاب ج ٢: ص ٥٢٣؛ معجم رجال الحديث، ج ٨: ص ٣٢١) [المحقق]

(٢) العقد الفريد. المؤلف

(العقد الفريد، كتاب المسجد الثانية، باب طلب معاوية لبيعة يزيد: ج ٥، ص ١١٧؛ احمد بن اعثم الكوفي (٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ، ج ٤: هامش (٣) ص ٣٣٢) [المحقق]

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الأدباء، بيروت: معنوق إخوان
(د.ت)، ص ٢٢٤ [المحقق]

(٢) المعارضين الأربعة لبيعة يزيد هم: الحسين بن علي 7 وعبد الله بن عمر وعبد الله
بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر (محمد بن جرير الطبري) (٣١٠هـ)، تاريخ الطبري
ط ٤، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣ م، ج ٤، ص ٢٣٨ [المحقق]

أهلية الحسين (عليه السلام) للخلافة

ربّما اتّخذوا استجابة الحسين لدعوة الكوفة وإرساله ابن عمه إليها لأخذ العهد منها دليلاً على أنّه رشّح نفسه للخلافة، غير أنّ ذلك لا ينافي خطته وتلبيته لدعوة 7 الدفاعية ولا يوجد نحوه مغمّزاً، حيث اجتمعت ل نهضة الحسين الكوفة أسباب أربعة لو تعلّق كل رجل من المسلمين بواحد من تلكم الأسباب لأصبحت مقاومة يزيد عليه حتماً وإلزاماً:

أولاً . أهلية يزيد للمخالفة وعدم أهليته للخلافة. فقد امتلأت بطون التواريخ عن سوء سيرته وسريرته: من شرب الخمر، وصيده بالنمر، وخلاعه في فجوره (١). حتى بالمحارم

(١) أن المتتبع للتاريخ الإسلامي وتحديداً لسيرة يزيد بن معاوية، لا يستبعد من دون

القرود والفهود

الإمامة

والسياسة ج ١: ص ١٦٣] [المحقق]

ثم إنّه لم ينل عهد ملكه بوصاية أو وراثة ممّن استحقها من قبل، فقد ابتز أبوه الإمارة بالمكر والغدر، وأخذ البيعة له بالعنف والقهر، وبتهديد ألسنة الأسنة والحراب، دون أدنى حرية للمسلمين في الشورى والانتخاب، فكان الواجب على الأمة خلع هذا الخليع الغاصب، وفيما صح عن رسول الله 9 قوله^(١): «سيد الشهداء عمي حمزة، ورجل قام في وجه إمام جائر يأمره وينهاه ثم قتله» وقد تم هذا التنبؤ في عمل الحسين 7 قبل غيره. ثانياً . علم ابن النبي 9 من نفسه ومن آثار جدّه وأبيه وأخيه: أنّه إمام المسلمين دون سواه^(٢)، ورشحته السنة المتجاهرين بالحق، وصدّقته البقية

(١) صححه الحاكم والطبراني عن جابر و (علي). المؤلف

(الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ١٩٩؛ المعجم الأوسط، الطبراني ج ٤، [د.م]: دار الحرمين للطباعة، ١٩٩٥، ص ٢٣٨) [المحقق]

(٢) لقد نصت السنة النبوية صراحة وعلى لسان نبينا الأعظم محمد 9 من خلال الكثير

ص ٧٦ وقد صحّ في الحديث أنّه قال لهما : ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال للحسن : إنّ ابني هذا سيّد . وكذلك جاء في الكتاب ذاته ج ٢ : ٢٥٩ قال النبيّ لأُمير المؤمنين علي : أكتب ما أُملي عليك . قال : يا نبيّ الله وتخاف عليّ النسيان؟ فقال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله عزّ وجلّ لك أن يحفظك ولا

(١) عن أم سلمة قالت : كان الحسن والحسين 8 يلعبان بين يدي النبي 9 في بيتي فنزل جبريل 7 فقال : يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأوماً بيده إلى الحسين ، فبكى رسول الله 9 وضمه إلى صدره ، ثم قال رسول الله 9: وديعة عندك هذه التربة ، فشمها رسول الله 9 وقال : ريح كرب وبلاء . قالت وقال رسول الله 9 : يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوما تحولين دما ليوم عظيم.

وعن علي بن أبي طالب : أنه مر بكربلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها ف قيل كربلاء . فقال : كرب وبلاء ، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم

مشيناها خطي كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خطي مشاها^(١)

(١) هذا البيت الشعري هو جزء من قصيدة جميلة ومشهورة، مجهولة الناظم تداولها

عجبت لمن يقيم بدار ذل .. وأرض الله واسعة فضاها

فذاك من الرجال قليل عقل .. بليد ليس يدري ما طحاها

فنفسك فز بها إن خفت ضيما .. وخلي الدار تنعى من بناها

فإنك واجد أرضا بأرض .. ونفسك لا تجد نفسا سواها

مشيناها خطي كُتبت علينا .. ومن كُتبت عليه خطي مشاها

ومن كانت منيته بأرض .. فليس يموت في أرض سواها

،نُسِبَت لأكثر من شاعر ولكن القول الأنسب هو لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس (٦٦٤هـ)، قم: انوار الهدى، ١٤١٧، ص ٢٣
[المحقق]

الحسين (ع) رمز الحق والفضيلة

لا عجب إن عدّت نهضة الحسين (ع) المثل الأعلى بين أخواتها في التاريخ وحازت شهرة وأهميّة عظيمتين، فإنّ الناهض بها الحسين (ع) رمز الحق ومثال الفضيلة، وشأن الحق أن يستمر، وشأن الفضيلة أن تشتهر. وقد طبع

ولا بدع فقد ثبت في أبيهم عن جدهم عن النبي 9 «عليّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(١)، فكان علي لا يراوغ أعداءه ولا يداهن رقباءه ، وهو على جانب عظيم من العلم والمقدرة وتاريخه كتاريخ بنيه يشهد على ذلك، فشعور التضحية . ذلك الشعور الشريف . كان في علي وبنيه ومن غرائزهم ولاسيما في الحسين بن علي 7 وما في الآباء ترثه الأبناء. وقد تقادى علي لرسول الله 9 بنفسه كرات عديدة، كذلك الحسين 7 تقادى لدين الرسول 9 وأُمته، إذ قام بعملية أوضحت أسرار بني أُمّية ومكائدهم وسوء نواياهم في نبي الإسلام ودينه ونواميسه.

وفي قضية الحسين 7 حجج بالغة برهنت على أنّهم يقصدون التشقي منه والانتقام، وأخذهم ثارات بدر وأحقادها. وقد أعلن بذلك يزيدهم طغياناً . وهو

(١) استدلل الرازي في تفسيره بهذا الحديث وثبوته المتواتر على الجهر بالبسملة المؤلف

فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، تحقيق: دار إحياء التراث العربي، ط ٤ (طبعة جديدة مصححة وملونة)، بيروت: الدار، ٢٠٠١م، ج ١ (الحجة الخامسة)، ص ١٨٠ [المحقق]

(١) بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء المهملتين: كنية شاعر الحزب السفيناني . المؤلف .

هو عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي القرشي السهمي (١٥هـ)، أمه عاتكة بنت

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

= ودم جماعة آخرين من المشركين الأشرار فهرب إلى نجران، ثم بعدها عاد إلى مكة

إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَصْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ

(احمد بن يحيى بن جابر (البلاذري) (٢٧٩هـ)، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله،

[المحقق]

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
وأضاف عليها^(١):

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف^(٢) إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

الحركات الإصلاحية والضرورية

(١) أصل قصيدة (ليت أشياخي ببدر شهدوا) لعبد الله بن الزبير الذي القاها في معركة احد، ولكن يزيد بن معاوية تمثل ببيتين من هذه القصيدة عند دخول الرأس الشريف ووضع بين يديه وهو ينكت ثنايا الحسين 7 بقضيب من الخيزران فأضاف هذين البيتين وأنشدها في غاية الفرح والنشوة، وهذا ما يدل على كفره وبغضه لآل محمد:، وقد اختلف الكثير من المؤرخين حول هذه الأبيات، فبعضهم نسب جميعها ليزيد وبعضهم من نسبها لابن الزبير، إلا إن المصادر التاريخية أثبتت إن البيتين ليزيد وهذا ما أكدته مؤلف الكتاب العلامة الشهرستاني (قدس سره)، وللمزيد عن البيتين ينظر: ناسخ التواريخ، ميرزا محمد تقوي سبهر ج ٣، تحقيق: سيد علي جمال اشرف، قم: مدين، ٢٠٠٧، ص ٨٤ [المحقق]

(٢) خندف: لقب أم مدركة بن إلياس بن مضر جد قريش المؤلف .

أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (٢٨٤ هـ)، قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٥ هـ، ج ٢، ص ١١٩؛ الطبري ج ٢، ص ٢٤ [المحقق]

إذا كان نجاح الأمة على يد القائد لزامها، وإصلاحها يتوقف على صلاح إمامها فمن أسوء الخيانات والجنايات ترشيح غير الأكفاء لرياستها ورياسة أعمالها. وسيان في الميزان أن ترضى بقتل أمّتك أو ترضى برياسة من لا أهلية لها عليها، وأية أمة اتخذت فأجرها إماماً، وخونتها حكاماً، وجهالها أعلاماً، وجبناءها أجناداً وقواداً فسرعان ما تنقرض ولا بد أن تنقرض هذا خطر محقق بكل أمة لو لم يتداركه ناهضون مصلحون وعلماء مخلصون وألسنة حق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيضربون المعتدي على يده، أو يوقفونه عند حدّه.

وبتشريع هذا العلاج درأ نبي الإسلام عن أمّته هذا الخطر الوبيل، ففرض على الجميع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد تهديده المعتدين وضمانه للنهاضين وصح عنه 9 «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١) ذلك لكي لا يسود على أمّته من لا يصلح لها فيفسد أمرها وتذهب مساعي الرسول ومن معه أدراج الرياح، وقد كان هذا الشعور الشريف حياً في نفوس المسلمين حتى عصر سيدنا الحسن السبط 7

(١) البخاري، صحيح البخاري، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م، ج ١، ص ٢١٥ [المحقق]

وناهيك أنّ أبا حفص خطب يوماً فقال: «إن زغت فقوّموني» فقام أحد الحاضرين يهز في وجهه السيف ويقول: «إن لم تستقم قومناك بالسيف»^(١). غير أنّ امتداد السلطان لمعاوية بن أبي سفيان، وإحداثه البدع، وإماتته السنن وإبادته الأبرار^(٢)، والأحرار بالسيف والسمّ والنار^(٣)، وغشّه الأفكار وبثّه الأموال في وجوه الأمة أخرست الألسن، وأغمدت السيوف، وكمت الأفواه،

(١) علي الصعيدي العدوي المالكي (١٠٨٩هـ)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص ١٥٣ [المحقق]

(٢) من سنة ٤٠هـ إلى سنة ٦٠هـ بعدما استعمل على العراق المغيرة بن شعبة وزيد بن سمية لاستيصال شأفة الحزب العلوي وقتل صلحاء الصحابة والتابعين كحجر بن عدي وأصحابه سرا وجها وغدراً وغيلة أودفناً في التراب حيا وشق بطونهم وسمل عيونهم عدا من قتلوا حرباً أو صلباً أو نفّيهم وقطع أرزاقهم أو التعرض بأعراضهم، كل ذلك ليحملوا الأمة بكل وسيلة على سب أبي تراب والترحم على عثمان وتسويغ المظالم المؤلف.

للمزيد عن هذه الأحداث ينظر: (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٢٣ ؛ المسعودي (٣٤٦هـ)،

مروج الذهب، ط ٢، قم: دار الهجرة، ١٩٨٤، ص ١١٤) [المحقق]

(٣) وقد أفرط معاوية في قتل صلحاء الصحابة والتابعين بدس السمّ في مأكليهم . أمثال ابن أبي وقاص، والحسن بن علي، ومالك الأشتر النخعي، وقال ابو الفرج الأموي في

وكاد أن تحل قاعدة: «قَبَلُوا يَدًا تَعْجُزُونَ عَنْ قَطْعِهَا»^(١)، محل آية : (فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)^(١)

للمزيد ينظر: ابي الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: كاظم المظفر، ط ٢،
قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٩٦٥م، ص ٤٨ [المحقق]

(١) يرى المحقق إن لنهضة الحسين ٧ أهداف سامية ومعطيات نبيلة ولعل واحدة من
أهمّها وأبرزها هي رفضه ٧ للظلم والجور والوقوف بوجه الظلمة المستبدّين بصلاية
وعنف، حتى يظهر الحق ويسود العدل وتبسط الحرية في المجتمع، منطلقاً من قوله
تعالى (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)، فظاهر الآية يقتضي وجوب
مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار لأنه جهاد في سبيل الله، لذلك قال ٧ قوله
المشهورة على الرغم من كثرة النصح التي أُسديت له

...، وبهذا سطر

آثار الحركة الحسينية

كان مآل الأحوال السالفة محق الحق بالقوة، وسحق المعنويات بالماديات، وانقراض الأئمة والأمة بانقراض الأخلاق والمعارف لولا أن يقيض الرحمن لإنقاذ هذه الأمة حسيناً آية للحق، وراية للعدل، ورمزاً للفضيلة، ومثالاً للإخلاص يوازن نفسه ونفوس الأمة في ميزان الشهامة، فيجد الرجحان الكافي لكفة الأمة فينهض مدافعاً عن عقيدته، عن حجته، عن أمته، عن شريعته، دفاع من لا يبتغي لقربانه مهراً، ولا يسألكم عليه أجراً، ودون أن تلوي لواءه لائمة عدو أو لائمة صديق، ولا يصده عن قصده مال مطمع، أو جاه مصطنع، أو رافة بآله، أو مخافة على عياله.

هذا حسين التاريخ والذي يصلح أن يكون المثل الأعلى لرجال الإصلاح وقلب حكم غاشم ظالم دون أن تأخذه في الله لومة لائم، وقد بدت لنهضته آثار عامة النفع جليلة الشأن فإنها:

أولاً . أولدت حركة وبركة في رجال الإصلاح والمنكرين لكل أمر منكر حيث اقتفى بالحسين السبط 7 أبناء الزبير^(١)،

والمختار الثقفي^(٢)، وابن الأستر^(١) ،

(١) يرى المحقق إن أبناء الزبير (عبد الله ومصعب) قد اقتفيا بالحسين 7 كرفضهم

7

7

للمزيد ينظر (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٦٥؛ مروج الذهب ج ٣: ص ٩٨) [المحقق]

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي (١-٦٧هـ): قائد عسكري، ولد بالطائف في السنة الأولى للهجرة، طالب بدم الإمام الحسين 7 رافعاً شعار يالثرات الحسين، قتل أغلبية من شارك في قتال الإمام الحسين 7 في معركة الطف وعلى رأسهم عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن وحرملة بن كاهل وغيرهم، قُتل في الكوفة في الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧هـ على يد جيش مصعب بن الزبير، وقد قتله الأخوين طرفة وطراف أبناء عبد الله بن دجاجة. (رغداء حسين محمد، حركة المختار بن عبيد الثقفي

وجماعة التوابين^(٢)، وزيد الشهيد^(١)،

(١) هو إبراهيم بن مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج، ينتمي إلى قبيلة النخع وهي من القبائل العربية اليمانية، يكنى بابن الاشر نسبة إلى أبيه، اشترك في حرب صفين سنة ٣٧ هـ وكان يومها غلاماً، دعاه المختار الثقفي للالتحاق بجيشه وإعلانه الثورة على حكام بني أمية طالباً الثار بدم الحسين 7، أرسله المختار إلى الموصل فقتل عبيد الله بن زياد في معركة الخازر سنة ٦٧ هـ وصار والياً على ولاية الموصل والجزيرة وأطرافها ، وبعد مقتل مصعب بن الزبير دعاه الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان لمبايعته =

= على أن يجعله والياً على العراق، لكنه رفض ذلك وخرج لمواجهة الجيش الأموي الذي كان يقوده (محمد بن مروان)، فالتقيا بمنطقة تعرف بـ (الدجيل) فأستشهد إبراهيم في هذه المعركة سنة ٧١ هـ للمزيد عن الموضوع يُنظر: إبراهيم بن مالك الاشر، جواد محمد عفتان، رسالة ماجستير، تربية ابن الرشد/ جامعة بغداد، ٢٠٠٦

(٢) كبار الزعماء الكوفيين وهم: سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجية الفزاري وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن وائل البكري ورفاعة بن شداد البجلي، وهم أشدّ المؤيدين والموالين لأمير المؤمنين 7 اجتمعوا كأول رد فعل بعد استشهاد الإمام الحسين 7 واخذوا بالتلاؤم والندم، وقد رأوا أنهم اخطئوا خطأ كبيراً بدعوة الحسين

(١) الإمام زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي
:

= بكاه النبي 9 يوماً عندما نظر إلى زيد بن حارثة وقال: «المقتول في الله المصلوب

ثار ضد ظلم

واستبداد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك رافعاً شعار "يا لثارات الحسين"، واختار
الكوفة منطلقاً لثورته، إلا إن ثورته أخمدت واستشهد سنة ١٢٢هـ دفاعاً عن المبادئ
الإسلامية والمثل العليا، وأمر الخليفة هشام بن عبد الملك بإخراج جثته من قبره
وصلبه عرياناً، (ناجي حسن، ثورة زيد بن علي، ط٢، بيروت: [د. مط]، ص ١١٦؛

حتى عهد سَمِيهِ الحسين بن علي شهيد فخ^(١)، وحتى عهدنا الحاضر ممن لا يحصون في مختلف الأزمنة والأمكنة، فخابت آمال أُمِيهِ فيه، إذ ظنت أنها

(١) هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب 7 وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن، شقيقة محمد ذو النفس الزكية، بكاه النبي 9 قبل شهادته فقد ذكر الإمام الباقر 7 أن النبي 9 مرَّ بفخ فنزل وصلى ركعة فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة فلما رأى الناس النبي 9 يبكي بكوا، فلما انصرف قال النبي: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله قال: نزل عليّ جبرئيل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إن رجلا من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين. انتفض الحسين بن علي على الحاكم العباسي موسى الهادي لإعلان الثورة من أجل إصلاح المجتمع من سياسة الإذلال والاضطهاد التي مارسها العباسيون ضد العلويين، خرج مع أصحابه ويقدر عددهم ثلاثمائة نفر وقيل = = أربعمائة سنة ١٦٩ هـ، والتقى الجيوش العباسية في فخ وهو وادي يبعد حوالي ٨ فرسخ عن مكة ودارت معارك ضارية على أثرها استشهد الحسين (رض) يوم التروية ٨ ذي الحجة بسهم غادر واستشهد أكثر أصحابه وقطعوا رؤوسهم وتركوا جسد الحسين وأجساد أصحابه بلا غسل ولا كفن كما ترك ابن سعد جسد الحسين 7

وأجساد أصحابه في كربلاء، ولما وصل خبر الفاجعة إلى الإمام موسى بن جعفر 7 قال: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ، وللمزيد عن واقعة فخ (محمد عبد الرضا، واقعة فخ أسبابها ونتائجها، رسالة ماجستير/الجامعة المستنصرية-كلية التربية-تاريخ، ٢٠٠٩ ص ٧٠) ويرى المحقق إن هناك تشابه كبير بين الواقعتين واقعة فخ وواقعة الطف من حيث:

أولاً: من حيث الاسم: إن الحسين بن علي شهيد فخ والحسين بن علي بن أبي طالب

8 شهيد كربلاء.

ثانياً: قُطِعَ رأس الحسين بن علي شهيد فخ ورؤوس أصحابه وإرسالها على الرماح للحاكم العباسي موسى الهادي وتركوا أجسادهم في العراء بدون غسل ولا تكفين وسُيِّت النساء والأطفال، كذلك قطعوا رأس الإمام الحسين 7 ورؤوس أصحابه وإرسالها على الرماح للحاكم الأموي يزيد بن معاوية وتركوا أجسادهم في العراء بدون غسل ولا تكفين كما وسُيِّت النساء والأطفال أيضاً

ثالثاً: إن زينب أم الحسين شهيد فخ قُتِلَ أبنائها وأخوتها، أما العقيلة زينب أخت الحسين 8 قتل لها ولد وقيل أكثر مع أخوتها أيضاً يوم عاشوراء، إلا إن هناك = = اختلاف واحد بين الواقعتين، فسبايا فخ من النساء والأطفال والرجال عندما أدخلوهم على الحاكم العباسي موسى الهادي أمر بقتلهم جميعاً، إما سبايا الطف فأمر يزيد بترحيلهم إلى المدينة. [المحقق]

أجل! فإن الحسين(ع) لم يكن إلّا هاتف الحق، وداعي الله، ونور الحق لا يخفى، ونار الله لا تطفئ، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ويعم ظهوره.

ثانياً . إنّ الحسين (ع). بقيامه في وجه الجور والفجور مقابلاً ومقاتلاً . أحيّا ذلك الشعور الإسلامي السامي الذي مات في حياة معاوية أو كاد أن يموت، ونبه العامة إلى حب الحياة، ورعاية الذات والذات، والتخوف على الجاه والعائلات. لو كان تبرر لأولياء الدين مصافات المعتدين لكان الحسين أقدر وأجدر من غيره، لكنه أعرض عنها إذ رآها تتنافي الإيمان والوجدان وتتناقض الشهامة والكرامة، فجددت نهضته في النفوس روح التدبّر الصادق وعزّة في نفوس المؤمنين عن تحمل الضيم والظلم وعن أن يعيشوا سوقة كالأنعام وانتعشت إحساسات تحرير الرقاب والضمان من أغلال المستبدين وأوهام المفسدين.

ثالثاً . إنّ النهضة الحسينية هزّت القرائح والجوارح نحو الإخلاص والتفادي، وأتبعَت الصوائح بالنوائح لتلبية دعاة الحق واستجابة حماة العدل في العالم الإسلامي وإنعاش روح الصدق وهو رأس الفضائل، وبوجه الإجمال عدت نهضة الحسين 7 ينبوع حركات اجتماعية باقية الذكر والخير في ممالك الإسلام، خففت ويلات المسلمين بتخفيف غلواء المعتدين، فأبي خير كهذا الينبوع السيل والمثال السائر في بطون الأجيال.

الفضيلة والرذيلة

الفضيلة محبوبة الجميع والرذيلة مكروهة إلا لدى صاحبها وإذا عدّت الفضائل فضيلة، فضيلة: من وفاء، وسخاء، وصدق، وصفاء، وشجاعة، وإباء، وعلم، وعبادة وعفة، وزهد، فحسين التاريخ رجل الفضيلة بجميع مظاهرها؛ كما أنّ معارضيهِ رجال الرذائل بكل معانيها لا يتناهون عن منكر فعلوه.

فأنت من أجل ذلك نهضة الحسين 7 أمثلة الحق والعدل، إذ بطل روايتها أقوى مثال للفضيلة، قد كانت حركة يزيد^(١)، أمثلة الباطل والظلم، إذ بطل

(١) طفحت مدونات التاريخ بمظالم يزيد وهتكه لحرمت الدين والحرمين في أيامه القصيرة، ويشترك معه طبعاً في الإثم كل من ساعده عليه أو ساعده على استخلافه، كالمغيرة بن شعبة الذي حمل معاوية على استخلاف يزيد وقصته معروفة، فصار أبوه لا يترى في ترشيحه للخلافة فولاه إمارة الحج مرتين بعد أن استتب له الأمر، وولاه الصائفة تارة وقيادة الجيش أخرى . والصائفة غزوة الروم، لأنهم كانوا يغزون صيفاً، وصائفة القوم ميرتهم في الصيف كما وأخذ له البيعة من المسلمين في حياته طوعاً وكرهاً غير مبال بمن خالفوه وشنعوا عليه حتى مات معاوية سنة ستين ونادى يزيد بنفسه ملكاً على المسلمين وخليفة عن أسلافه، وقد استمرت ولايته ثلاث سنوات تقريباً فكان عمله في السنة الأولى قتل الحسين 7 ربحانة النبي 9 والبقية من آله على الوجه المشروح في هذا الكتاب وسبي ذراريه وعياله إلى الشام بأسوء من سبايا المشركين، ولم تقف سوء نيّته عند هذا الحد حتى ثنى الفاجعة الأولى بالأخرى وتسمى «الحرّة»

(للمزيد عن المغيرة بن شعبة حول قصة استخلافه ليزيد وإمارته للحج ينظر: تاريخ
الطبري ج ٤: ص ٢٢٤ ؛ (١) ص ١٧) [المحقق]

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ [المحقق]

سلسلة عوامل النهضة

ينمي مؤرخة الغرب معارضة بني أميه لبني علي (ع) إلى زمن أبعد مدى مما اشتهر، والى قطيعة حدثت بين هاشم وشقيقه عبد شمس ولدي عبد مناف القرشي. وكانت المعارضة إذ ذاك بينهما فقط، ثم تفشت بعد مائة عام بين حزبين قويين: حزب التوحيد وعميده المصطفى 9، وحزب الشرك وأقطابه أبو سفيان وأبو جهل والحكم والوليد وخمسة عشر آخرون. وبقيت نار الجدل والقتال مستمرة بين الحزبين ١٩ عاماً حتى إذا جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً ودخل معهم هؤلاء طوعاً أو كرهاً، فخمدت تلك النار الموقدة إلا في الأفتدة بضعاً وثلاثين سنة حتى استثارها مروان في إمارة عثمان وأثار مع الحفائظ نيران الفتن والإحـن. وعميد الحزب الهاشمي علي 7 رجل الحق وفي أنصاره المهاجرون وأبطال مصر والعراقيين وشعارهم الحق، والفضيلة، وحفظ الحرمات، كما أقام الجانب المعارض أمره على دعائم الغدر، والمكر، وطلب الملك، والشهوات هم معاوية وزيد بن أبيه وعمرو بن العاص ومروان والمغيرة بن شعبة وأشباههم فاستخدموا في سبيل الانتصار كل وسيلة وحيلة زهاء ربع قرن ملؤه الفجائع والفضايع حتى احتجب الحق وتوارى أهله، وفاز ابن أبي سفيان وأهلوه في كل منكر فعلوه حتى في إقامة الجمعة في غير يومها وحتى في استلحاق زيد

قالوا: إنَّ يزيد بن معاوية كان يتحرَّى أخبار الفتيات الحسان فبلغه من وصف أرينب بنت إسحاق القرشي وكمال جمالها ما استثار هواه وظلَّ يترقَّب فرصة إعلام أبيه برغبته إليها فيزوجها منه، فسمع يوماً بزواجها من ابن عمها عبد الله بن سلام فشق عليه ذلك وأبلغ أباه معاوية بما هو فيه وأنَّه مشرف على الهلكة من خيبة الأمل، فأمره أبوه أن يكتُم رغبته حتى يتمكن من استدراك ما فاتته! ثم استدعى عبد الله بن سلام إلى الشام وأكرم ضيافته وأرسل إليه أبا هريرة ليرغبه إلى مصاهرة معاوية وتزويج أخت يزيد إياه، فرحب عبد الله

(١) قال الحسن البصري: «أربع خصال في معاوية لو لم تكن إلا واحدة منها لكانت موبقة: انتزأؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه من بعده سكيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابر، وادعائه زياداً وقد قال رسول الله: «الولد للفراس وللعاهر الحجر» وقتله حجراً وأصحاب حجر ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر» الكامل لابن الأثير / المؤلف.

للمزيد ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص: ٤٨٧ [المحقق]

وظل ابن سلام يطالب معاوية بانجاز ما وعده ومعاوية يماطله، حتى سمع بأن مخطوبته تكره قبوله زاعمة أن الذي يطلق ابنة عمه التي فاقت أقرانها مالا وجمالاً وكمالاً وشرفاً لا يصعب عليه أن يطلق الثانية يوماً ما.

وشاعت مكيدة معاوية في الملأ وأنه يبغي وراء حرمان عبد الله بن سلام من زوجته أرينب أن يزوجه من يزيد، وخرج ابن سلام من الشام غضبان أسفاً.

أما أبو هريرة فمر بالحسين بن علي 7 في طريقه فسلم عليه فاحتفل به الحسين 7 وسأله عما جاء به من الشام فقص عليه خبره فناشده الله أن يذكره عند أرنب عسى أن ترضى بالحسين زوجاً لها، فقبل ذلك أبو هريرة وجاء أرنب واخبرها بما فعل زوجها عبد الله بن سلام.. بئنة فبكت أرنب ولما هدأ روعها واسترجعت قال لها أبو هريرة: «إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام وقد رغب إلى زواجك يزيد بن معاوية والحسين بن علي 7 وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغيه في الرجال، وببذلان لك ما تشائين من الصداق» ثم لما عاودها على اختيار رأيها في الرجلين قالت: «إنك خير من أستاثيره في الأمر فاختر لي» فقال أبو هريرة: «لا اختار فم أحد على فم قبله رسول الله تضعين شفتيك في موضع شفتي رسول الله». قالت «فلا اختار على الحسين بن علي أحداً وهو ريحانة النبي وسيد شباب أهل الجنة» فعقد عليها الحسين 7. ولما بلغ ذلك معاوية سخط سخطاً شديداً وقال:

أنعمي أم خالد رب ساع لقاعد^(١)

حنق يزيد على الحسين بن علي 7 حنقاً لا مزيد عليه، واستوهن الأمر عبد الله بن سلام وخف عليه حزنه وجاء إلى الحسين 7 وطلب منه أن يسأل

(١) النصائح الكافية ص ٩٧، وأم خالد كانت كنية أرنب. المؤلف

فبكيا من الوجد طويلاً وأرادت أرينب أن تعيد إلى سيدها الحسين صداقها فوهبها الحسين 7 قائلاً: «إن الذي أرجوه من الله تعالى خير لي من ذلك» ولم يسترجع منها شيئاً كرامة منه وإحساناً^(١).

(١) قصة أرينب بكل تداعياتها ومعطياتها ما هي الا انعكاسة للصراع بين جبهتي الحق

نعم دفعت سجية الفضيلة حسينها إلى صيانة عرض عبد الله من عدو الله بعد أن عرف من سجايه هتك الحرمات، وعرف من سجايا أبيه تبديل آثار جدّه وتبديد مجده، وتذكر بعد ذلك سم أخيه وسب أبيه، وما فعلت هند بعمه، وأذى صخر لجدّه، وأنّ الذي أضمره له ولأسرته . أو بالأحرى لأُمته . في مستقبل الزمن أسوء من ماضيه. كل هذه الذكريات دفعت حسين الشرف إبراز هذه المآثر التاريخية المتألّفة في سماء الفضائل.

لقد أثّرت عملية الحسين 7 تأثيرها الحسن في نفوس بني الضاد رقاة الشرف ودعاة مكارم الأخلاق، كما أنها أثّرت من يزيد أحقاداً خمد نارها أو كادت فوق ما ذكرته اندحار أبيه أمام جدال الحسن، وقتال أبيه، ومصرع عتبة وشيبة وحنظلة وسائر أشياخه، والذل الذي لحق جدّه يوم عرض نصرته لعلي 7 ويوم عرض إسلامه للنبي 9 وعند استجارته بهما في المدينة.. فصمّ من فوره على الانتقام من حسين الفضيلة أشدّ الانتقام حينما أصبحت الأمور له متسقة والجماهير به مستوثقة وفيهم عبيد الله بن زياد^(١) إن لم يكن زياد.

(١) عبيد الله بن زياد: كنيته أبو حفص وأمه مرجانه الفارسية، وولاه معاوية إمارة البصرة سنة ٥٥ هـ وكان عمره ٢٢ سنة، كان سفيهاً جباناً سفاكاً للدماء، بقي أميراً على البصرة حتى موت معاوية، وولاه يزيد إمارة الكوفة سنة ٦٠ هـ إضافة لإمارة البصرة، وبعد فعلته الشنيعة في فاجعة كربلاء التي استشهد فيها ريحانة الرسول وأهل بيته وأصحابه الميامين في عاشوراء سنة ٦١ هـ، ثار أهل البصرة عليه فقرّ هارباً ولحق بالشام ودعا

مبادئ قضية الحسين (ع)

كل الذين دونوا قضية الحسين (ع) أخذوا سلسلتها من أوساطها، أي من حين البيعة ليزيد. في حين أنّ القضية . كما سبق . تبتدئ من عهد أبي سفيان ومحمد 9 إن لم نقل من قبل ومن عهد هاشم^(١) وعبد شمس . فإن أبا سفيان

(١) هاشم وعبد شمس أخوان أبوهما عبد مناف بن قصي، قيل ولدا توأمين متلاصقين بقطعة لحم في ظهريهما فألجأت الحالة إلى فصلهما بالسيف، فتطير المتشائمون من ذلك واستدلوا منه على استمرار السيف بين ذريتهما فكان كما قالوه، وكان الأمويون من بني عبد شمس والهاشميون من بني عبد المطلب طرفي الخصام في الجاهلية والإسلام. وكان هاشم اسمه عمرو . ويقال له: عمرو العلاء . ولقب هاشماً لكثرة هشمه الشريد لأضيافه ولزوار البيت الحرام . المؤلف

ويود المحقق أن يسلط الضوء على حقيقة النزاع والتخاصم والنفرة بين بني هاشم وبني أمية من خلال الروايات التي ذكرها المؤرخون، فالرواية الأولى وكما تناولها المؤلف 1 من إنهما ولدا توأمين متلاصقين بقطعة ... إلى آخر الرواية

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
نستنتج من خلال هذه الروايات الثلاث
سياسياً وقبلياً ولقد صدق من قال:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم ناراً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلّي وللحسين يزيد [المحقق]

(١) كان بنو هاشم صفوة قريش حينما كانت قريش صفوة العرب ووجوه أبناء الجزيرة وامتاز بنو هاشم من بين القبائل كلها بالسماحة والفصاحة وطلاقة الوجه واللسان =
= وإقراء الضيوف ونجدة المظلوم وحسن السمة وشرف النفس وطيب المولد وطالما اعتدت عليهم قريش بسبب تمسكهم بالحقوق ورعايتهم للعهود ومحاماتهم عن الحرم .
المؤلف

(٢) سورة الصف : آية ٨ .

أمّا الحزب الخاسر المنكسر فقد كان يعمل ليلاً ونهاراً في تلافي خسارته وإرجاع سلطانه، ولكن تحت الستار وبأخفى من دبيب النمل على الصفا، يرسم الخطة للقيام بحركة وسعية الدائرة حتى إذا قضى النبي 9 نحبته تنفس وانتهاز الفرصة لاستعادة مجده.

أجل! لقي محمد 9 ربه وأبو سفيان حي يسمع الناعية عليه، ولكن لا يسعه إظهار شيء وكان العباس عم النبي 9 يعرف من أمره شيئاً إذ كان صديقه الحميم في الجاهلية والإسلام، فأشار على علي 7 ابن أخيه أبي طالب . وهو يغسل جنازة النبي 9. قائلاً له: «يا علي مد يدك لأبائعك حتى يقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان»^(١)، فلم يسمع من ابن أخيه جواباً سوى كلمة: «يا عم أولها غيري!» وقبل أن يدفن النبي 9 نجم الخلاف حول خلافته بين المهاجرين والأنصار.

لكن الذي نعلمه أنّ أبا سفيان لم يكن من الأنصار ولا من المهاجرين عندما قالوا: «منا أمير ومنكم أمير»^(٢)، حتى يحسب لنفسه حساباً في التحيز إلى

(١) مروج الذهب ج ٣: ص ٢٣٦؛ مرتضى العسكري (٢٠٠٧م)، معالم المدرستين، بيروت : مؤسسة النعمان، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٤٧ [المحقق]

(٢) هذه العبارة قيلت في حادثة السقيفة، تلك الحادثة التي لعلها الأبرز في تاريخنا الإسلامي والتي غيرت مجرى التاريخ، وقد تناولها المؤرخون كل حسب رؤيته، بعد أن

(١) تاريخ الطبري ج ٢: ص ٤٤٩ [المحقق]

(٢) تاريخ الطبري ج ٢: ص ٤٤٩ [المحقق]

ولما عرف أبو سفيان أنّ علياً 7 لا يندفع وأنه عند تداخل الأغيار ليصافح إخوانه المسلمين ويتحد معهم لحفظ بيضة الدين . مهما كان ضدهم وكانوا أضداده ندم أبو سفيان على لفظته، وهرع إلى الحزب الغالب، وانضم إليهم ليحفظ مركزه الاجتماعي قبل أن يخسر الطرفين وتأخرت منوياته إلى حين، حينما يخضر عود أمية بإمرة معاوية على الشام وعود سلطانهم. وبعدما نبغ فيهم معاوية أخذ على عاتقه القيام بنوايا أسلافه ومعه يومئذ أبوه ينصب علياً 7 دون المسلمين هدفاً لسهامه الفتاكة، إذ عرفه الينبوع الوحيد لسيال وحي المصطفى 9، وأنه البطل المناوئ لهم بكل قواه، والعميد القائم ببيت بني هاشم، والمركز القوي لإبادة الحركة السفينانية، وأنّ علياً هو وأبوه نصيراً محمّد 9 حين لا ناصر له حتى أنه فداه بنفسه ليلة ميّته على فراشه، وضيع على قريش هجرته، ونقض ما أبرموه عليه، وعلي القاتل صناديد

دوافع يزيد الانتقامية

لقد تستر ابن هند والحزب الأموي في إخفاء غرضه تحت مخابئ السياسة المطلية بدعائهم، لكننا أخلافه . أمثال يزيد والوليد. كشفوا القناع بأفعالهم وأقوالهم عن كل ما أُجني وأُخفي على الملاء، فتجلى كالشمس أنهم يبتغون التشفي والانتقام من محمد وأهل بيته بكل معاني التشفي، إذ لم يسكت عن الحسين كما سكت عن ابن الزبير، وخالف في ذلك وصاية أبيه وبرنامجه^(١)

(١) لقد أوصى معاوية ولده يزيد قبل وفاته حيث قال له: "وإني لست أخاف عليك أن ينازحك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله ...، وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ...". من هذه الكلمات يرى الباحث إن مكر ودهاء معاوية واضح وخاصة في عبارة "فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه" لعله أراد معاوية أن يظفر بالحسنين، أن يمسك الحسين 7 من جهة ثم يصفح عنه من جهة أخرى وبذلك يُبعد عن آل = = سفيان سبة الطلقاء والتي لاحقتهم منذ فتح مكة حين قال رسول الله لأبي سفيان ورهطه "اذهبوا انتم الطلقاء"، وكان آخرها خطبة الحوراء زينب عقيلة بني هاشم 3 حينما خاطبت يزيد في مجلسه وقالت "أمن العدل يا بن الطلقاء"، لهذا أراد معاوية أن يرد الصاع بصاعين للآل بني هاشم وبذلك يقول لسنا وحدنا الطلقاء، فهذا الحسين ابن علي أيضاً من الطلقاء، ولكن اثبت إن يزيد لا يملك الشجاعة الكافية لمواجهة الإمام الحسين 7، فقرر التخلص منه وقتله بإعطاء صلاحيات كاملة لعامله الوليد في المدينة

يا حبذا لونك يا حسين كحمرة الورد في الخدين^(١) ... الخ
ويسبّون الحسين وأباه وأخاه: سراً وجهراً، وينتحلون الأحاديث القادحة في
علي⁷ وصحابته، ويهتكون حُرْم الله ورسوله⁹ وحُرُمات الدين، ويفعل يزيدهم
طغياناً في مدينة الرسول⁹ ما فعله فرعون، ويزيد يقتل أبناءهم ويستحيي
نساءهم فراثت خيلهم في روضه النبي⁹ واستباح عسكره المدينة ثلاثة أيام
وافتنضت بها أثنى عشر ألف عذراء، ولم تسلم حُرّة في واقعة الحرة، إلا من
لذن ببيت السجاد علي بن الحسين⁸ وهنّ ستمائة من الهاشميات وغيرهن، فقد
استثنى يزيد بيته وشخصه من الاضطهاد والاستعباد إذ أمر قائده أن يجدد
مبايعة اليتارية له على أنّه عبيده إن شاء باعهم وإن شاء أعنتهم^(٢).

(١) ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: محمد باقر الحموي، ط ٢، قم:

مجمع إحياء التراث الإسلامية، ١٤١٤هـ، هامش ص ٣٤١ [المحقق]

(٢) للمزيد عن وقعة الحرة ينظر: تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٧٤؛ مروج الذهب ج ٣: ص

٦٩ ؛ الكامل في التاريخ ج ٤: ص ١١١ [المحقق]

وروى الجاحظ: «إنهم وسموا العباد، ووشموا الأجساد»^(١)، كما يفعل بالأنعام والكلاب . علامة إنهم خول لبني أمية، ورأوا أنس بن مالك . خادم رسول الله وصاحبه . وفي عنقه قلادة مختوم عليها بالرصاص علامة عبوديته لهم، وأحرقوا ستار الكعبة، ورموها بالمنجنيق، وقتلوا الطائفين والعاكفين، وسفكوا الدم الحرام، في البلد الحرام، وفي الشهر الحرام، وحولوا قبلة واسط إلى الشام.

(١) ان هذه العبارة من بعض ما اشار اليه الجاحظ عن يزيد في رسالته في بني امية وللمزيد ينظر: الجاحظ، ابو عثمان عمر (٢٥٥هـ)، آثار الجاحظ، بيروت: مطبعة النجوى، ١٩٦٩ م، ج ١، باب (رسالة في بني امية)، ص ١٣١ [المحقق]

معاوية وتعقيباته

ناصر معاوية وحزبه علياً وصحبه وكان ما كان من أيام البصرة وصفين والنهروان وعلي 7 في كلّها غير مخذول، ولا يزداد معاوية إلا حقداً عليه وموجدة، وتعقب الضغائن إثر الضغائن، وكان معاوية رجل الغدر وحليماً إلا على علي 7 وخاصته.

فلما توفي علي 7 سنة ٤٠ بسيف ابن ملجم الخارجي ساجداً في محرابه، زال من بين عيني معاوية ذلك الشبح الرهيب الذي كان يخيفه في منامه وفي خلواته، وقويت عزائمه وتوجهت شطره أكثر النفوس التي كانت رهن سجايا علي 7 وعلومه ومنقادة لصوته وسوطه وصيت شجاعته وسماحته، لاسيما وأن الآثار النبوية المشهورة فيه كانت لا تقاس كثرة وشهرة بما ورد في شأن غيره، والخدمات التي قام بها كانت قاطعة الألسن فضلاً عن طول عهد الإمارة لمعاوية وانتشار حزبه الفعال وتوزيعه الأموال. هذه العوامل وغيرها ضيّقت دائرة النفوذ على الحسن بن علي 8 وخليفته ووسعت المجال لمعاوية وحزبه، فانتقم من علي 7 بعد وفاته وسبّ علياً 7 على المنابر، والمناثر، والألسن، والكتب.

ويا بؤسها من حيلة ووسيلة لاستئصال مجد بني هاشم بتلب كبيرهم وقد قال ابن عباس: «إنهم يريدون بسب علي سب رسول الله»^(١)، ثم لم يقنع بذلك فأخذ يتتبع خاصة علي 7 بالسب والعتل ويقول: «إن لله جنوداً من عسل»^(٢) يعني السم المرسول إلى أعدائه، ولم يسع حلمه أصحاب علي وبنيه قط ففس سماً ذريعاً إلى زوجة الحسن السبط فقتلته اغتراراً بموعد زواجها من يزيد.

(١) مروج الذهب ج ٢: ص ٤٢٣؛ الموفق الخوارزمي (٥٦٨هـ)، المناقب، مالك المحمودي ط، ٢، قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٤هـ، ص ١٣٧؛ محمد الزرندي الحنفي (٧٥٠هـ)، نظم درر السمطين، [د.م.]: [د.مط]، ١٩٥٨م، ص ١٠٥؛ محمد مهدي الخرساني، موسوعة عبدالله بن عباس، قم: مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢٨هـ، ج ٥: ص ٧١ [المحقق]

(٢) شعار رفعه معاوية لتصفية معارضيه، بعد نجاحه في دس السم في العسل لمالك الاشر وهو في طريقه لمصر والياً عليها وللمزيد ينظر: تاريخ الطبري ج ٣: ص ٥٥٤ [المحقق]

تأثرات الحسين (ع) الروحية

هنا حري بنا أن ندرس حالة الحسين 7 ذلك المتقاني في حب شقيقه الحسن 7 ماذا يجري على قلبه وهو يرى أحشاء أخيه مقذوفة في الطست من سم معاوية، ثم تمنع بدسياسة مروانيه جنازة أخيه من زيارة جدّه . وهما ريحانتاه . ويسمع سبّ أبيه وأخيه 8 في المعابر وعلى المنابر وتتعى إليه صحابة أبيه من فتك معاوية بهم، وسحق العهود الشريفة، ومحق شعائر الإسلام، وتبديل سنن جدّه بالبدع، وتحويل الإسلام من روح دينيه عالمية إلى روح قومية ملكية، وتمهيد أسس للرجعة إلى الجاهلية.

هذا كلّ عدا ما سبق من أمر معاوية وعلي 7 في حروب وفتن أوجدها معاوية لأغراض ذاتية، وفتّ في عضد الدين، وشتت بها شمل المسلمين. أضف عليها ما جرى على جدّه المصطفى 9 من الحزب السفيفاني أثناء البعثة وبعد الهجرة. أفلا يكون بعد ذلك كله قلب الحسين 7 دفتراً ملؤه المؤلمات؟! ولا بد وأن تكون هذه الموجدات في الحسين 7 وفي صدره بركاناً قوياً مشرفاً على الانفجار، وحسين الشهامة لم يكن بالذي يقيم على الضيم

(١) هو احد الأمثال المضروبة في المبالغة والتناهي الواقع أوائل أصولها (ابي هلال العسكري) (٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط٢، بيروت: دار الجيل، [د.ت.]، ج٢، ص ٢٢٦ [المحقق]

كيف يبايع الحسين(ع)

غريب والله أنّ يزيد المشهور بالسفاسف^(١) والفجور يريد التقمص بخلافة النبي محمد 9 المبعوث لتكميل مكارم الأخلاق، وذلك في حياة الحسين 7 ابن ذاك النبي 9 وحبيبه. فيزيد يعلم نفسية الحسين 7 ويعلم أنّ صدر الحسين 7 أصبح بركاناً قريب الانفجار، ومع ذلك لا يقنع بسكونه وسكوته عما هو فيه، بل يريد منه فوق ذلك كلّه أن يعترف له بالخلافة عن الرسول، وهل ذاك إلاّ رابع المستحيالات ؟ فإنّ اعتراف الحسين 7 بخلافة يزيد عبارة أخرى عن أنّ الحسين ليس بالحسين «أي إنّ معنى قبوله البيعة ليزيد بيع دين جدّه، وكل مجده، وكل شعور شريف للعرب، وكل حق للمسلمين، وكل آمال لقومه يبيعها جمعاء برضى يزيد عليه» وهذا محال على الحسين 7 وعلى كل أبطال الفضائل، فإنّ قبوله بيعة يزيد عبارة أخرى عن اعترافه بتساوي الفضيلة والرذيلة، واستواء العدل والظلم، واتحاد الحق والباطل، وتماثل النور والظلام، وأنّ العلم والجهل مستويان، وأنّ الخفيف والثقيل سيان في الميزان، فهل يسوغ بعد هذا كله سكوته وسكوته؟! وقد يزعم البسطاء أنّ الحسين 7 لو استعمل النقية وصافح يزيد لالتقى ببيعته

(١) السّفْساَفُ: الحَقِير والرّديء من كل شيء وهو ضدّ المعالي والمكارم (لسان العرب

فإن يزيد المتجاهر بالفسوق لا يقاس بمعاوية الداهية المتحفظ، فبيعة مثل الحسين 7 لمثل يزيد غير جائزة بظاهر الشريعة، ولذلك تخلف عن بيعته سعد بن بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير أيضاً فأنكروا على معاوية استخلاف يزيد وامتنعوا عن بيعته حتى فارقوا الحياة، وكان سيدنا الحسين 7 أولى بهذا الامتناع والإنكار.

وأما مع غضّ النظر عن التكليف الشرعي ومطالبة وجه غير التمسك بظواهر الكتاب والسنة فنقول: إن التحري في الوثائق التاريخية والكتب المعتبرة يؤدي إلى الاعتقاد بأن سيدنا الحسين 7 كان يعلم بانطواء خصومه على نية التشقي من قتله، وقد صرح في مواطن عدة بأن بني أمية غير تاركيه حتى لو كان في حجر ضب لاستخرجوه وقتلوه، وقال 7 للعكرمي في بطن عقبة: «ليس يخفى عليّ الرأي ولكنهم لا يدعونني حتى يخرجوا هذه العلقة من جوفي»^(١) وأكد ابن زياد نية التشقي من قتل الحسين 7 في كتابه

(١) المفيد، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت: التراث، بيروت: دار المفيد (١٣٤١ هـ)، ١٩٩٣ م، ج ٢: ص ٧٦؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩٦؛ أبي مخنف الازدي (١٥٧ هـ)، مقتل الحسين، حسين: الغفاري، قم: المطبعة العلمية، ص ٦٧ [المحقق]

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

إلى غير ذلك من الشواهد التي نستنتج منها ما قصده الأمويون من الانتقام من آل الرسول 9 علم ابن النبي 7 من كل هذا تصميم آل حرب على انتقامهم من آل علي مهما تظاهر هؤلاء بمسالمتهم ومطاوعتهم ومهما تظاهر آل حرب لهم بالأمان والإيمان، وقد أكد هذا العلم غدر ابن زياد بابن عمه مسلم وإعطائه الأمان حتى إذا خلع سلاحه قتله شر قتلة، وأجلى من ذلك غدر معاوية بأخيه الحسن 7 ودسه السم إلى من قتله بعد أن صالحه وصافحه وتنازل له عن خلافته المعقودة له، فهل ترى ابن النبي 9 بعد ذلك كله يعيد الامتحان ويجرب المجرب؟ كلا! إذن فالحسين 7 وجد نفسه مقتولاً إذا لم يبايع ومقتولاً إذا بايع، لكنه إن بايع اشترى مع قتله قتل مجده وقتل آثار جدّه أما إذا لم يبايع فإنّما هي قتلة واحدة تحيا بها آماله، وشعائر الدين، والشرف المؤبد.

البيعة ليزيد

صفا لمعاوية الجو وملك نحو أربعين سنة ملكاً قلماً يسمح الزمان بمثله، وهو في خلال ذلك لا يفتر عن عمله ليله ونهاره فيستكثر أعوانه، ويعزز إخوانه ويستحوذ على من يشاء بما أوتي من مال ودهاء، واستمال إلى أهوائه أمثال زياد وابن العاص والمغيرة من الدهاة فمد أطناب حزيه ورواق مأربه، وانقادت إليه حتى آل هاشم، ولكن الرجل استحب دوام هذا السؤدد لبيته ومن يخلفه في إنفاذ نواياه، إذ عرف أنّ سلطانه وقتي وقسري . وما كان بالقسر لا يدوم فأراد إثباته في بيته مادام حياً؛ لأنّه يخشى من موته انقلاب الأمور على بنيه، لاسيما وابنه يزيد موضع نقمة الجمهور وفي الناس من هو أقدم منه وأولى، فأخذ البيعة ليزيد حال حياته بعد أن ذلل الصعاب ومهد السبل لغاياته . غير أنّ الأباة أبوا عليه البيعة ليزيد، واتخذت عملية معاوية هذه كمنورة يمتحن بها مخالفه، ثم أوصى ولده يزيد بأن لا يمس هؤلاء بسوء إذا أبوا عليه البيعة بعد موته إلاّ ابن الزبير، والسر فيما ارتآه داهية قريش هو أنّ البعض من هؤلاء ضعيف النفس مسبوق بغضاضة .

وأما الحسين السبط 7 فنفس أبيه بين جنبيه ويخشى على البيت الأموي من التعرض له، وبما أنّه رجل الفضيلة يؤمل فيه أن يستمر على سكوته وسكونه إذا علم برغائبه ومداراته، ويخشى من قيامه أن يقوم الحجاز والعراقان معه حين لا معاوية لديه ولا ابن العاص .

أما ابن الزبير فذو نفسية حربية مع أعدائه وذو دهاء مع رقبائه ولكنه كأبيه شحيح لا مطمع فيه، فالعدو لا يأمن منه والصديق لا يأمل فيه، فاستهان القضاء عليه من دون توقع محذور في معاداته. ولكن يزيد لم يعمل بهذه الوصية إذ أنه عاش عيشة ترف قضاها في الصيد والسكر واللهو، ومثل هذه التربية تسوق صاحبها لعبادة الهوى والاعتزاز بسلطان الشهوات، فلا يحترم قديماً، ولا يحتشم عظيماً، ولا يحتفل بالدين، ولا يرغائب الجمهور.

وعليه فما مات معاوية إلا والأوامر تترى من يزيد على ابن عمه الوليد - والي المدينة - بأخذ البيعة له من الناس عامة ومن الحسين وابن الزبير خاصة فتلقى الوليد بن يزيد بن أبي سفيان أوامره بكل رهبة واحتياط، وكان يعرف سوء سمعة يزيد كما يعرف حسن شهرة هؤلاء عند المسلمين عامة وعند أهل الحجاز خاصة، فأدت سياسته إلى إعلام هؤلاء بالأمر بصورة ودية مع المداراة لرغائبهم وحركاتهم قبلما يأخذ البيعة العامة في مسجد النبي ليزيد كخليفة، فأرسل إلى الحسين والي ابن الزبير ليحضرا لديه فجاءه الحسين ومعه ثلة من أقربائه، ولم يدخلوا معه فاستقبله الوليد بالترحاب ومروان^(١)، جالس متغير وتكاد تقرأ ما في قلبه من سحنات وجهه. وابتدأ

(١) هو مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، ولد في السنة الثانية للهجرة وطرده النبي 9 مع أبيه إلى الطائف لأن أباه الحكم أسلم مع أبي سفيان يوم الفتح كرهاً ونفاقاً وكان يستهزئ بالنبي 9 إذا غاب عنه ويهجم على المشركين بأخباره، فدعا النبي 9 عليه

كان الوليد ومروان كلاهما يبغيان إخضاع الحسين 7 ليزيد ولكن ذاك بالسياسة وهذا بالتهديد، وكأنّ الوليد أراد أن يستميل قلب الحسين 7 ويسترق من لسانه كلمة القبول ولو سرا لعلمه أنّ الحسين رجل الصدق والثبات، فلا يعدل عن كلمته وليس بذئ لسانين، إسرار وجهار، ولا ذا وجهين محضر ومغيب.

(١) للمزيد عن محاورة الإمام الحسين 7 مع الوليد ينظر: (تاريخ الطبري ٤: ص ٢٥٢ ؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ص ١٥؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ص ٦) من هذه المحاورة يُستنتج أمران مهمان هما:

أولاً: حقد وكراهية مروان بن الحكم للحسين 7 وتحريض الوليد للغدر به.
ثانياً: جرأة الإمام 7 وقوة صراحته في نعته بابن الزرقاء داخل قصر الإمارة وأمام الوليد، هذا يثبت إن الإمام 7 لا يخاف في الله لومة لائم كونه صاحب حق = ورفض للظلم بكافة أنواعه ومنها رفضه القاطع لبيعة يزيد لان الموافقة على البيعة يعني إعطاء الغطاء الشرعي لخلافة يزيد وهذا ما رفضه وأعلنه صراحة وخروجه غاضباً منتفضاً من دار الأمير والذي لا يمكن لأي شخص مهما تكن منزلته أن يتصرف هذا التصرف، لان في هذه الأماكن أي (دار الإمارة) يكون دخولها بأمر، والخروج منها باستئذان وأمر، والجلوس وطريقة الكلام كلها بأمر [المحقق]

أمّا مروان فكأنّه علم أنّ المسلمين إذا اجتمعوا في مسجد النبي 9 بين قبره ومنبره، وحضر لديهم ريحانة النبي وبنو هاشم وقوف وبنو الأنصار جلوس، فإن المؤثرات المعنوية والحسية لا تسفر إلّا عن البيعة للحسين 7 وخسران صفقة يزيد، وبالجملة فإنّ مروان نقض على الوليد أمراً كان قد أبرمه، غير أنّ الخبر لم ينشر خارج المدينة لمراقبة الوالي وفقد وسائل المخابرات، أما الحسين 7 فقد عرف أنّ مروان سوف يخابر يزيد على عزل الوالي أو يحمل الوالي على الوقعة بالحسين وآله، وأنّ يزيد وحزبه ينقادون لإرادات مروان بشخصيته البارزة في الحزب السفيناني، وقديم عدائه للنبي وآله. وقد كان هو وأبوه طريدي رسول الله 9 ومعلونين على لسانه^(١) فلا بد وأن ينتقم من ريحانة الرسول 9 بالمثل أو يزيد، فلم يجد الحسين 7 بداً سوى الهجرة إلى حرم الله.

(١) قال الجاحظ في رسالة المفاخر: إنّ مروان بن الحكم كان هو وأبوه ملعونين على لسان النبي 9 وطريديه من المدينة مدة حياته، ثم في عهد أبي بكر وعمر كلما تشفع عثمان فيهما وفي إيوائهما لم يجد حتى ولي عثمان فأوي مروان إلى المدينة على كره المسلمين ذلك حتى كان هذا الأمر أحد أسباب قيام المسلمين على عثمان وقتله». المؤلف

رسائل الجاحظ، تحقيق: علي ابو ملحم، رسالة فضل هاشم على عبد شمس، باب جور امية، ج ١، ص ٢٣٤ [المحقق]

نظرة في هجرة الحسين (ع)

يصف الواصفون لتاريخ الحسين 7 أشد ليالي حياته عليه ليلة مقتله في الطف، تلك الليلة التي حوَّصر فيها هو وذووه في بقعة جرداء وضافت عليه الأرض بما رحبت، ومُنِع حتى من شرب الماء المباح فلم تهجع عيناه حتى الصباح، ولا يبعد أن يكون أشد ليالي الحسين ليلة مرجعه من مجلس الوالي في المدينة وحيرته في سيرته مع القوم الظالمين، إذ كان الحسين 7 ليلة مقتله على بصيرة من أمره، وأن ليس بينه وبين الجنة سوى سويحات؛ لكنما الحسين 7 في ليلة هجرته من مدينة جدّه كان في جهاد فكري وألم عقلي يفكر في مبايعته ليزيد وكونها ضرباً من المحال، ثم يفكر في بقائه في حرّم جدّه، ولكن ذلك استسلام لمروان فيما يفعل به وبأسرته من قتله المستلزم لقتال رجاله وذبح أطفاله ونهب أمواله وإرسال بناته مع رأسه إلى يزيد كان مروان ممن يفعل ذلك ويزيد عليه تشفياً لنفسه وانتقاماً لأمية وتزلفاً ليزيد ولم يكن ابن مرجانة بأوتر منه ولا أشقى، إذن فبماذا يصنع الحسين 7؟ إلا أن يهاج إلى مكة ابتغاء الابتعاد من المنطقة المروانية، ولقاء وجوه المسلمين في الحج، وانتظار الفرج. ولكن كيف يهاجر بأسرته الوفيرة العدد بلا عُدَد؟ والهجرة بالأهل ليس بالسهل، لاسيما في مسالك وعرة غامضة الحال مبهمة الاستقبال وفي النهاية اختار الحسين 7 هذا الرأي الأخير على

اطمأنت بك الدار فيه وإلا لحقت بالرمال والجبال، ومن بلد إلى بلد حتى

(١) محمد بن الحنفية: هو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب 7 وأمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس، كان يكنى أبا القاسم، كثير العلم ورع، شجاع، شهد المعارك مع والده وكان حامل الراية في الجمل وصفين، توفي سنة ٨١هـ، ودفن في البقيع. = ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٩٣ - ٩٤، ١١٧؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر (٥٩٧هـ)، صفوة الصفوة، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، (الإسكندرية، د.ت.)، ج ١، ص ٢٨٩. [المحقق]

(١) وللمزيد عن المحاورة بين محمد الحنفية والإمام الحسين 7: ينظر (الإرشاد ج ٢: ص ٣٤ ؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ، ص ٢٥٣ [المحقق]

(٢) هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب 7، وأمه

(١) الخَتَنُ: بالتَّخْرِيكِ (التاء المفتوحة): الصهر أي زوج البنت أو زوج الأخت، وكذلك كل

(٢) في مقاتل الطالبين: «إن عون بن عبد الله بن جعفر أمه زينب العقيلة إلى أن قال : والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة 3 في فدك فقال: «حدثتني عقليتنا زينب بنت علي» أما أم محمد فهي الخوصاء. المؤلف

(أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، النجف الأشرف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٥، ص ٦٠) [المحقق]

وسار عبد الله إلى عمرو بن سعيد^(٢) فسأله أن يكتب للحسين 7 أماناً ويمنيه ليرجع عن وجهه. فكتب إليه عمرو بن سعيد ولحقه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر بعد نفوذ ابنه ودفعاً إليه الكتاب وجهداً في الرجوع فقال: «إني رأيت رسول الله 9 في المنام وأمرني بما أنا ماض له» فقالوا: «فما تلك الرؤيا؟» قال: «ما حدثت أحداً بها ولا أنا محدث حتى ألقى ربي عز وجل» فلما آيس منه عبد الله بن جعفر أمر ابنه عوناً ومحمداً بملازمة الحسين والمسير معه والجهاد دونه^(٣).

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩١ [المحقق]

(٢) هو أبو أمية عمرو بن سعيد بن العاص بن عبد شمس بن عبد مناف، سمي

للمزيد ينظر: ابن سعد (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى ،

بيروت: دار صادر، [د.ت.]، ج ٥: ص ٢٣٧ [المحقق]

(٣) للمزيد ينظر: الإرشاد ج ٢: ص ٦٩ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ٢٩٢ [المحقق]

لقد فشل ابن سعيد والي الحجاز بعد الوليد في تدابيرهِ لإقناع الحسين⁷ بالرجوع إلى مكة كي يحصره فيها وفي منطقهِ نفوذهِ، وقنع عبد الله بن جعفر الطيار عن الإمام بإجازة بقاءهِ في وطنهِ وقنع الحسين⁷ منه بإرسال شبابه الباسلين، وقد كانا ناصريه بالنفس والنفيس وكانت أمهما زينب نصيرته في نهضته، وخليفته على صبيته، وسلوته من كل أحزانه، ومديرة أمر عياله وبيوت أصحابه ورجاله، ولولاها لا نفرط عقد يتماه بعد قتله، ولولاها لانتشر نظام أهله بعد انتهاب رحله، ولولاها لقضي على خلفه العليل وانقرض نسله الأصيل.

هجرة الإمام من مدينة جدّه

سار حسين النهضة من حرم جدّه ولم يقتصر في الوداع على قبره الطاهر، إذ المسافر يوداع من وطنه المحبوب كلما وقع نظره عليه من صاحب وأحباب وغيرهما حتى الماء والتراب، أما ركب الحسين 7 فكانوا يودعون الربوع وداع من لا يأمل الرجوع.

خرج الحسين 7 من حرم جدّه 9 خائفاً يتقرب يناجي ربه لينجيه من فراعنة مصره ونماردة عصره ذكره رحمة ربه^(١)، ومبدؤه خوف ربه، وغايته ببيت

(١) وهي اشارة واضحة من المؤلف لوجود تشابه كبير بين خروج موسى 7 خائفاً يتقرب من فرعون وجنوده وخروج الامام الحسين 7 خائفاً يتقرب من يزيد وجنوده، = ويرى المحقق ان التشابه واضح من حيث الخصمين، فكلاهما فراعنة عصريهما، ومن حيث المحنة والجو النفسي فكلاهما كان مطاردا ويريد النجاة، فالامام الحسين 7 غادر مدينة جدة وهو يتلو قوله تعالى (فخرج منها خائفاً يتقرب قال رب نجني من القوم الظالمين) وهو نفس ما قاله موسى 7 عندما فر من فرعون مصر وجنوده، فالقوم الظالمون الذين عناهم موسى 7 هم فرعون وجنوده ومن اطاعهم، والقوم الظالمون الذين عناهم الإمام الحسين 7 هم يزيد وجنوده ومن أطاعهم، وكذلك لما وصل الإمام الحسين 7 إلى مكة، تلا قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) هو نفس ما قاله موسى 7 عندما ابتعد عن مصر واصبح على مشارف مدينة مدين، فالحسين 7 موقن أن مكة له بمثابة مدين بالنسبة لموسى 7، وما بقي الا

(١) خرج ابن الزبير ليلاً من المدينة قبل الامام الحسين 7 بليلة فأخذ طريق الفرع متجنباً الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة وللمزيد ينظر (مقتل الحسين لابي مخنف:ص٧؛ تاريخ الطبري ج ٤:ص ٢٥٢؛ الاخبار الطوال:ص ٢٢٨) [المحقق]

(٢) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٥ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦١ [المحقق]

(٣) سورة القصص :الآية ٢٢ [المحقق]

الهجرة الحسينية وانقلابات حول الستين

للحوادث أدوار تتعاقب كالليل والنهار، والتاريخ يعيد نفسه باختلاف الأطوار، فما أشبه هجرة الحسين 7 بأهله من المدينة إلى مكة خوفاً من آل أبي سفيان بهجرة جدّه محمّد 9 بأهله إلى المدينة من مكة خوفاً من أبي سفيان وحزبه، وبين اليومين نحو ستين عاماً، كذلك مجد أمية وأبي سفيان انقراض في فتح مكة على يدي محمّد بن عبد الله النبي الهاشمي 9 وانقرضت ثانية دولة آل أبي سفيان بعد مقتل الحسين 7 ببضع سنين، وبين اليومين نحو ستين عاماً،.. ثم بنيت على أنقاضها حكومة مروانية عاشت نحو ستين عاماً، ثم انقرضت هي وكل مجد لأمية على يدي محمّد بن عبد الله القائد الهاشمي، وألوا المبادئ والهمم والعلماء بمجاري الحركات في العالم لا تبرد عزائمهم مهما خابت مساعيهم ويواصلون المسعى بالمسعى وإن فشلوا والدهر دوار، وللتاريخ تكرار، وللنفوس إقبال وإدبار. فالناهض بفكرة صالحة لا بدّ وأن يثابر على نشرها والدعوة إليها ثابت العزم راسخ القدم لا ترحزه عواصف العواطف ولا تزلزله قواصف المخاوف، ولكن عليه أن يستخدم في سبيلها العبر والغير والأحوال، وبقاء الحال محال، حتى لو وجد محيطه بالغ الفساد غير صالح للإصلاح استبدل عن المكان بمكان، وعن الجيران بجيران، تلك سنّة الأنبياء والمصلحين حتى إذا فاز بهيئة صالحة وقوة مسلحة عاد

س . ما ورآك؟

ج . هاجر الحسين 7 من مدينة جدّه.

س . لماذا؟

ج . لأنّ يزيد قصد إرغامه على مبايعته.

س . نعم! نعم ما صنع الحسين 7 فإنّه لو بايع يزيد الجائر المتجاهر

بفسقه فعلى الإسلام السلام، إذاً ماترى أن يكون؟

ج . ليس سوى اجتماع المسلمين حوله ونصبه خليفة كأبيه علي 7 ليحيي بعلمه معالم دين جدّه، ويحامي بغيرته الهاشمية عن مصالح المسلمين، وينفذ بقوة إيمانه العلوي أحكام القرآن النازل في بيته. هذه وأمثالها كانت أحاديث أكثر المجاميع يومئذ في الحجاز أولاً وفي سائر الأقطار بعده، وما فاز الحسين بهذه الإذاعة والإشاعة إلاّ بخروجه من المدينة مظلوماً وناقماً على الظالمين.

الحسين (ع) وابن الزبير

استقوت بحركة الحسين (ع) عزائم ابن الزبير، وجهر بخلاف يزيد، ورفض بيعته، ولازم مكة أم القرى يسلك مسلك الحسين، إلا أن غايته كانت الدعوة إلى نفسه في حين أن الحسين (ع) لم يصرح بالدعاء إلى شخصه وإنما أجهر برفضبيعة يزيد فقط، وبالتقية من شر أمية راضياً بأن يخلّى له السرب كي ينفذ إلى ثغر من الثغور، كذلك الشريعة تقضي على المسلم إذا لم يسعه إظهار دينه في بلده أن يهاجر منها إلى مأمن لا يضطر إلى التقية ، وسبط الرسول 9 أخرى بالتزام شريعته. وكان يتسع نطاق شيعته يوماً فيوم لإخلاص الحسين (ع) في أمره، وجلي فضله، وسمو شرفه، وكرم محتده. لكن حزب ابن الزبير وإن كان صغيراً قد نفع الحسين في تنفير العامة من بني أمية وكانت لابن الزبير وأبيه سابقة سوء مع علي 7 في بدء خلافته بالرغم من القربى الماسة بينهم حتى قال عنهما علي 7 «لم يزل الزبير منا حتى نشأ ابنه عبد الله»^(١)، لكنما الغاية المشتركة من خوف وضعف اتجاه العدو القوي دعتهما إلى تجديد عهود الولاء ونسيان سواف البغضاء، فصار يزور كل منهما الآخر عشية وضحاها وقد صار لمظهر اتحاد ابن الزبير مع الحسين أثر حسن ورهبة في نفوس من عاداهم ومن عداهم، وذهبت الرسل

(١) الإمامة والسياسة ج ١: ص ١٨، ٢٨ [المحقق]

وضعية الإمام في مكة

حل الحسين في حرم الله مستجيراً به ممن يريدون إرغامه على مبايعته لرجل الجور والفجور، وقد استحسن المسلمون اعتصامه بالتقاليد المقدسة عند المسلمين فأخذ القادمون إلى الحجّ يتهافتون عليه، ويهتفون بالدعوة إليه، ويطوفون حوله هذا يلتمس العلم والحديث، وذلك يقتبس منه الحكم النافعة والكلم الجامعة ليتهدي بأنوارهما في ظلمات الحياة والرجل بينهم مرآة الكرامة والشهامة ومثال الحكمة والسلامة، فطارت في الأقطار أخباره وآثاره، وتواترت الكتب والرسل والوعود والوفود لاسيما من كوفة العراق . عاصمة أبيه . من وجوه شيعته ومواليه إذ بلغهم هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين 7 وامتناعه من بيعته وما كان من أمر ابن الزبير في ذلك وخروجهما إلى مكة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي^(١)، فذكروا معاوية فحمد الله سليمان وأثنى عليه ثم قال: «إنّ معاوية

(١) سليمان بن صرد الخزاعي: هو من التابعين الكبار وزهادهم، ومن أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين : كان أسمه في الجاهلية يسار ولما أسلم سماه الرسول 9 سليمان ويكنى أبا المطرف، ذُكر في رجال الشيخ انه من أصحاب أمير المؤمنين والمتخلف عنه يوم الجمل، وقد رده السيد الخوئي في معجم رجاله بقوله "وأما تخلفه

الحسين (ع) يختار الكوفة

كانت خطة الحسين 7 إلى حين تواتر الرسل والكتب إليه خطة دفاع عن نفسه والالتجاء من أاثامبيعة يزيد إلى ملجأ حصين.

غير أنّ صريخ البلاد والعباد وهتاف الأنصار والأمصار به وله وإليه حوّلا فكره من دفاع محدود إلى دفاع وسيع النطاق، رجاء نصرة الدين ودفع عادية الظلمة عن المسلمين فاستخار الله وندب إلى العراق . بعد ما كتب إليهم . ليث بني عقيل مسلماً ابن عمّه حتى إذا وجدهم على ما كتبوا إليه توجه إليهم بنفسه وأهله. وكان مسلم كبقية آل علي رجل الصدق والصفاء ومثال الشجاعة والإيمان، فقام لأمر صهره وسيّده الحسين 7 وما قدم الكوفة إلّا وتكوّنت جماهير الرؤساء لأخذ يمينه يبايعونه نائباً عن الحسين وقد كان لآل علي (ع) وفي صدورهم عتاب مع أهل الكوفة في خذلانهم الحسن بن علي (ع) واغترارهم بدراهم معاوية. إلّا أنّ حسن استقبلهم لمسلم محا كل عتاب وكفر كل ذنب، لاسيما وأنّ الكرام سريعو الرضا والمصلح لا يحفظ غلاً أو حقداً.

فكتب مسلم إلى الحسين (ع) بإقبال العامة وإخلاص الخاصة، نادمين على ما فرطوا في جنب البيت الهاشمي الذي كان سلطانه أنفع لدينهم ودنياهم. وحث الحسين 7 على القدوم إلى العراق ليجدد على ربوعه معالم أسلافه.

بنو أمية والخطر الحسيني

أخذت قضية الحسين (ع) تحرك العزائم وتنبيه المشاعر في الدوائر الأموية، وساد القلق على حلفائهم وأوليائهم وهم عالمون أنّ حسيناً يضرب على أيدي الجائرين ولا يولّي فاسقاً أمر المسلمين، فغدت رجال الحكم الأموي السنة وعيوناً وأقلاماً وسيوفاً ضد الحركة الحسينية - لاسيما في مناطق العراق والحجاز - واستفروا قبل كلّ شيء حكومة الشام والهيئة المركزية بالتأهب للخطر الهاشمي. فكتب عمر بن سعد وعمارة بن عقبة وعبد الله بن مسلم وأضرابهم إلى يزيد: «أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين (ع) فإن يكن لك حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير^(١) - والي الكوفة - رجل

(١) النعمان بن بشير الأنصاري الخرجي وكنيته أبو عبد الله وقيل أبو محمد، وُلِدَ في المدينة المنورة، بعد هجرة النبي 9 بأربعة عشر شهراً لذا عدّه المؤرخون أول وليد في الإسلام، وهو ابن أخت عبد الله بن رواحة، كان من المقربين جداً من عثمان بن عفان، وهو الذي حمل قميص عثمان بعد مقتله إلى معاوية في الشام ووضعه على المنبر بدمائه فضّل الشاميون يكون عليه سنة كاملة، حضر مع معاوية حرب صفين ، وبعد استشهاد أمير المؤمنين 7 ولاء معاوية إمارة الكوفة سنة (٥٩هـ) ثم عزله يزيد

= أهل حمص في ذي الحجة سنة ٦٤ هـ ، وللمزيد ينظر: (ابن سعد ، الطبقات ج ٥ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٦ ؛ ابن حجر، الإصابة ج ٦ ، ص ٢٤٠ ج ٣ ، ص ٥٢٩ ، الطبري ج ٨ : ٣٤٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ١١ : ٣) [المحقق]

(١) الطبري ج ٤ ، ص ٢٦٥ [المحقق]

أما يزيد فلم يكن منه بادئ بدء سوى استشارة «سرجون»^(١)، مولى أبيه معاوية في كتب القوم إليه، فأشار عليه باستعمال عبيد الله بن زياد على العراق، وكانت بينه وبين يزيد برودة وأبرز سرجون ليزيد عهداً كان معاوية قد كتبه في هذا الشأن قبيل وفاته حسب ما ذكره المؤرخون^(٢)، فوافق يزيد على ذلك وأنهى إلى ابن زياد عهده وكتب إليه: «أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين ، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تتفقه وتوثقه أو تقتله أو تنفيه»^(٣)، فأخذ ابن زياد من كتاب يزيد ورسوله قوة وبصيرة وصلاحية واسعة في المال وبث المواعيد.

(١) سرجون بن منصور الرومي: كان خاملاً فرفعته الكتابة فاتخذ معاوية بن أبي سفيان كاتباً له وصاحب سره، كما وأصبح فيما بعد كاتباً ليزيد بن معاوية ومروان بن = الحكم وعبد الملك بن مروان، كان نصرانياً فأسلم على يد معاوية، كان يزيد ينادمه على شرب الخمر، وهو الذي أشار على يزيد أن يولي على الكوفة ابن زياد لما بلغه خبر مسلم بن عقيل بها . (الطبري ج ٢ : ٢٢٨ و ٢٣٩ ، وابن الأثير ج ٤ : ١٧ ؛ تاريخ دمشق ج ٢٠ : ص ١٦١ ؛ صبح الأعشى للقلقشندي ج ١ : ص ٦٩) [المحقق]

(٢) كما في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٦ وإرشاد المفيد ص ٨٤ المؤلف .

(٣) الإرشاد ج ٢ : ص ٤٢ ؛ تاريخ الطبري ج ٤ : ص ٢٦٥ [المحقق]

رأت حكومة يزيد من الدهاء والحزم سكوتها عن ابن الزبير مؤقتاً حتى يحسم الزمان أمر الحسين (ع) الذي أصبح يهدد كيان أمية أي تهديد، فإذا قضت أمية لبانتها من الحسين (ع) سهل أمر ابن الزبير عليها؛ لأنّ الرعب يسود على أصدقاء يزيد بعد الإجهاز على الحركة الحسينية؛ ولأنّ موقع ابن الزبير في النفوس ليس كموقع الحسين (ع) منها، لاسيما وابن الزبير شحيح . ولا يسود إلاّ من يجود، ولأنّ ابن الزبير لم يرتبط ببلاد ذات خيرات وبركات كالعراق حتى يستفيد من ميزتها وذخيرتها لجيشه لو انتضى له جيش، فلو فرض استمراره على خلاف يزيد بعد الحسين (ع) فجند أمية تحاصره في بلاد الحجاز القاحلة بين الجبال والرمال حتى يسلم هو وجنده أو يقاتل وحده، والوحيد مغلوب.

الكوفة بنظر الحسين(ع)

شاعت مبايعة العراق للحسين (ع) بالإمامة ففرح أوليائه وأهل الحرمين وتفاؤلوا من ذلك بعود الحق إلى أهله، عسى أن تموت البدع وتحيا السنن. لكن خاصة الحسين . بعد الاطلاع على سفر مسلم إلى العراق . كانوا بين محبذ ومخطئ ويمثل الأخير عبد الله بن عباس فجاء إلى الحسين (ع) يحذّره من الرواح إلى العراق ويذكّره بخذلانهم أخاه وعصيانهم أباه في حين أنّهم لم يكونوا يحلمون بإمام كأبي الحسن (ع) أشرف الناس، وأذكاهم، وأفصحهم وأسخاهم، وأعلمهم، وأتقاهم يلبس الخشن ويكسوهم حلله، ويبيت طاوياً وينفق عليهم مأكله، ويكد من سعي وسقي، وتصدق على الفقراء. وإذا شئت عليهم الغارات فهو في مقدمة المدافعين عنهم، يخوض بنفسه حومة الوغى حتى يهزم الجمع ويولون الدبر. فأَي إمام يكون لهم كعلي وكيف كافئوه وأهله في حياته وبعد وفاته؟!

نعم؛ ابن عباس كان حبر الأُمّة وولي الأئمة، ربّاه أمير المؤمنين 7 وعلمه وأسرّ إليه من صفوة معارفه، وكان راجح العقل والفضل والخلق، وكان من أعز أقرانه على الحسين، فإنّ علياً قام في سنوات اعتزاله الخلافة بترية غلّة في المدينة من أسرته وأحبّته.

لكن الإمام لم يأخذ برأي محدّر إذ كان يحسب نفسه في واد والمحدّر في واد فحسين الفتوة- ونفس أبيه بين جنبيه- لا يسعه إلا أن يلبي المستغيث به ولا يطيق الصبر على محق الدين وسحق الموحّدين ولو ذاق في جهاده الأمرين إنّ غاية ما كان يراه في تحذير المحدّرين أنّ العراق لا يفي بوعده ولا يقوم على عهده، فهب أنّ ذلك كذلك فما ضرّ الإمام أن يتمّ الحجّة عليهم قبل أن يتموا الحجّة عليه، فإن ظفر بمطلبه من إبادة الظالمين فيها ونعمت وإلاّ سار عنهم إلى الثغور القاصية حتى يفتح الله عليه بالحق وهو خير الفاتحين، أو يأتيه الموت فيلاقي ربّه غير خاضع لأعدائه.

أمّا رحل الحسين (ع) وفتيته فكانوا كلّما ذكروا العراق تجلّت لديهم ذكرياته الحسنى، وتذكّروا حنانه نحو الغريب وطلاوة الحديث الجذاب والعواطف الرقيقة ، وذكروا عذوبة مائه وطيب هوائه علاوة على ذكر من لقوه بالكوفة ممن تبودلت بينه وبينهم الحقوق والنعم والعواطف الحسنات.

فكانت هذه والتي سبقت خواطر مهمة أدّت إلى المسير نحو العراق وقبول ما استدعاه وكيله الأمين مسلم في كتابه، غير أن الجميع واثقون من أن الرحيل إلى العراق لو كان فإنّما يكون بعد فريضة الحج وبعد الأضحى.

خروج الحسين (ع) من مكة^(١)

كان الحسين (ع) أوسع علماً وأقوى ديناً ممن انتقدوا عليه الخروج من مكة قبل إكمال الحج مستبدلاً حجه بعمره مفردة ليتسنى له الخروج يوم التروية^(٢) ومجاوزة حدود الحرم بأقرب وقت ممكن إذ صار بين جاذب ودافع تجذبه ظاهراً أنباء حجاج العراق بأن ابن زياد تأهب للخروج من البصرة نحو الكوفة، والحسين (ع) يعرف مبلغ دهائه وريائه وقوة إقدامه وجسارته، وأنه

(١) لم يكن الطريق الذي سلكه الإمام الحسين (ع) من مكة إلى كربلاء ممهداً وميسوراً بل كان صعباً وكثير المنازل، لم يحط رحاله (ع) في جميعها، بل مر في بعضها ونزل في البعض الآخر لغرض الراحة أو الصلاة، وبات في بعضها الآخر ليلة، وقد تم إحصاء المنازل التي مر بها الإمام 7 ما بين مكة وكربلاء وهي كالتالي:

التنعيم - الصفاح - العقيق - ذات عرق - غمرة - مسلح - الإفعية - معدن بني سليم - الغمق - السليلة - الريدة - مغيثة الماوان - معدن النقرة - الحاجر من بطن الرمة - سميراء - تَوْز - فيد - الأجفر - الخزيمية - زرود - الثعلبية - بطن - الشقوق - زباله - بطن العقبة - واقصة - شراف - القرعاء - المغيثة - ذي حُسم - الببيضة - عذيب الهجانات - قصر بني مقاتل - ثم كربلاء، للمزيد يُنظر: مسيرة الامام الحسين 7 الى كربلاء (دراسة تحليلية)، احمد عليوي صاحب (رسالة ماجستير، جامعة بغداد/كلية الآداب، ٢٠٠٧) ص ٨٩ [المحقق]

(٢) وقصة خروجه المذكورة في إرشاد المفيد ص ١٩٨ المؤلف .

وأما دفاعه عن الحرم فعلمه بالمكايد المدبّرة من خصومه لحصره أو اغتياله في مكة من حين تفرّق الحاج منها. فيصبح إمّا مقتولاً أو مقاتلاً وفي كلا الأمرين هتك للحرم الممنوع فيه سفك الدماء، وقد بدت بوادر مناوئته من قدوم عمرو بن سعيد عامل يزيد قبل التروية بيوم، وتقدّمه الصلاة بالمسلمين، وبثّه العيون حول الحسين (ع) وحول ابن الزبير، فصلّى الإمام وطاف وسعى وحلّ الإحرام ثم خرج.

وبعدما عرف عمرو بن سعيد صرخ بالناس قائلاً: «اركبوا كل بعير بين السماء والأرض واطلبوا حسيناً»^(١) ولم يحتشم حرمة البلد الأمين ولا النبي الأمين 9.

بادر الحسين (ع) بمسيره قبل أن يبادر العدو إلى صدّه وإحصاره واغتياله، وألجأته الضرورة إلى حركة غير منتظرة وخارجة عن الحساب، وأوجد بمسيره

(١) الإمامة والسياسة ج ٢: ص ٦ [المحقق]

هذا والحسين (ع) يسير بموكبه الفخم وحوله أهله كهالة حول القمر كأن موكبه داعية من دعائه، فإن الخارج يومئذ من أرض الحج والناس متوجهون إلى الحج لابد أن يستلفت إلى نفسه الأنظار وإن كان راكباً واحداً فكيف بركب وموكب. إنه لأمر مريب وغريب يستوقف الناظر ويستجوب كل عابر. وهذه أيضاً عملية من شأنها شهرة أمر الإمام 7 وانتشار خبره الهام. وممن كان قادماً إلى الحج واستجلب نظره الركب والموكب الفرزدق الشاعر قال: «حجبت بأُمِّي في سنة ستين فبينما أنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين بن علي 8 خارجاً من مكة مع أسيافه وأتراسه فقلت: «لمن هذا القطار؟ قيل: «الحسين بن علي» فأثيته وسلّمت عليه وقلت له: «أعطاك الله سؤلك بأبي أنت وأُمِّي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟» فقال: «لو لم أعجل لأخذت» ثم قال لي: «من أنت؟» قلت: «امرؤ من العرب» فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك، ثم قال لي: «أخبرني عن الناس خلفك» فقلت: «من الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك والقضاء ينزل

وكان موكب الحسين (ع) يسير في بطون الفيافي والمفاوز وقوافل القلوب تشايحه من بعد بعيد وخفيف اللحاق من عشاقه مصمم على الالتحاق بموكبه بعد أداء فريضة الحج بأقرب ساعة، لكن الإمام يجد في مسراه والقمر دليل الركب ورفيقه ولما بلغ بطن عقبة لقيه شيخ من بني عكرمة فسأله: «أين تريد؟» فقال الإمام: «الكوفة»- فقال الشيخ- «أنشدك الله لما انصرفت، فوا لله ما تقدم إلا على الأسنة وحدة السيوف، وأن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطأوا لك الأشياء فقامت عليهم كان ذلك رأياً»^(٢) ، فقال له الإمام (ع) «ليس يخفى عليّ الرأي»^(٣) ولكن الله تعالى لا يغلب على

(١) للمزيد عن المحاورة ينظر: تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩٠ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ٦٧

[المحقق]

(٢) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠١ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ٧٦ [المحقق]

(٣) هنا حق الجواب عن اعترض على حسين الشرف: ولماذا لم يصلح يزيد كصلح الحسن 7 لمعاوية فينجو بنفسه وعياله من الهلكة؟

بلى جرب آل النبي غدر بني أمية عدة مرات ولم ينجحوا، إذ تصالح الحكماني في دومة الجندل، وغدر ابن العاص مندوب معاوية بأبي موسى الأشعري مندوب الإمام وصالح

ابن زياد على الكوفة

أمّا عبيدالله بن زياد فقد ضمّ يزيد الكوفة إليه مع البصرة فحسب ذلك ضرباً من الرفعة لا سيما وقد أعطي سعة النفوذ والسلطة التامة العامة. فمهّد أمره في البصرة وعهد بأزمّتها إلى أخيه عثمان وإلى أعوانه المجريين خوفاً من الدعاية فيها لابن الزبير أو الحسين (ع) وتأهب إلى الكوفة ومعه شريك الحارثي من حيث لم يعلم العامة أمرهما، وسرعان ما قدمها بكل جسارة ودخلها متتكرراً ومتلثماً وعليه عمامة سوداء يوهم الناس أنّه الحسين بن علي (١)8 وصار من يصادفونه في خطط الكوفة وطرقاتها يزعمونه الحسين السبط فيسلمون عليه بالإمامة، ويحيّونه بكل كرامة، ويقبلون يديه ورجليه، وهو لا يكلم أحداً فوق راحلته، حتى بلغ قصر الإمارة، فطرق الباب على واليها المحصور النعمان بن بشير، حتى إذا عرفه فتح الباب ودخل. عند ذلك فشى خبره، وأنه ابن زياد فباتت الكوفة تلك الليلة تغلي كالمرجل، والناس بين مثبتّ ومثبّط، وابن زياد دخل البلدة وحده وعلى حين غرة ولم ينزل إلّا في مركز الحكم، وأخذ في قبضته المال والسلاح، ورتب في ليلته على الدوائر المهمة من لم يتجاهروا بصحبة مسلم، وأصبح مناديه يجمع الناس لخطابته في الجامع الأعظم، فرقى المنبر بكل جسارة . وجسارة

(١) كما في الإرشاد ص ١٨٥ . المؤلف

نعم! لا ينقضي العجب من خيبة الكوفة في نهضتها إلا بعد التدبر في أسبابها وأسرارها، إذ باغت ابن زياد الكوفيين بزي الحسين 7 حتى استقر في دار الإمارة بين حامية مستعدة، وقد كان الواجب على أهل الكوفة بعد ما لبي الحسين 7 دعوتهم وإرساله مسلماً وكيلاً عنه أن تجتمع أحيائها ويتحدث رؤساؤها فيخرجوا عامل يزيد وحاشيته، ويسلموا دوائرها إلى وكيل الحسين 7، وأن يقترحوا عليه من الأعمال المهمة ما هم أدري به وأعرف، ومسلم لم يقدم عليهم كوال مختار أو مفوض مطلق ليستقل في أعماله وأعمالهم بالتصرف والمسؤولية. وإنما بعثه الحسين 7 كمعتمد يشرف على أمرهم ويستطلع حقيقة خبرهم. لكن الكوفيين . يا للأسف . غروا مسلماً واغتروا، ولم يغتنموا صفاء جوهم وتواني عددهم إلى أن دهمهم ابن زياد وفرق جمعهم بالوعد والوعيد وسكن فورتهم بالطمع والتهديد، حتى إذا سكت الضجيج من

(١)المسيب بن نجية الفزاري الكوفي :من أصحاب أمير المؤمنين والحسن المجتبى
ومن التابعين، شهد مع أمير المؤمنين 7في حرب الجمل، خرج في طلب ثار
الحسين 7 منادياً بالثارات الحسين،استشهد سنة ٦٥ في معركة عين الوردة(تاريخ
الطبري ج ٤:ص ٢٦١ ؛ الإرشاد ج ٢:ص ١٤) [المحقق]

مقتل مسلم وهانئ

إنَّ مسلماً . وهو الذي بايعه أكثر من ثلاثين ألف مسلم . بقي وحيداً فريداً بعد القبض على الوجوه من أوليائه، فلاذ بصديقه هانئ . أكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً وبصيرة وعشيرة . إذ كان معمرّاً فوق الثمانين وشيخ كندة أعظم أرباع الكوفة، وكان إذا صرخ لبّه ثلاثون ألف سيف، وكان هو وأبوه من أحبة علي (ع) وأنصاره في حروبه العراقية الثلاث.

فأنزل هانئ مسلماً على الرحب والسعة والحفاظ حتى يفرج الله عنه، وتظاهر هانئ بالتمارض مجاملة مع ابن زياد في عدم إجابته لدعوته، لكن ابن زياد يطمع في هانئ وسابقته معه ويرى في جذب أمثاله من المتنفيذين معونة كبرى لإنفاذ مقاصده.

ويروى أن هانئاً^(١) اقترح على عميد آل عقيل ومندوب الحسين 7 (مسلم) الفتك بابن زياد غيلة وغفلة لكن مسلماً لم يجب بسوى كلمة «إنّا أهل بيت نكره الغدر».

(١) كما في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٦، ومقاتل الطالبين وتاريخ الطبري وغيرها المؤلف

كلمة كبيرة المغزى بعيدة المرمى، فإنَّ آل علي 7 من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة واختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخدعة، شنشنة فيهم معروفة عن أسلافهم وموروثة في أخلافهم كأنَّهم مخلوقون لإقامة حكومة الحق والفضيلة في قلوب العرفاء الأصفياء، وقد حفظ التاريخ لهم الكراسي في القلوب. وبالجمل، فقد دبَّر ابن مرجانة حيلة الفتك بهائى فأحضره لديه بحجة مداولة الرأي معه في الشؤون الداخلية. غير أنَّ هائناً عندما حضر لديه غدر به ابن زياد، وشمَّ عرضه، وهشم أنفه، وقطع رأسه.

وكان لهذه الحادثة دوي في الرؤوس وفي النفوس، واستولت بذلك دهشة على الجمهور أدت إلى تفرُّق الناس من حول مسلم، فأمسى وحيداً حائراً بنفسه ومبيته، وأشرف في طريقه على امرأة صالحة في كندة . تسمَّى طوعة، هي أم ولد حازت شرف التاريخ، إذ عرفت قيمة الفضيلة، بينما قومها ضيَّعوا هذا الشرف الخالد وغرَّتهم المطاعم جالسة على باب دارها فاستسقاها ماء فجاءته به وشرب ثم وقف يطيل النظر إلى مبدأ الشارع تاره والى منفذه أخرى . كأنَّه يتوقف من يتطلبه . فتوسمت المرأة فيه غريته وسألته فقال: «نعم أنا مسلم بن عقيل، خذاني هؤلاء» فاستعظمت طوعة ذلك ودعته إلى بيتها لتخفيه حتى الصباح، وفرشت له في بيتها وعرضت عليه العشاء فلم يأكل، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها وقد كان مع الغوغاء، فأوهمه تردد

اضطر ابن الأشعث إلى وعده مسلماً بالأمان إذا ألقى سلاحه فقال: «لا أمان لكم» وبعدما كرروا عليه رأى التسليم فريضة محافظة للنفس وحقناً للدماء فسلم إليهم نفسه وسلاحه ثم استولوا عليه فعرف أنه مخدوع فندم ولات وحين مندم. ولما أدخلوه على ابن زياد لم يسلم عليه بالإمرة فقال له الحرس: «ألا تسلم على الأمير؟». فقال: «إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟!». فقال له ابن زياد: «لعمري لتقتلن». قال: «فدعني أوصي بعض قومي». قال: «افعل». فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال: «يا عمر إن

فقال عمر لابن زياد: «أتدري أيها الأمير ما قال لي؟» فقال له ابن زياد: «أكتم على ابن عمك». قال: «هو أعظم من ذلك، إنه ذكر كذا وكذا». فقال له ابن زياد: «إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن. أما ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأما جثته فإننا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأما الحسين فإن هو لم يردنا لم نرده» ثم قال لعمر بن سعد: «أما والله إذ دلل عليه لا يقاتله أحد غيرك».

ثم أقبل ابن زياد على مسلم يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً ومسلم لا يكلمه، ثم قال ابن زياد: «اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثم اتبعوه جسده» فصعدوا به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله ويقول:

أجل! قتل مسلم وقتل به أمل كل مسلم وأسقطوا بجسمه من على القصر .
سقوط الجسم لا سقوط الاسم.

هذا، وعيون الناس ترى هائناً في السوق وابن عقيل، وما جنة الرجلين بذلك
النظر الفضيع إلا آية انحراف الحزب السفيناني عن سنن الدين، وموعظة
موقظة للغافلين، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر، وفي كوفة الخذلان ما أكثر العبر
وأقل المعبر.

(١) للمزيد عن قصة مسلم بن عقيل منذ دخول ابن زياد إلى الكوفة وحتى مقتله ينظر
: [مقاتل الطالبين: ص ٦٨؛ الإرشاد ج ٢: ص ٥٥؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٨٣] [المحقق]

حالة الحسين (ع) بعد مقتل مسلم

روى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشعل الأسديان^(١):

لَمَّا قُضِيَنا حَجًّا لَمْ تَكُنْ لَنَا هَمَّةٌ إِلَّا اللَّحَاقُ بِالْحُسَيْنِ ٧ فِي الطَّرِيقِ لَنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، فَأَقْبَلْنَا تَرْفُلَ بَنِي نَاقَتِنَا مُسْرِعِينَ حَتَّى لَحَقْنَاهُ بِزُرُودٍ^(٢)، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ حِينَ رَأَى الْحُسَيْنَ، فَوَقَفَ الْحُسَيْنُ ٧ كَأَنَّهُ يَرِيدُهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَمَضَى، فَقَالَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ «أَذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا لِنَسْأَلَهُ، فَإِنَّ عِنْدَهُ خَبَرَ الْكُوفَةِ» فَمَضَيْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا فَقُلْنَا «السَّلَامُ عَلَيْكَ» فَقَالَ: «وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ» قُلْنَا: «مَنْ الرَّجُلُ؟» قَالَ: «أَسَدِي» . قُلْنَا لَهُ: «وَنَحْنُ أَسَدِيانَ، فَمَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: «أَنَا بَكْرُ بْنُ فُلَانٍ» وَانْتَسَبَ وَانْتَسَبْنَا

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩٩ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ٧٣ [المحقق]

(٢) الزرود: محطة رملية مشهورة على طريق الكوفة بين الثعلبية والخزيمية ومفردها زرد أي البلع ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب لأنها رمال وفي هذا الموضع التقى الإمام الحسين ٧ بزهير بن القين، ودعاه إلى نصرته والمسير معه، فلبى الدعوة، والتحق بقافلته وقدم معهم إلى كربلاء واستشهد فيها، (معجم البلدان ج ٣، ياقوت الحموي، بيروت: دار التراث العربي، ١٩٧٩، ص ١٣٩) [المحقق]

فنظر إلى بني عقيل فقال: «ما ترون؟ فقد قتل مسلم» فقالوا: «والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أونذوق ما ذاق» فأقبل علينا الحسين 7 وقال: «لا خير

(١) الثعلبية: مدينة كبيرة تقع في طريق الكوفة إلى مكة عليها سور وذات حمامات وسوق ومسجد جامع فضلا عن إنها موضع استراحة الحاج للتزود بما يحتاج إليه (مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء: دراسة تحليلية، ص: ١١٠) [المحقق]

نعم! حسّ الجميع وفي مقدمتهم الحسين (ع) بالانكسار النهائي بعد ما جرى على مسلم وتبدل حالة الكوفة. وكانت هي المطعم الوحيد لصحب الحسين 7 والملجأ الحصين لرحله وأهله، فإذا كانت آمال الحسين (ع) معقودة على الكوفة وقد انقلبت هي عليه وقتلت معتمد الحسين (ع) فما معنى التوجه إليها؟ وأي اعتماد بقي عليها؟ لكن ثبات الحسين (ع) على سيرته ومسراه ضرب على هذه الأوهام وصانها من التفرّق.

(١) الإرشاد: ص ٢٠١ وغيره. المؤلف.

(للمزيد عن هذه المحاوره ينظر: الإرشاد ج ٢: ص ٧٣) [المحقق]

وشبل علي (ع) يرى في توجّهه إلى الكوفة . بعد كل ذلك . إبلاغ الحجّة والإعلام بأنّه أجاب دعوتهم ولبّى صرختهم، وأنّه لم ينحرف عن نصرتهم وقتلهم مبعوثه مع شيعته، فإنّ الإمام يعامل الأمّة دون الأشخاص والشخصيات ، وهو يأمل مع ذلك في مسلكه التحاق الأنصار، وتلبية الأمصار ، وانقلاب حالة الكوفة كرتة أخرى.

ولما شاع نعي مسلم في ركب الحسين (ع) وانقلاب الكوفة ضده بعد أن كانت المطمع الوحيد لتحقيق آمال أهله وصحبه، ولاسيما بعد ما خطب فيهم الإمام وحلّ عنهم البيعة والذمام صار كثير من ذوي الطمع وذباب المجتمع يتفرّقون عنه سرّاً وجهاراً ليلاً ونهاراً، وسلّموا وليّ نعمتهم حين الوثبة، وخذلوه عند النكبة، بعدما كانوا يضيّقون فسيح خوانه حتى على إخوانه.

لا ضير! فإن خفّ رحل الحسين 7 من القش وذوي الغش فقد ملأ فراغهم أبطال صدق ممن عشقوا الحسين (ع) فالتحقوا به لا خوفاً من رجاله ولا طمعاً في ماله، بل وجدوا من اختار نفسه ونفيسه فداءً للإسلام ففدوه بكل ما عزّ وهان.

مقابلة الحرّ للإمام (ع)

بعدما تمكن ابن زياد من إبطال الحركة الحسينية في داخلية الكوفة، واستأصل جذورها، وأباد بذورها بالوعد والوعيد والسجن والتبديد والفتك والهتك والتخويف والتوظيف واستعماله السيف والرغيف ومزاج الضرب بالضرب، واطمأن من داخلية الكوفة، وكسب الأمانة التامة عمد إلى الخارج وتمسك بالوسائل الفعالة ضد الحسين (ع) حينما استخبر نزوله في ذات عرق^(١) ودخله العراق - وبابه القادسية «الرحبة» - فأرسل إليها جيشاً عليه

(١) ذات عرق: هو مكان في البادية قرب عقيق الطائف، سمي بـ(ذات عرق)، لان فيه عرقاً وهو الجبل الصغير، وقيل العرق من الأرض السبخة تثبت الطرفاء،

وفي

ذات عرق التقى الحسين 7 بأحد رجال بني أسد يقال له بشر بن غالب، حيث سأله 7 من أين جئت، فقال من العراق، فقال له: كيف خلفت أهل العراق؟ قال خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية، لسان العرب ج ١٠، ص ٢٤٩؛ السيوطي، سنن النسائي ج ٥، ص ١٢٣، تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩٠ [المحقق]

(١) الحُصَيْن بن نمير السكوني: (حصين بضم الحاء المهملة وفتح الصاد والياء)، قائداً عسكرياً من قادة الدولة الأموية، أصبح فيما بعد قائد لشرطة الكوفة من قبل عبيد الله بن زياد، اشترك في حرب الإمام الحسين 7 فقتل حبيب بن مظاهر الأسدي وعلق = رأسه على رقبته حصانه، وفي سنة ٦٢ هـ وبأمر من يزيد بن معاوية حاصر الكعبة وضربها بالمنجنيق واستباح المدينة المنورة ، وقد اختلفت المصادر في مقتله فمنهم من قال أنه قُتل من قبل إبراهيم بن الأشتر النخعي متأثراً بجراح أصابته ومنهم قال أنه قُتل خلال ثورة المختار الثقفي للمزيد ينظر: (تهذيب التهذيب ، أبن حجر ج ١ ، ص ٤٤٧؛ الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ، ص ٢٢؛ تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ، ص ٤٩٦-٤٩٧) [المحقق]

(٢) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف كان به سجن النعمان بن المنذر، وقيل بينهما وبين الرهيمه نيف وعشرون ميلا مغربا إذا خرجت من القادسية تريد الشام، أنظر، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤ ، ص ٢٧٤ ، ج ٧ ، ص ٧٠. [المحقق]

وكان ممن أرسله إلى حراسة البر الحر بن يزيد الرياحي^(١)، وقد تلقى ركب الحسين (ع) بعد وصوله إلى أشرف أمره بالتزود من مائها فوق قدر الحاجة بكثير ولم يعرفوا سر ذلك، حتى إذا بلغوا ذي حسم كبر رجل من أصحابه تكبيرة الإعجاب زاعماً أنه رأى نخيل الكوفة، وبعد أن أجمعوا على استبعاد رأيه وتحققوا علموا أنها رؤوس رماح وطليلة كفاح، فتحيز الحسين (ع) برحله هضاب ذي حسم قائلاً: «نحط بالرحل وراءه لنلق القوم من وجه واحد»^(٢).

وأخذ الحسين (ع) الاحتياطات الحربية ليلوذ رحله بالهضاب فيدفع الرماة من فوقها تأميناً لخطه الدفاع عن النواميس بكل معانيها، وما لبثوا حتى أسفرت

(١) الحر بن يزيد الرياحي اليربوعي من بني رياح (٦١ هـ): قائد في شرطة عبيد الله بن زياد، أرسله الحصين ابن نمير التميمي في ألف فارس من القادسية لاعتراض الإمام الحسين 7، فانصرف إلى الحسين تائباً، فقاتل بين يديه حتى استشهد في كربلاء مع الحسين 7، وقصته معروفة (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٢١؛ الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٦١؛ معجم رجال الحديث الخوئي ج ٥: ص ٢٢٩) [المحقق]

(٢) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٢ [المحقق]

أما الحر وأصحابه فقبل أن يظهروا مهمتهم أظهروا بلسان الحال والمقال عطشهم المفرط، وأنهم من طول جولاتهم في البر والحر حيث لا ماء ولا كلاء، وقد أشرفوا على العطب فأمر حسين الفتوة فتياناه وغلماناه بسقاية الأعداء وإرواء خيلهم^(١).

فعرف عندئذ صحب الحسين 7 سرّ استعداده بالماء ليوم سماح أو كفاح، ولما استعبد الحر بالبر. والبرّ يستعبد الحر . سأله عن غايته، فأجاب على استحياء بأنه مرسول إليه ليوفده على ابن زياد.

ولما قال له الحسين 7: «قم إلى أصحابك فصلّ بهم ونحن نصلي مع أصحابنا» أجابه الحر «بل تقدم إلى الصلاة يا ابن رسول الله ونحن نصلي

(١) في الإرشاد ص ٢٠٣ والطبري وغيرها. المؤلف

للمزيد عن الحوار الذي دار بين الإمام الحسين 7 والحر الرياحي ينظر: (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٣ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ٧٩) [المحقق]

ثم إنَّ الحسين (ع) لم يسعه . بعد أن رأى من كتبوا إليه كتائب عليه . إلّا الذكرى والاحتجاج، فقال: «يا أهل الكوفة! إنَّكم كتبتم إليّ ودعوتموني إلى العراق لإنقاذكم من سلطة الجور والفجور، فجئتمكم مليباً دعوتكم فإن كنتم قد تغيّرتُم عما كنتم عليه فاتركوني أرجع من حيث أتيت».^(١)

قال هذا وأخرج لهم الكتب اعتماداً على شهامة الحرّ - وصدور الأحرار قبور الأسرار - ولإتمام الحجّة على الحاضرين من أصحابه فاعتذر الحرّ بأنّه ليس ممن كتب إليه.

ولا ننسى أنّ الحرّ هاجت عليه في ذلك الموقف الرهيب أفكار متضاربة لم تسمح له الظروف الحاضرة أن يختار منها سوى طريقة وسطى عرضها على الإمام، وهي: أن يسلك من فجاج البر سبيلاً وسطاً لا يؤدّي إلى الشام

(١) محمد بن طلحة الشافعي (٦٥٢هـ)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول:، تحقيق: ماجد احمد العطية، البحراني؛ ابي الفتح علي بن عيسى الاريلي (٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت: دار الاضواء، [د.ت.]، ج٢، ص٢٥٧؛ عبد العظيم، من أخلاق الإمام الحسين 7 قم: انتشارات الشريف الرضي، ٢٠٠٠، ص١٨٣ [المحقق]

(١) قرية في الصحراء قرب الكوفة ، يقال لها اقساس مالك، سميت بهذا الاسم نسبة إلى مالك بن عبد هند، والقس في اللغة تتبع الشيء وطلبه وجمعه اقساس فيجوز مالك تطلب هذا الموضع وتتبع عمارته فسمي بذلك، على الرغم من إن المؤرخين لم يتحققوا من موقعها، إلا إن الحسين 7مرّ بها أثناء مسيره إلى الكوفة،

(معجم البلدان ج ١: ٢٣٦ ؛ الغدير ، الأمين ج

٥ :ص ٣) [المحقق]

الكوفة تقاد إلى الحرب

خضعت الكوفة لدهاء ابن زياد بعد مقتل مسلم، وانقادت إليه أحيائها ورؤساؤها، وذللت صعايبها تذليلاً، لكنه لم يزل قلق البال لعلمه بمبلغ تأثير الدعوة الحسينية في المجامع والمسامع وماله في العراق من سابقة ولاء وأولياء. وكان ابن زياد محنكاً قد درس هو وأبوه حالة العراق الروحية وسرعة انقلاب هوائه وأهوائه، وأنّ لأبنائه نائمة وقائمة، كم اغترت بهما أولياء الأمور والساسة، فجائز أن يأتيها الحسين 7 بجنود لا قبل له بها، أو يتمركز بالقادسية فتلتف حوله قبائل بادية الشام وعشائر الفرات ما بين الكوفة والبصرة أو يحدث من اقترابه دوي ينعكس صداه في داخل الكوفة فيستفز الحسيات والنفسيات فيثورون عليه ويستخرجون من سجونهم وجوه الشيعة ورؤوس القبائل، فلا يمسي ابن زياد إلا قتيلاً أو أسيراً.

وعلى أي يتهدّم كل ما بناه ولا يعود عليه التسامح إلا بالخسران، وعليه اندفع ابن زياد بجميع قواه إلى تأمين الخارج بعد تعزيز الأمن في الداخل وتحشيد الكوفيين لمحاربة الحسين 7، فبادر إلى احتلال القادسية قبل أن يسبقه إليها الحسين (ع) والنقاط المهمة في الحدود على خطوط سابلة الحجاز، ومالبت أن ورد عليه كتاب الحر الرياحي وأنته البشائر تترى على أنّ الحسين (ع) ورد وأبعد عن حدود الكوفة إلى جهة الشمال الغربي مسافة قاصية هو ونفر قليل من خاصته، بحيث لا يعود من الممكن أن يهيمن على ضواحي

بات ابن زياد ليلته هادئ البال، وكتب بذلك إلى يزيد لتأمين خواطر الهيئة المركزية، والمبادرة بتسجيل خدماته عند سلطانه وكأني به قد نبّه على ميلان الحر وصلاته بجيشه مع الحسين (ع) وقال ابن رسول الله جذاب النفوس بهديه ومستملك القلوب بحديثه، فلا يبعد أن يعلن الحر في صحبته ولاءه وانضمامه إليه، ويسري نبأ تمرده في أمثاله من أركان القيادة العسكرية، ويتسع الخرق على الراقع، أو يتمركز الحسين في الأنبار يحصر على ابن زياد الميرة والذخيرة، ولا يسع ابن زياد أن يحاصره بسبب شكل النهر، وموالة عشائر البر، وقربه من مدائن كسرى.

وأينما حلّ سبط الرسول (ع) ناشراً دعوته الصالحة سواء العراق أو إيران . فإنّها تصادف انتشاراً ولا تعدم أنصاراً. فوثب ابن زياد يبيت المواعيد ثانية ويوزع الأموال بين العشائر والأكابر ليؤلف منها أجناداً وقواداً.

ولاية ابن سعد وقيادته

كان التخوف من تسرب الدعوة الحسينية إلى وراء الفرات وحدود العجم لا يقصر عن التخوف من قدومه الكوفة، لأن القطرين العراقي والفارسي بينهما علائق متواصلة ومصالح متبادلة. حتى لقد كان اعزام عمر بن سعد حرب الحسين (ع) مع ترشحه لولاية الري بعض فصول هذه الرواية المحزنة، فإن ولاية إيران لا تكاد تستقر لابن سعد والحسين 7 متوجه إليها بدعوة نافعة وحجة بالغة وعائلة من لحمة النبي 9 وبين الحسين وبين الفرس مصاهرة في العائلة المالكة المنقرضة.

وكل هذه عوامل قويّة لنفوذ الدعوة الحسينية في بلاد كسرى، فلم يجد والي العراقين سبيلاً إلى إماتة هذه الظنون خيراً من ترشيح عمر بن سعد لولاية الري، وقد كان أبوه سعد بن أبي وقاص من قواد جيشها الفاتح، فلهم من شهرته كل الرعب وله تمام الرغبة فيهم، إذ كانت ولاية جمة المنافع متنوعة المطامع، ظاهر أنّ ولايتها يومئذ كانت ذات صلة قوية بإيقاف الحركة الحسينية ليتسنى لواليتها حرية الإدارة والإرادة، لذلك لما رأى من ابن سعد تزلفاً إليه والى يزيد، ونقمة على نهضة الحسين (ع) يوم كتب إلى يزيد بقوة أمر مسلم في الكوفة، ويوم أفشى إلى ابن زياد سر ابن عقيل في وصيته

نعم، وجد ابن زياد عمر أصلح الناس لإخضاع الحسين 7 سواء بغرض الإخضاع أو الإقناع، إذ كان يومئذ أمس الكوفيين رحماً بالحسين 7 وعليه مسحة شرف من قریش ونسبة إلى الحرمین ، فسرحه لمقابلة الإمام خداعاً واستظماً . وأكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

أما ابن سعد فقد استمهل ابن زياد ليلته ليفكر مستعظماً إقدامه على مقابلة الحسين 7 لعلمه أن الحسين داعية حق، وأنه كأبيه علي 7 أفضل من أن يخذع وأعقل من أن ينخدع ولا يسع ابن سعد إذا قابله أن يقاتله، بل يقضي عليه واجبه الديني والرحمي أن ينضم إليه ويقاتل خصومه بين يديه. غير أن له في ملك الري قرة عين، وبهجة نفس، وراحة عائلة، وتأمين مستقبل مديد، فبات قلقاً أرقاً بين جاذب ودافع، يجيل فكرته بين المضار والمنافع، ويردد أبياته المعروفة^(١):

(١) القصيدة معروفة للعين عمر ابن سعد وهي تعكس مدى ما كان يدور في نفسه من صراع، فعبّر عنه بتلك الأبيات، لكن حب الدنيا قد طغى على قلبه وأعمى بصيرته فلم يعد يهتدي إلى طريق الحق، بل وصل به الأمر إلى حد السفالة والدناءة فيفتخر بأنه أول من أطلق سهماً باتجاه معسكر الإمام الحسين 7 وهو يردد (أشهدوا لي عند الأمير بأني

فو الله ما أدري وإني لحائر ... أفكر في أمري على خطرين
 أأترك ملك الري والري منيتي ... أم ارجع مأثوماً بقتل حسين
 حسين ابن عمي والحوادث جمة ... لعمرى ولي في الري قرّة عين

= بعده ولم يحصل على مبتغاه بأن يصبح أميراً على ولاية الري، ولم يحقق الحلم الذي أرّق ليله وأقلق راحته، وبذلك خسر الدنيا والآخرة، وقد أكد ذلك الخبر ابن الجوزي بكتابه التذكرة حيث قال: "قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب في هذا، فإنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب، فقال: ويحك يا بن سعد، كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار؟ كما وذكر أمير المؤمنين 7 أبوه (سعد بن الوقاص) من قبل حين قال في خطبته "سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا نبأكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة" فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقام أمير المؤمنين 7 وقال "والله لقد حدثني خليلي رسول الله 9 بما سألت عنه، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفرك، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به، ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به، ولكن آية ذلك ما نبأت به عن لعنتك وسخلك الملعون وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو (تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي: ص ٢٢٣ ؛ الإرشاد ج ١: ص ٣٣١) [المحقق]

إِنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَغْفِرُ زَلَّتِي ... وَلَوْ كُنْتُ فِيهَا أَظْلَمُ الثَّقَلَيْنِ
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا بَخِيرٌ مَعْجَلٌ ... وَمَا عَاقِلٌ بَاعَ الْوُجُودَ بِدَيْنِ
 يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ جَنَّةٍ ... وَنَارٍ وَتَعْذِيبٍ وَغُلٍّ يَدِينِ

فَإِنْ صَدَقُوا فِيمَا يَقُولُونَ إِنِّي ... أَتُوبُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ سَنَتَيْنِ
 وَإِنْ كَذَبُوا فَزَنَّا بِدُنْيَا عَظِيمَةٍ ... وَمَلِكٍ عَقِيمٍ دَائِمِ الْحَجَلِينَ
 وَكَأَنَّ خَاطِرَهُ الْأَخِيرَ حَدَثَهُ بِأَنَّهُ: أَنْ أَظْهَرَ عَلَى الْحُسَيْنِ 7 فَبِهَا، وَإِلَّا فَحُسَيْنِ
 الْفِتْوَةَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يِعَاقِبَهُ أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ.

وبالجملة: فلم يشعر بنفسه إلا قائداً جيشاً كثيفاً إلى حرب الحسين 7 في
 نينوى، إذ بها يلتقي الخط العراقي الإيراني بالخط العراقي الحجازي وهي
 المرحلة المشرفة على نقطة الأنبار، فبلغه نزول الحسين 7 بكرلاء قبله بيوم
 مع قائد المفرزة الحر الرياحي.

منزل الحسين (ع) بكربلاء

إنَّ عوامل اليأس التي تبعت نعي مسلم وسوء صنيع الكوفة به لم تؤثر في عزيمة الحسين (ع) ، ولا ما بلغه من فاحش فعلهم برسوليّه عبد الله ابن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي^(١)، ولا ما رآه في ملتقاه بجيش الحرّ، لأنّ داعي الحق لا يقنط من روح الله. ولكنما جيش الكوفة هو الذي صدّه عنها وعن كل آماله فيها فسلّك ركبّه وموكبه سبيلاً وسطاً لا يدرون الغاية ولا يعرفون النهاية. الحر يساير الإمام كي يخرجّه عن حدود أميره حتى يعود إليه ببشارة تؤمّن باله وتطمّن خياله.

ويُخَيَّلُ للناظر في الحركة الحسينية أنّ في خلد الإمام أن يعبر الفرات إلى الأنبار والمدائن عسى أن يجد لدعوته أنصاراً وشيعةً وبيئةً وسيعةً، فبيناهم والحر في تيامن وتياسر إذ لحقهم راكب متنكب قوسه فسلم على الحر

(١) هما سفراء الحسين (ع) إلى الكوفة، أرسلهم الإمام ليحملوا جوابات الرسائل إلى مسلم بن عقيل كل على انفراد، تم القبض عليهم في القادسية من قبل الحصين بن نمير وأرسلهم إلى عبيد الله بن زياد فتم قتلهم في القصر (انساب الأشراف ج ٣: ص ١٦٦ - ١٦٨ ؛ معجم رجال الحديث ج ١١ - ١٥: ص ٤٠٨ - ١٠٣) [المحقق]

فعرضوا عليه النزول فسأل الحسين 7 عن اسم الأرض فقيل: كربلاء فقال «نعوذ بالله من الكرب والبلاء، هل لها اسم غير هذا؟» فقيل له: العقر فقال «نعوذ بالله من العقر، ما شاء الله كائن»^(٢) ثم قال للحر «دعنا ننزل في هذه القرية- يعني نينوى-، أو هذه يعني الغاضرية أو هذه- يعني الشفيثة- فقال الحر: «هذا رجل قد بعث إلي عينا علي». فقال زهير بن القين «إني والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلا أشد ماترون، وإن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا

(١) ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، بيروت: دار

إحياء الكتب، ١٩٦٠م، ص ٢٥١ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ٨٣ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٨

[المحقق]

(٢) للمزيد عن الحوار الذي دار بين الإمام الحسين 7 والحر الرياحي ينظر: الأخبار

الطوال: ص ٢٥٢ [المحقق]

جغرافية كربلاء القديمة

إن لهذا البحث صلة قوية بوضوح مقتل الحسين (ع) وحوادثه التاريخية. واستيفاء هذا البحث يكلف صاحبه، إذ لا يجد المصادر الوافية بالتفاصيل الجغرافية عن كربلاء القديمة في أيام قتل الحسين (ع). وإني أجتزئ في أداء هذا الواجب بالممكن، بحسب ما أظنه.

إنّ كربلاء اسم قديم مأثور في حديث الحسين وأبيه وجده (ع) ومفسّر بالكرب والبلاء، وأنّ كربلاء منحوتة من كلمة: كور بابل العربية، بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من أراضي سدّة الهندية، ثم الغاضرية- وتسمى اليوم أراضي الحسينية-، ثم كربلة بتفخيم اللام بعدها هاء، وتقرب اليوم من مدينة كربلاء جنوباً وشرقاً ثم كربلاء أو عقر بابل وهي قريبة من الشمال الغربي من الغاضريات وبأطلالها آثار باقية، ثم «النواويس»^(١)، وكانت مقبرة عامة قبل الفتح الإسلامي، ثم الحير ويسمى

(١) جمع ناووس، وهو ظرف من خزف او من خشب. كان البابليون يضعون موتاهم فيها يدفنوها، والنواويس مقبرة في كور بابل. وقد جاء في خطبة الحسين 7 المروية في الإرشاد «وكانني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء... الخ» المؤلف

(١) الحائر: هو واحدة من أهم وأكثر الأسماء شهرةً وشيوعاً التي كانت تطلق على كربلاء، لذلك يقال لمن سكن بالقرب من الصحن الشريف بـ "الحائري"، فالحائر لغة هو اسم فاعل من حار يحير حيراً، من تحير الماء إذا اجتمع ودار، وبعبارة أخرى هو محل منخفض مستور تعلو جوانبه وأطرافه على شكل حوض ذي حور أي (عمق)، ولعل كربلاء أو بعض أجزائها سميت بهذا الاسم منذ القديم لانخفاض أرضها وتجمع مياه الأمطار فيها، وقد ميز المؤرخون بين الحائر والحير فالأول اختص بالقبر الشريف وما حوله بينما الثاني كان اسماً لمدينة كربلاء، لعل واحدة من روايات المؤرخين التي أطلقت على كربلاء بالحائر هي في السنة التي أمر بها المتوكل العباسي (٢٣٦هـ) بهدم قبر الحسين 7 ومحو آثاره وما حوله من البيوت وحرث الأرض بواسطة الثيران إلا أن الثيران حينما كانت تبلغ القبر تقف ولا تتقدم، ثم أجروا الماء على موضع القبر إلا أن الماء حينما بلغ ذلك الموضع توقف وتجمع وبقي حائراً في مكانه وتراكم حول القبر حتى صار كالجدار، فيما بقيت باحة القبر جافة، وقد أثبتت الدراسات التاريخية إن اسم الحائر لكربلاء لم يكن معروفاً قبل الإسلام ولا في عصر النبوة ولا في وقعة الطف ولا في زمن الإمامين السجاد والباقر 3 في القرن الأول، وإنما ظهر تدريجياً في زمن الإمام الصادق 7 وضمن بعض رواياته في فضيلة زيارة الحسين والحث عليها . وللمزيد ينظر: (تاريخ كربلاء وحائر الحسين، عبد الجواد الكليدار: ص ٢٧؛ أمير جواد كاظم الحائر الحسيني دراسة تاريخية ٦١هـ، (رسالة ماجستير -جامعة الكوفة- الآداب- تاريخ- ٢٠٠٧م) [المحقق]

(١) ويستنبط شكل الحائر على هذه الوضعية مما ثبت في تاريخ المتوكل العباسي عندما أجرى الماء على قبر الحسين لمحو مزاره وآثاره، فحار واستدار حول القبر والماء بطبعه يجري على الأرض المنخفضة وجوانب الحائر كانت ولا تزال نواشر لا يعلوها الماء غير الجانب الشرقي مما يلي نهر الفرات يومئذ، حيث كان الفيضان يشكل فيه من المشرعة احواراً وأجاماً، ثم يعود طفاً أيام الفيضان. المؤلف .

(٢) ويؤيد هذا ما رواه جعفر بن قولويه في كامل الزيارة، وشيخه الكليني في الكافي، والمجلسي في مزار البحار ص ١٤٥ عن الإمام الصادق جعفر بن محمد 7 «إن زائر الحسين 7 يغتسل على نهر الفرات ويدخل من الجانب الشرقي إلى القبر... الخ» المؤلف . (كامل الزيارة، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، قم: مؤسسة النشر الإسلامية، ١٤١٧، ص ٣٦٨ ؛ الكافي ج ٤: تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ش، ص ٥٧٢) [المحقق]

وأما نهر الفرات فكان عموده الكبير ينحدر من أعاليه يسقي القرى إلى ضواحي الكوفة، وكذلك ينشق من عمود النهر «الشط» من شمالي المسيب نهر كفرع منه يسيل على بطاح ووهاد شمالي شرقي كربلاء حتى ينتهي إلى قرب مثنى سيدنا العباس ثم إلى نواحي الهندية، ثم ينحدر فيقترن بعمود الفرات في شمال غربي قرية ذي الكفل ويسمى حتى اليوم العلقمي، وكان هذا الفرات الصغير من صدره إلى مصبه يسمى العلقمي. والطف اسم عام لأراضي تتحسر عنها مياه النهر وسميت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفاً لذلك، وسميت حادثة الحسين 7 فيه بواقعة الطف.

الإمام مصدود محصور^(١)

حلّ حرم الحسين (ع) حدود كربلاء في ثاني محرم سنة ٦١ هـ، وأنزل في بقعة منها جرداء بعيدة عن الماء والكلاء وصار معسكره زاوية مثلث يقابله جيش الحر في الغاضريات وجيش ابن سعد في نينوى. وكان الحر يرى مهمته المراقبة على مسير الحسين (ع) فقط غير مهتم في إخضاعه ولا في إقناعه ولا في إرجاعه، حتى وافاه عمر بن سعد مهتماً في إقناعه وإخضاعه، فصار هو والحسين (ع) يتبادلان الرأي والرسل ابتغاء الوصول إلى حلّ مرضي.

وكلف ابن سعد من بين حاشيته رجالاً لمواجهة الإمام فأبوا معتذرين أنهم ممن كتبوا إليه يدعونه، فعمّ يتساءلون؟ فأرسل ابن سعد إلى ابن الرسول رسوله الحنظلي^(٢)، فجاء إلى الإمام وسأله على لسان أميره عن موقفه ومسيره فأجابه الحسين 7 «قد كتب إليّ أهل مصركم يدعونني إليهم، أمّا إذا

(١) للمزيد عن محاصرة الإمام 7 ينظر: تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١١؛ الإرشاد ج ٢: ص ٨٥ [المحقق]

(٢) هو قرة بن قيس الحنظلي رسول ابن سعد إلى الحسين 7. ينظر: تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١١؛ الفتوح ج ٥: ص ٨٧؛ الإرشاد ج ٢: ص ٨٥ [المحقق]

قال حسان العبسي: كنت عند ابن زياد حينما جاءه هذا الكتاب وقرأه فقال:
الآن إذ علقت مخالبتنا به ... يرجو النجاة ولأت حين مناص^(١).

ثم اجتمع الحسين بعمر بن سعد تحرياً منه للسلم واحتراماً للدماء

(١) وفي الإرشاد كتب إلى ابن سعد: «أما بعد! فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا هو فعل ذلك رأينا رأينا والسلام» فلما ورد الجواب على ابن سعد قال قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية. وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد: «أن تحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان» [المؤلف]

(الإرشاد ج ٢: ص ٨٦) [المحقق].

فتتاجيا طويلاً فكتب هذا إلى ابن زياد^(١):

«أما بعد، فإنّ الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم». ولما تلاه ابن زياد قال: «هذا كتاب ناصح مشفق على قومه» يعني على قريش، فقام شمر بن ذي الجوشن^(٢) قائلاً: «أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة ولتكونن

(١) الإرشاد ج ٢: ص ٨٨ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١٣ [المحقق]

(٢) شمر بن ذي الجوشن (٦٦هـ)، بكسر الشين وسكون الميم، من قبيلة بني

جاء شمر بكتابه إلى ابن سعد . والرجل السوء يأتي بالخبر السوء . فلما قرأ ابن سعد كتاب أميره وتلقى أسوأ التعاليم من نذيره تغيّر وجهه وقال: «لعنك الله يا شمر، لقد أفسدت علينا أمراً كنا نرجو إصلاحه» لكنما ابن سعد بعد ما حسب شمرًا رقيباً عليه ومهدداً له تجاهر إذ ذاك بلزوم إخضاع حسين العلا، فتبدلت منه لهجته وفكرته وهيئته، فانتقل بجنوده إلى مقرية من الحسين 7 وتثلث جبهات الحرب فصار هو في القلب بين الحيرة والنهر لصدّ الحسين 7 من عبور النهر، ومن الورود منه، فإذا وجد الحسين 7 سبل سيره مقطوعة

ولما رأى الإمام ذلك علم أنه مقتول لا محالة إذ هو نازل بالعراء في منطقة
جرداء لا ماء فيها ولا كلاء، فإن انتظر قدوم الأنصار من أقاصي الأمصار
هلكت صبيته وماشيته وتفرقت حاشيته ، ولقي من الجوع والعطش أشدّ مما
يلقاه من عدوّه، وإن خضع للقوم وباع أمية فقد باع الأمة والشرعية بعدما
انعقدت فيه الآمال، وإن بدأ بحربهم خالف خطته الدفاعية حين لا مأمل في
الانتصار عليهم في ظاهر الحال والحر إن لم يستطع أن يعيش عزيزاً
فأحرى به أن يموت كريماً.

الحسين (ع) مستميت ومستमित من معه

في مكارم الأخلاق تتلألاً خلة التضحية تألؤ القمر البازغ بين النجوم الزواهر، فإذا شوهد في أمره شعور التضحية اكتفى الناس بها عن أي مكرمة فيه أو أية مأثرة له، ولا عجب، فإنّ الصدق إذا عدّ أصل الفضائل فإنّ شعور التضحية هو من أجل مظاهر الصدق والمستमित يميت مع نفسه كل شبهة وشائبة من سمعة أو رياء أو مكر أو دهاء.

إذا فشعور شريف كهذا ينجم في تربة الصدق ويسقى بماء الإخلاص لابد وأن يثمر لأهل الحق بالخير الخالد، وإذا كان الموت ضربة لازب لا مهرب منه ولا محيد عنه فاشتر بهذا العمر القصير نفعا عاماً وخيراً خالداً. هي والله صفقة رابحة وتجارة لن تبور، فخير الموت الفداء، وأفضل الأضاحي من أمات هيكله البائد لإحياء نفع خالد.

كذلك الشهداء في سبيل إصلاح الأمة أو تحريرها من أسر الظالمين، وسيدّ هؤلاء الشهداء الحسين بن علي 7 الذي أحيى هو والذي معه . مجد هاشم ، ودين محمد 9، ومعارف القرآن، وشعائر الإسلام، وأخلاق العرب في وثباتهم ضدّ سلطة الجور والفجور. فلم تختلف لهجته، ولا تخلفت سيرته ، ولا وهنت عزيمته، ولا ضعفت حركته، ولا ضيّع مصالح أعوانه لترضية عدوانه. ونفس

«أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمذك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وافئدة، فاجعلنا من الشاكرين أمّا بعد؛ فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي،

(١) في العقد الفريد ج ٢ قال: «لما نزل ابن سعد بالحسين وأيقن انهم قاتلوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نزل بي ما ترون من الأمر وإن الدنيا قد تغيرت وتنتكرت وأدبر معروفها واشمأزت فلم يبق منها إلا صباغة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا ينهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله فاني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا ذلاًّ وندماً... الخ. المؤلف

العقد الفريد ج ٥: ص ١٢٩؛ ترجمة الامام الحسين ٧ لابن عساكر: ص ٣١٦ [المحقق]

فقال له إخوانه وأبناءؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: «لم نفعل ذلك لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً» فقال الحسين 7: «يا بني عقيل حسبكم من القتل ما صنع بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم» قالوا: «سبحان الله! فما نقول للناس ويقولون لنا؟

أنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنينا عمومنا ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك».

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: «أنحن نخلي عنك؟ وبم نعتذر إلى الله في أداء حقه؟ حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ماثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقتلتهم بالحجارة، والله لا نخليك

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١٧؛ الإرشاد ج ٢: ص ٩١؛ الفتال النيسابوري (٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، قم: منشورات الشريف الرضي، [د.ت.]:

وقام زهير بن القين فقال: «والله لو ددت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أُقتل هكذا ألف مرّة وأنّ الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك».

وتكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فجزاهم الحسين خيراً.

وروي أن رجلاً جاء حتى دخل عسكر الحسين 7 فجاء إلى رجل من أصحابه فقال له: «إنّ خبر ابنك فلان وافى، أنّ الديلم أسروه فتتصرف معي حتى تسعى في فدائه». فقال: «حتى أصنع ماذا؟ عند الله احتسبه ونفسي». فقال له الحسين 7: «انصرف وأنت في حلّ من بيعتي أنا أعطيك فداء ابنك» فقال: هيهات أن أفارقك ثم أسال الركبان عن خبرك، لا يكون والله هذا أبداً ولا أفارقك»^(١).

رسل السلام ونذير الحرب

قدم إلى كربلاء شمر الخارجي شرّ مقدم . إذ كان نذير الحرب وحاملاً من ابن زياد إلى ابن سعد أسوأ التعاليم القاسية . وحسبه ابن سعد رقيباً عليه ومهدداً له، فأقلبت فكرته إذ ذاك رأساً على عقب لكي يدرأ عن نفسه تهمة الموالاة للحسين 7 طمعاً بإمرة الزّي فنقل معسكره إلى مقربة من الحسين 7 على ضفاف العلقمي، وأوصده عليه باب الورد منه بمصراعيه، وعهد بحراسة المشرعة إلى عمر بن الحجاج كما فعله معاوية بجيش أمير المؤمنين 7 في صفين . وأخذ يتظاهر على الحسين 7 تقريباً إلى ابن زياد، ويتشبهه بغلاة الخوارج إرضاء لمن معه منهم، ولم يقنع بكل ما وقع حتى زحف بخاصّته على الحسين 7 وتناول من دريد سهماً ووضع في كبد قوسه ورمى به إلى معسكر الحسين 7 قائلاً «اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى الحسين»^(١)، ورأى المتزلفون هذه أسهل وسيلة إلى نيل القربى من أولياء السلطة فتكاثرت السهام على معسكر الحسين، فقال الحسين 7 المجد

= (الإرشاد ج ٢: ص ٩١ ؛ مقاتل الطالبين: ص ٧٨ ؛ روضة الواعظين، ص ١٨٣ ؛

تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١٧) [المحقق]

(١) (الإرشاد ج ٢: ص ١٠١ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٢٦) [المحقق]

(١) الفتوح، لابن اعثم الكوفي ج ٥: ص ١٠١؛ اللهوف في قتلى الطفوف، لابن طاووس :
ص ٦٠ [المحقق]

حول معسكر الحسين (ع)

بعدما أيقن الحسين (ع) أنّ أعداءه لا يتناهون عن منكر في سبيل النكال والنكاية به أخذ يستعد لدفاع الطوراء عن أهله ورحله وانتظار قتله، لكنما وجد معسكره في أجرد البقاع عن مزايا الدفاع، وكان مع العدو رجالة سوء من إسقاط الكوفة تبعوا شمرًا الضبابي لطمعهم في الجوائز المشاعة وجشعهم على بقايا موائد الرؤساء وشوقاً إلى غنيمة باردة، ولا سلاح لدى هؤلاء سوى الحجارة والجسارة، فكان يُخشى منهم على معسكر الحسين 7 من كل الوجوه، لاسيما وأنّ هؤلاء الأذئاب لا يلتزمون بما تلتزم به رؤساء القبائل من آداب العرب، فخرج الحسين (ع) من معسكره يتخيّر موضعاً مناسباً للدفاع. وبعدما سبر غور الوهاد والأنجاد أشرف على سلسلة هضاب وروابي تليق حسب مزاياهم الطبيعية أن تتخذ للحرم والخيم، الروابي والتلال متدانية على شاكلة الهلال وهو المسمى «الحير» أو «الحائر» لكن هذا الحصن إنما يفيد من استغنى عن الخروج لطلب ماء أو ذخيرة أو عتاد وأمّا من لا يجد القدر الكافي منها كالحسين (ع) فإن تحصن في مثل الموضع فكأنّه يبغى الانتحار أو إلقاء أهله في التهلكة، لأنّ عدوه يتمكن من حصاره من فرجة الجهة الشرقية بكمية قليلة وإهلاك المحصور جوعاً وعطشاً في زمن قصير المدى.

لكنما الحسين 7 رأى بجانب هذه وجنوبها رابية مستطيلة أصلح من أختها

عطاشى الحرب في الشريعة

لا يبرح البشر من احترام بعض الآداب في المحاربات مهما كان المحاربون وحوشاً وكفرة كاجتتابهم قتل النساء والأبرياء ومنع الماء والطعام عنهما . وأصبحت حكومات اليوم تراعي هذه الأصول بعين الاحترام وتعد ارتكاب هذه المظالم من أقبح الجرائم، وقد نهى شرع الإسلام كبقية الشرائع حصار الأبرياء والتعرض بالنساء ومنع الماء والطعام عنهما أو عن المرضى والأسرى والأطفال، لأنهم برآء مما قامت به رجالهم المحاربون ، وقد منعت الشريعة العاطفة ذبح الحيوان عطشاناً.

أما الحزب السفيناني فقد ارتكب كل هذه المظالم والجرائم حقناً على حسين الفضيلة وآله:.

ولا ننسى ما حدث يوم الدار يوم ثار المهاجرون والأنصار فحاصروا الخليفة عثمان بن عفان وطالبوه أن يسلم إليهم ابن عمه (مروان) فاستغاث بعلي 7 وشكا إليه العطش وغير العطش . وعلي 7 يومئذ قد أغلق بابيه ولازم حياده فأرسل إليه مع ذلك ولديه الحسن والحسين 8 ومولاه قنبراً يحملون الماء وهو محصور، ويحامون عنه وعن بيته الجمهور، وتحملوا في سبيله الجروح

أما معاوية الدهاء فقد شيع الأمر في أهل الشام بالعكس مما كان بغرض بعثهم إلى حرب أمير المؤمنين 7، فنشر بينهم أن عثمان قتل عطشاً وأن علياً منع الماء عنه، لذلك سبق علياً في صفين إلى استملاك المشرعة ومنع أهل العراق من ورودها، أما علي 7 فأرسل من أبطال العراق من فتحوها ثم تركها مباحة للجانبين، فأبّت نفسه الكريمة أن يقابلهم بالسوء قائلاً «كلا! لست أمنع عنهم ماء أحله الله عليهم»^(٢)، فجدد ابن زياد هذه البدعة وأمر بمنع الماء عن الحسين ومن معه. وروّج أكذوبته فكتب إلى ابن سعد: «حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة كما فعل بالتقي الزكي

(١) هو أبو القاسم محمد بن أبي بكر الصديق: وُلِدَ في شهر ذي القعدة من سنة ١٠ هـ ، بذى الحليفة وهي موضع بين مكة والمدينة ، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، وهي تعد من النساء الأوائل في الإسلام،

، وشهد مع الإمام

الجمال وصفين ثم أرسله إلى مصر أميراً
في رمضان سنة ٣٧ هـ ، ثم قتل
في صفر سنة ٣٨ هـ (ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٤٧٢ ؛ النجوم الزاهرة ج ١،
ص ١٠٦-١١٠ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٦٤٧) [المحقق]

(٢) تاريخ الطبري ج ٣: ص ٥٦٩ [المحقق]

(١) الإرشاد ج ٢: ص ٨٦ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١١ ؛ الأخبار الطوال: ص ٢٥٥

[المحقق]

اهتمام الإمام (ع) بالموعظة والنصيحة

سيرة الحسين (ع) سلسلة أدلة على حسن ظنه بالناس، وأن نفسه كانت مفعمة بآمال الخير فيهم لولا استقباله المزعجات في نواحي الكوفة وشواهد التحول في حالة البدو والحضر لأدنى طمع، حتى أفشى من صميم الحقيقة سرّها في كلمته الخالدة «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معاشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون»^(١)، لكنّا المعهود من رسل الإصلاح وأئمة الهداية إقامة الحجج على الهمج والسذج (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)^(٢)، ولئلا تبقى للعصاة عصاة. فلم يزل حسين الهداية يبذل قصارى الجهد في تنوير أفكارهم بالاحتجاجات وإقامة المظاهرات، ويستفرغ وسعه في إنذارهم وإخطارهم بالرسل والخطب، في حين أنّ جمهور خصومه كانوا من سفلة الشر وعبدية الطاغوت. أولئك الذين لا يقيمون للحق وزناً ولا يرون لغير المال والقوة شأنًا. وعليه قام حسين

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ج ١، ص ٣٣٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٣

[المحقق]

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٢ [المحقق]

فلما ساد الصمت وهدأ الضجيج خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ونعت النبي
فصلّى عليه، فلم يُسمع أبلغ منطقاً منه، ثم قال:

(١) الإرشاد ج ٢: ص ٩٧ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٢٢ [المحقق]

«أما بعد، فانسبوني من أنا؟ ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم؟ وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين المصدق لرسول الله 9 وبما جاء من عند ربّه؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أولم يبلغكم ما قال رسول الله 9 لي ولأخي: «هذان سيّدا شباب أهل الجنة»، فإن صدقتموني فيما أقول وهو الحق والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت أهله، وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبركم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله 9 أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ الى أن قال: فإن كنتم في شك من ذلك أو تشكون في أنّي ابن بنت نبيكم فو الله لا يوجد بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتله أو مال لكم استهلكته؟» ثم نادى: «يا شُبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ويا عمرو بن الحجاج ألم تكتبوا إليّ أن: قد أينعت الثمار واخضرت الجناوب وإنما تقدم على جند لك مجند...»^(١) الخ.

لقد أسمعهم شبّل علي 7 خطاباً قويم اللهجة قوي الحجّة . لو كان ثمة منصف . لكننا القوم لم يقابلوه إلّا بكلمة جامدة: «إنّا لا ندري ما تقول انزل

(١) الإرشاد ج ٢: ص ٩٧ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٢٢ [المحقق]

(١) الإرشاد ج ٢: ص ٩٨؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٢٣ [المحقق]

(٢) الإرشاد ج ٢: ص ٩٨ [المحقق]

(٣) من المؤكد إن العديد من الرجال والفرسان التحقوا بمعسكر الحسين⁷ واستشهدوا

الحسين (ع) ينعى نفسه لأخته

لزینب 3^(١)، أخت الحسين، شأن مهم ودور كبير النطاق في قضية الحسين 7 وفي نساء العرب نوادر أمثالها ممن قمن في مساعدة الرجال وشاركتهم في تاريخهم المجيد، وقد صحبت زينب أخاها في سفره الخطير صحبة من تقصد أن تشاطره في خدمة الدين وترويج أمره، فكانت تدير بيمنها ضيافة الرجال وباليسرى حوائج الأطفال، وذاك بنشاط لا يوصف. والمرأة قد تقوم بأعمال يعجز عنها الرجل ولكن مادام منها القلب في ارتياح

(١) لأمير المؤمنين 7 بنتان بهذا الاسم وبكنية أم كلثوم، والكبرى هي سيدة الطف. وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بني هاشم. ولدتها الزهراء بعد شقيقها الحسين بسنتين، وتزوجها عبد الله ابن عمها جعفر بعد وفاة أختها في خلافة عثمان أومعاوية، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني وقد أفرغ لسان الملك ترجمتها في مجلد بها من موسوعته «ناسخ التواريخ». وجاء في الخيرات الحسان وغيره: أن جماعة أصابت المدينة فرجل عنها بأهل عبد الله بن جعفر إلى الشام في ضيعة له هناك، وقد حمت زوجته زينب من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول 9 ثم توفيت على أثرها في نصف رجب سنة ٦٥ هـ ودفنت هناك حيث المزار المشهور.

وقال جماعة: إن هذا لزینب الصغرى . كما هو مرسوم على صخرة القبر . وأن الكبرى توفيت بمصر ودفنت عند قناطر السباع حيث المزار المشهور بالقاهرة . المؤلف

فكانت ابنة علي 7 قائمة بمهمات رجل الحسين وأهله غير مبالية بما هنالك من ضائقة عدو أو حصار أو عطش، إذ كانت تنتظر في وجه الحسين 7 تراه هشاً بشاً فتزداد به أملاً . وكلما ازداد الإنسان أملاً ازداد نشاطاً وعملاً، وإن في بشاشة وجه الرئيس أثراً كبيراً في قوة آمال الأتباع ونشاط أعصابهم . غير أنّ زينب 3 باغتت أخاها الحسين 7 في خبائه ليلة مقتله فوجدته يصقل سيفاً له ويقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والأمر في ذاك إلى الجليل^(٢)

(١) احمد بن حنبل(٢٤١هـ)،مسند احمد،بيروت:دار صادر،[د.ت.]،ج٣،ص١٧٢ ؛
الشريف الرضي(٤٠٦هـ)،المجازات النبوية،تحقيق:طه محمد الزيتي،قم:منشورات
بصيرتي،[د.ت.]،ص٣٠ [المحقق]

(٢) مقاتل الطالبين:ص٧٥ ؛ الإرشاد ج٢:ص٩٣ ؛ تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٢٤٤
[المحقق]

والمعنى: يا دهر كم لك من صاحب قتيل في ممر الإشراف والأصيل، فأفّ لك من خليل.

ذعرت زينب 3 عند تمثل أخيها بهذه الأبيات، وعرفت أنّ أخاها قد يؤس من الحياة ومن الصلح مع الأعداء، وأنّه قتيل لا محالة وإذا قتل فمن يكون لها؟ والعيال والصبية في عراء وغربة، وألد الأعداء محيط بهم ومتربص لهم الدوائر. لهذه ولتلك صرخت أخت الحسين 7 نادبة أخاها، وتمثل لديها ما يجري عليها وعلى أهله ورحله بعد قتله وقالت: «اليوم مات جدي وأبي وأمي وأخي»^(١). ثم خرت مغشية عليها إذ غابت عن نفسها ولم تعد تملك اختيارها، فأخذ أخوها الحسين 7 رأسها في حجره وسقط على وجهها من مدامعه حتى أفاقت وسعد بصرها بنظرة من شقيقها الحسين 7، وأخذ يسليها. وبعض التسلية تورية. فقال: «يا أختاه إنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، فلا يبقى إلّا وجهه، قد مات جدي وأبي وأمي وأخي وهم خير مني، فلا يذهبن بحلمك الشيطان»^(٢)، ولم يزل بها حتى أسكن بروحه روحها ونشف بطيب حديثه دمعها.

(١) مقاتل الطالبين: ص ٧٥ [المحقق]

(٢) الإرشاد ج ٢: ص ٩٤ [المحقق]

ولكن في المقام سر مكتوم: فإن زينباً تلك التي لم تستطع أن تسمع إشارة من نعي أخيها وهو حي كيف تجلّدت في مذبح أخيها وأهلها بمشهد منها، ورأت رأسه ورؤوسهم مرفوعة على القنا وتلعب بها الصبيان، وينكت ابن زياد ويزيد ثنايا أخيها بين الملاء بالقضيب، إلى غير ذلك من مصائب لا تطيق رؤيتها الأجانب فضلاً عن أمس الأقارب.

فليت شعري! ما الذي حوّل ذلك القلب الرقيق إلى قلب أصلد وأصلب من الصخر الأصم؟ نعم، كانت شقيقة الحسين 7 أخته بتمام معاني الكلمة، فلاغرو إنّ شاطرت سيّدة الطف زينب 3 أباها الحسين 7 في الكوارث وآلام الحوادث، فقد شاطرته في شرف الأبوين ومواريث الوالدين خُلقاً وخلقاً ومنطقاً.

وعليه فإنّها على رقة عواطفها وسرعة تأثّرها تمكّنت من تبديل حالتها، والاستيلاء على نفسها بنفسها، من حين ما أوحى إليها الحسين 7 بأسرار نهضته وآثار حركته وأنّه لا بد أن يتحمل أعباء الشهادة وما يتبعها من مصائب ومصاعب في سبيل نصره الملة وإحياء شريعة جدّه وشعائر مجده، لكنه سيار يطوي السرى إلى حد مصرعه في كربلاء ثم لا بد وأن تتوب هي عن أخيها في إنجاز مهمته وإبلاغ حجته في تحمل الخطوب وإلقاء الخطب ومكابدة الآلام من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام قائمة بوظيفته، محافظة على أسرار نهضته، ناشرة لدعوته في كل أين وأن، منتهزة سوانح الفرص، وهو

السباق إلى الجنة

السباق إلى النفع غريزة في الأحياء لا يحدون عنها ولا يلامون عليها، وقد يؤول إلى النزاع بين الأشخاص والأنواع ولكن التسابق إلى الموت لا يرى في العقلاء إلاّ لغايات شريفة تبلغ في معتقدهم من الاهتمام مبلغاً قصياً أسمى من الحياة الحاضرة، كما إذا اعتقد الإنسان في تسابقه إلى الموت نيل سعادات ولذات هي أرقى وأبقى من جميع ماله في الحياة الحاضرة.

ولهذه نظائر في تواريخ الغزاة والمجاهدين ففي صحابة النبي 9 رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتسبقوا إلى القتال بين يديه، معتقدين أن ليس بينهم وبين جنان الخلد والفردوس الأعلى سوى سويجات أو تميرات يأكلونها أو حملات يحملونها، هذا من أشرف السباق، وموته أهنأ موت، وشعاره أقوى دليل على الفضيلة والإيمان. ولم يعهد التاريخ لجماعة بداراً نحو الموت وسباقاً إلى الجنة والأسنة مثل ما عهدناه في صحب الحسين 7.

وقد عجم^(١) الحسين (ع) عودهم واختبر حدودهم، وكسب منهم الثقة البليغة، وأسفرت امتحاناته كلّها عن فوزه بصحب أوفياء وأصفياء، وإخوان صدق عند اللقاء، قلّ ما فاز أو يفوز بأمثالهم ناهض، فلا نجد أدنى مبالغة في وصفه لهم عندما قال: «أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي»^(٢)، وكان الفضل الأكبر في هذا الانتقاء يعود إلى حسن انتخاب الحسين (ع) وقيامه بكل واجبات الزعامة والإمامة. وقيام الرئيس بالواجب يقود أتباعه إلى أداء الواجب، واعتصام الزعيم بمبدئه القويم يسوق من معه إلى التمسك بالمبدأ والمسلك والغاية. فكان سرادق الحسين (ع) بما فيه من صحب وآل ونساء وأطفال كالماء الواحد لا يفترق بعضه عن بعض، فكان كل منهم مرآة سيّده الحسين (ع) بحاله وفعاله وأقواله، وكانوا يفتدونه بأنفسهم كما كان يتمنى القتل لنفسه قبلهم، وأخيراً توفّقوا إلى إرضاء سيّدهم بأن يتقدموا إلى جهاد أدبي في زي دفاع حربي واحداً بعد واحد يعلنون بالمبادئ العلوية، وينشرون الدعوة الحسينية، إرشاداً للجاهلين وعظة للجاحدين وإيقاظاً للغافلين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

(١) عَجَمَ بالفتحين فعل ثلاثي متعد ويقال عَجَمَ عوده أي جرب أمره وخبر حاله وقال (الزبيدي) (١٢٠٥م)، تاج

العروس، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م، ج ١٧، ص ٦٢ [المحقق]

(٢) مقاتل الطالبين: ص ٧٤ [المحقق]

أجل، كانت جماعة الحسين (ع) كؤوس رؤوسها مفعمة بشعور التضحية حتى إذا أذن لهم بذلك لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون كالفراش على المصباح لتضحية الأرواح، فكلما أذن حجة الله لأحدهم وادعه وداع من لا يعود، وهم يتطايرون من مخيمه إلى خصومه تطاير السهام لإنفاذ الغرض المقدس بأراجيز بليغة وحجج بالغة من شأنها إزاحة الشبهات عن البعيد والقريب وعن الشاهد والغائب، لكن المستمعين صم بكم عمي فهم لا يعقلون قد غشيت الأطماع أبصارهم وغشت المخاوف بصائرهم، فلا يفكرون بسوى دراهم ابن زياد وعصاه، ومن لا يهتم إلا بالسيف والرغيف فلا نصح يفيده ولا دليل يحيده ..

بلى، إنما تجدي العظاات في ظل المطامع، والحجة تهدي تحت بارقة السلاح ، لذلك لم يجد رسل الحسين (ع) من عداهم الجواب إلا على السنة الأسنة والحراب وقتلوا تقتيلاً (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ

مقتل عليّ شبه النبي (ص)

لم يزل ولا يزال عرفاء الأمم من عرب وعجم يعتقدون إرث السجاياء والمزاياء بالتناسل والتناسب، وأنّ الولد يرث من أبويه ووالديهما مواهبهم العقلية أو سجايهم الأخلاقية كما يرثهم أشكال الخلقة وطبائع الجسم وأمراض الأعضاء ، وقد أكد الفن والحديث ذلك وأنّ التشابه في الخلقة لا ينفك عن التشابه الأخلاقي. فنجد العائلة بعد فقدان أكبرها تجمع توجهاتها في أشبه أفرادها بالفقد . توسماً بقيام الشبيه مقام الفقيد في إعادة آثاره لإجماع الغرائز على أنّ الأعمال نتائج الأخلاق، وأنّ الطفل الشبيه بآبائه خلقاً وخلقاً يغلب أن يجدد مآثرهم ومفاخرهم. وكان آل محمّد في أسف مستمر على فقدان النبي ، وخسارة كل مجد في فقدته حتى ولد للحسين بن علي 3 ولد أشبه الناس بجده محمّد 9 خلقاً وخلقاً ومنطقاً، فتمركزت فيه كل آمالهم وأمانيتهم، وصاروا كلّما اشتاقوا إلى زيارة النبي 9 شهدوا محضره وشاهدوا منظره. وسمّي شبيه النبي فترعرع الصبي وترعرع معه جمال النبي ونما فيه الكمال، وأزهرت حوله الآمال وبلغ تصابي آل النبي فيه مبلغ الوله والعشق، فكان إذا تلا آية أو روى رواية مثّل رسول الله 9 في كلامه ومقامه، وأضاف على شبه النبي 9 في الجسم شبيهاً بجده علي 7 في اسم كما شابهه في الشجاعة وفي تعصبه للحق، حتى أنّه يوم قال الحسين 7 أثناء مسيره: «كأنّي بفارس

غير أنَّ الحصار والحزن ضيقاً على نفسه مجرى النفس، فلم يجد مظنة للخلاص منهما إلا في الموت، فجاء ليستأذن أباه لكنه منكسر الطرف، إذ يعلم مبلغ تأثير الوالد من هذا الكلام، وقد شوهد سيّد الطف في أقواله وأحواله على جانب عظيم من التجلّد لكن قيام هذا الفتى ضيّع جانباً من تجلّده فصار كغيره لا يملك من التجلّد شيئاً فيما يقول في ولده أو عن ولده، وأيم الله إنّه أذن له مثل من يريد أن يجرح عاطفة فتاة فأسرع علي نحو الأعداء، عين أبيه تشيعه وترسل دموعها الحارة مصحوبة بالزفرات، والنساء على أثره تولول، وتعمل أمه بشجو فاقدة الاصطبار إذ فقدت مركز آمالها والإمام 7 ينادي بأعلى صوته: «يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله»^(٢).

(١) للمزيد عن الحوار بين الإمام 7 وولده علي الأكبر ينظر: مقاتل الطالبين: ص ٧٤

؛ الإرشاد ج ٢: ص ٨٢ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٨ [المحقق]

(٢) الفتوح ج ٥: ص ١١٤ [المحقق]

أما الغلام فقد تجلّى على القوم بوجه رسول الله 7 وعمامة رسول الله وأسلحة رسول الله وعلى فرس رسول الله ونطق بمنطق رسول الله قائلاً:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

أي أنا المثل الأعلى لرسول الله 9 فيكم بصورتي وسيرتي وحسبي ونسبي ، فأنا تذكّار جدّي علي، وأنا شبيه النبي، وأنّ أبي الحسين سبط النبي، وأنّ جدّي علياً أخو النبي ووصيه، فنحن جميعاً أولو قرياه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، فنحن أولى بخلافة جدّنا النبي 9 من الأجنبي، وبعد هذا البرهان الجلي لا يسوغ أن نسلم أزمة دين جدّنا إلى ابن الدعي، والدعي هو المنسوب لغير أبيه الشرعي . وقد كان عبيد الله بن مرجانة مستلحقاً بزياد، كما أنّ زياداً صار مستلحقاً بأبي سفيان بخلاف حكم النبي القائل «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فهل يسوغ في شرع الشرف ودين العدل أن يخضع من يمثّل النبي لدعي وابن دعي؟!!

بارز الغلام جيش الكوفة وشدّ عليهم شدّة الليث بالأغنام، وبعدما كرّ عليهم رجع إلى أبيه قائلاً «العطش قد قتلني» فيقول له أبوه: «اصبر يا حبيبي، فإنّك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله بكأسه الأوفى»^(١) والغلام يكرّ الكرّة بعد الكرّة، فنظر إليه ابن مرّة العبدى^(٢)، فقال: «عليّ آثام العرب إن كرّ ومرّ بي لو لم اكل أمه»^(٣) فبينما هو يشدّ على الجموع يرتجز إذ ضربه العبدى

(١) مثير الأحزان، ابن نما الحلي (٦٤٥هـ)، النجف الأشرف: الحيدرية، ١٩٥٠م، ص ٥١ ؛
مقتل الحسين، أبي مخنف الازدي (١٥٧هـ)، تحقيق: حسين الغفاري: هامش ص ١٦٤ ؛
الفتوح ج ٥: ص ١١٥ [المحقق]

(٢) مرة بن منقذ بن النعمان العبدى: هو قاتل علي الأكبر بن الإمام الحسين 7 في واقعة
محمد 9

= على فرس، فضربه ابن كامل بالسيف على يده اليسرى فشلت يده ، وعدا به الفرس

[المحقق]

(٣) مقاتل الطالبين: ص ٧٦ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ١٠٦ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٠
[المحقق]

(١) للمزيد ينظر: مقاتل الطالبين: ص ٧٦ ؛ الإرشاد: ص ١٠٦ [المحقق]

توبة الحرّ وشهادته

من يدرس أحوال البشر من وجهتها النفسية ويسبر غورها يجد الأخيار صنفين: صنف يتطلب مصالحه الشخصية في ظل أحياء عقيدته واحترامها وهؤلاء أكثر الأخيار، ثم أرقى منه صنف يقدّم إحياء عقيدته حتى على حياته الشخصية، وقد كانت وضعية الحر الرياحي بادئ بدء تنزل منزلة من يحب احترام مصالحه الذاتية في ضمن احترامه لعقيدته في الحسين بن فاطمة زعماءً منه أنّ الحسين(ع) لابد وأن سيصالح أمية القوية أو يسامحونه بمغادرته بلادهم، فيكون الحر حينئذ غير آثم بقتال الحسين 7، وغير خاسر جوائز الولاية وترفيعاتهم. وعليه فقد كان يساير الحسين 7 بالسماح والتساهل ويصاحبه بتأدب واحترام. غير أنّ المظاهرات القاسية التي قام بها جيش الكوفة من جهة والمظاهرات الدينية الأخلاقية التي قام بها حسين الفضيلة من جهة أخرى أنارتا فكرته وأثارتا عاطفته ، فارتقى في استكمال نفسه إلى العلو أو الغلو في حب السعادة والشهادة، فجاء إلى ابن سعد قائلاً: «أمقاتل أنت هذا الرجل؟» فأجابه: «نعم قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي» فقال الحر «أفما لكم فيما عرضه عليكم رضئ؟». فأجابه: «أما لو كان الأمر إليّ لفعلت لكن أميرك قد أبى»، فرجع الحر وهو يتمايل ويرتعد، وأخذه

وصادف قرّة بن قيس فقال له: «يا قرّة هل سقيت فرسك؟» قال قرّة: قلت له: «لا» وظننت أنّه يريد أن ينتحى أو ينتحي القتال، كراهة أن يشهده، فوالله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه الى الحسين 7...

أخذ يدنو الحر من الحسين رويداً رويداً - وكان ذلك منه خجلاً لا وجلاً - حتى وقف قريباً منه فقال: «جعلت فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، ووالله لو علمت أنّهم ينتهون بك الى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، وإني تائب الى الله مما صنعت، فهل ترى لي من توبة؟» فأجابه الحسين 7 «نعم يتوب الله عليك فانزل» فقال الحر «أنا لك

(١) الأَفْكَل: بالفتح وهمزته زائدة، على وزن افعل، وهي الرّعدة من بَرْد أو خوف (لسان

قابل الحر بعدئذ جيش ابن سعد وصاح بهم: «يا أهل الكوفة! لأمكم الهبل! دعوتكم هذا العبد الصالح لتتصروه حتى إذا جاءكم أسلمتموه، وكتبتم إليه أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه تقتلون، وأملكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً، وحلائمته ونساءه وصبيته عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، فهاهم قد صرعهم العطش، ببئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ». فساد القوم السكوت كأنّ على رؤوسهم الطير، ثم لم يجيبوه بسوى النبال فحمل عليهم وهو يرتجز ويقول:

إنّي أنا الحر ومأوى الضيف ... أضربكم ولا أرى من حيف

وقاتلهم قتالاً شديداً حتى عقروا فرسه وتكاثروا عليه، فلم يزل يحاربهم وهو راجل حتى أثنوه بالجراح وصرعوه فنادى: السلام عليك يا أبا عبد الله وقد

(١) للمزيد عن الحوار بين الإمام الحسين 7 والحر ينظر: تاريخ الطبري ج ٤، ص ٣٢٥
؛ الإرشاد ج ٢، ص ٩٩ [المحقق]

أصدق المظاهر الدينية

ليس في التعبير عن الحسين (ع) بآية الحق أو رمز السلام أو نحوهما مبالغة ما إذ كان - والحق يقال - مثال الحق والإسلام في كل أحواله وأفعاله وأعماله، فلم تكن المرأة المواجهة للشمس أصدق حكاية عنها من الإمام 7 عن الإسلام. ولا بدع فإنّ الناهض حقاً بحقيقة يجب أن يمثلها بكل أطواره وأدواره، والحسين بن علي 3 غدا في نهضته أمثلة الحق الصارع وحاكياً عنه حكاية الزجاج عن المصباح، فأظهر الحقيقة في كتبه وخطبه وأقواله وأحواله، فقدم خطورة الدين على خطورة السكن والوطن، وقدم حرمة حرم الله وحرم رسوله 9 على حرمة نفسه وحرمه، وأجاب دعوة من لا يوثق بولائهم ودعائهم، وخسر في سبيل أمنه صفة أحبته ونخبة عشيرته، وضايق نفسه حفظاً لظواهر الدين، واستقرغ وسعه وقواه في نصيحة أعداء الدين وبذل النفس والنفيس في سبيل مصلحة الدين.

كل ذلك وغيره ليذكرهم الله ويستهديهم بكتاب الله حتى حانت ساعة القيام بأصدق المظاهر الدينية - وهي ساعة الصلاة والشمس في الهاجرة من ظهيرة اليوم العاشر من المحرم - ولم يكن الحسين 7 ممن ينسى أو يتناسى الصلاة الموقوتة - ولو في أخرج ساعاته - قدوة بأبيه علي 7 رجل

كذلك ابنه الحسين 7 والشبل من ذاك الأسد . فاهتم بها عندما صاح مؤذنه أبو تمامة الصيدأوي^(٢)، وصلّى بأصحابه ولكن صلاة الخوف قصراً وسهام الأعداء تنترى عليه بالرغم من استمهالهم.

(١) الحسن بن محمد الديلمي، ارشاد القلوب، ط ٢، قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٥، ص ٢١٧ [المحقق]

(٢) وجد في الأصل أبو تمامة والصحيح أبو ثمامة، هو عمرو بن عبد الله الصائدي أو

أيخشى الإمام 7 قتله في الصلاة وقد مضى أبوه قتيلاً في محرابه؟ أم يخشى الموت صحبه وهم يتسابقون إليه تسابق الجياح إلى القصاع ويحبذون الموت بوجه الله وفي سبيله مع ابن رسول الله 9؟

ولقد كانت صلاة الحسين 7 من أصدق مظاهر إخلاصه لله وتمسكه بالشرعية، وبعبارة أخرى شبهة أو شائبة، وإذا كانت المظاهرات الحسينية تكشف مساوئ أخلاق أعدائه ومبلغ حرمانهم من الإنسانية فإنّ مظاهرة صلاة الخوف بين أولئك المعارضين برهنت على سوء نية العدو واستهانته بشريعة الإسلام فهي إن لم تبطل سحر العدو في أعين الناظرين فقد أبلغت حجة الحسين 7 إلى مسامع الغائبين، حيث إنّ العدو كان متذرّعاً بحبائل الدين ضدّ الدعوة الحسينية ، يوهم البسطاء والحمقاء أنّ يزيد خليفة النبي بمبايعة من أكثر المسلمين وأنّ حسيناً خارج على إمام زمانه لغايات دنيوية فيجب إعدامه أو إرغامه- واسم الدين قد يغش العامة ولو كان يقصد محو الدين-ولكم تذرّع المبتطلون بأسلحة الحق ضدّ أهل الحق فخدعوا بذلك العامة كما انخدع الخوارج ضد أمير المؤمنين بشبهة رفع المصاحف

الطفل الذبيح

إذا وصف القرآن قربان إبراهيم 7 بالذبح العظيم نظراً لآثاره الباقية في الحج والإسلام، فإنّ المظاهرة الأخيرة التي قام بها الحسين 7 أثّرت تأثيراً عظيماً من بين مجاهداته الأدبية في كشف حقائق النزعة الأموية، وهذه الحادثة الأليمة بالرغم من استحقاقها التوسّع فإنني لا أستطيع فيها سوى الإيجاز، فالحسين 7 بعدما خلى رحله من الماء وطال على أهله الظماً . حتى جفت المراضع وشحت المدامع . تناول طفله الرضيع واسمه علي أو عبد الله ليقدمه إلى العدو وسيلة لرفع الحجر من الماء، فأشرف على الأعداء بتلك البينة المعصومة من أية جانحة أو جارحة قائلاً: «يا قوم! إنّ كُنا في زعمكم مذنبين فما ذنب هذا الرضيع؟ وقد ترونه يتلظى عطشاً، وهو طفل لا يعرف الغاية ولم يأت بجناية، ويلكم اسقوه بشربة ماء فقد جفت محالب أمه»^(١)، فتلاوم القوم بينهم بين قائل «لا بد من إجابة الحسين 7 فإنّ أوامر ابن زياد بمنع الماء خصت الكبار دون الصغار والصغير استثنته الشرائع والعواطف من كل جريمة وانتقام، حتى لو كان من ذراري الكفار» وقائل: «إنّ الحسين قد

(١) القندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال

أشرف الحسيني، قم: دار الاسوة، ١٤١٦هـ، ج ٣، ص ٧٨ [المحقق]

فخشي ابن سعد من طول المقام والمقال أن يتمرد عليه جيشه المطيع فقال لحرملة: «أقطع نزاع القوم» وكان من الرماة القساة، فعرف غرض ابن سعد فرمى الرضيع بسهم نحره به، وصار الحسين 7 يأخذ دمه بكفه وكلما امتلأت كفه دماً رمى به إلى السماء قائلاً: «اللهم لا يكونن أهون عليك من فصيل» يعني فصيل ناقة صالح^(١).

ولما أحس الرضيع بحرارة الحديد وألمه فتح عينيه في وجه أبيه وصار يرفرف كالطير المذبوح، وطارت روحه رافعة شكاية الحال إلى العدل المتعال، وترك القلوب دامية من مصيبته المفتتة للأكباد. وقد بلغ أمر الرضيع الذبيح مبلغاً من قوة الدلالة على انحراف قلوب القوم عن سنن الإنسانية وعلى سفالة أخلاقهم بحيث يؤس الحسين 7 عند ذلك من رشد هم وعاد عنهم خائباً، وربما كانت مصيبته في خيبته أعظم عليه من مصيبته في الرضيع،

(١) مقاتل الطالبين، ص ٦٠؛ ابن الصباغ المالكي (٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريبي، قم: دار الحديث، ١٤٢٢هـ، ج ٢، هامش ص ٨٤٥ [المحقق]

وكان حسين الحقّ لم يدخر في وسعه أي قوة ولم يضيّع أي فرصة في إفشاء سرائر الحزب السفيناني، فإن قتل الذراري وذبح الأطفال كانت الشرائع والعادات تمنع عنه أشد المنع، وقد روى المحدثون أنّ النبي 9 بعث سرية فقتلوا النساء والصبيان فأنكر النبي 9 ذلك عليهم إنكاراً شديداً، فقالوا: «يا رسول الله إنهم ذراري المشركين». فقال «أوليس خياركم ذراري المشركين»^(٢). وإن خالد بن الوليد لما قتل بالعميصا^(٣)، الأطفال رفع النبي 9 يديه حتى

(١) عبد العظيم المهدي البحراني، من أخلاق الامام الحسين 7، قم: الشريف الرضي، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٤ [المحقق]

(٢) الاستيعاب ج ١: ص ٩٠ ؛ المعجم الكبير ج ١، الطبراني (٣٦٠هـ)، ط ٢، تحقيق: حمدي عبد المجيد: ص ٢٨٣ ؛ المغازي ج ٢، الواقدي (٢٠٧هـ): ص ٩٠٥

(٣) وردت في المتن خطأ والصحيح الغميصاء : هي بلدة تقع جنوب مكة المكرمة كان

9خالد بن الوليد في سرية إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، وكان

(١) تاريخ الطبري ج ٢: ص ٣٤٢ ؛ تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ٦١ [المحقق]

(١) بسر بن أرطاة: وقيل: إنه ابن أبي أرطاة القرشي ويكنى أبا عبد الرحمن ولد قبل

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي . . . وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه . . . ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقتع رأسه . . . وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقلوا لعمرو ثم بسر ألا انظرا . . . سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمد إلا الحيا وخصاكما . . . هما كانتا والله للنفس وإقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه . . . وتلك بما فيها عن العود ناهيه .

(الطبقات الرفيعة في طبقات الشيعة، علي خان المدني: ص ٢٤؛ الاستيعاب ابن عبد البر

أمّا علي بن الحسين 8العليل فلم يفز بالنجاة من أيديهم العادية لا لصغر سنّه، ولا بتعلق عمته به قائلة: «لا يُقْتَلُ إلّا وأُقتل معه»^(١) ولا بشفاعه حميد بن مسلم وأشباهه فيه، بل إنّما نجا من حدّ الحديد لشدّة مرضه وقوة علته وضعف أملهم بحياته، ونجا الحسن بن الحسن باختفائه وهو جريح طريح وفاء من الله بوعده وحفظه لنسل نبي الرحمة بإكثار المصلحين في الأمة وهدايتها بعلوم الأئمة.

(١) الإرشاد ج ٢: ص ١١٦ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٩ ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد

العطش ومقتل العباس

يقف العقل حائراً كلما فكر في النظام العائلي أو الداخلي لأسرة الحسين 7 وحسن تربيته لآله وعياله، فكانوا . حتى في الشدائد . أتبع له من ضلاله وأطوع من خياله، ولا ينهض بأمر لجماعة مثل حسن الطاعة ولست مغالياً في قلبي: «إطاعة الزعيم فيما تكره ولا عصيانه فيما تحب» فالانكسار كان أبعد شيء من مثل هذه الجماعة لو لم تصبهم فاقة جوع أو عطش. فلا ترى شمراً مبالغاً في قوله لقومه عن الحسين 7 وأهله «إنهم إذا وصلهم الماء أبادوكم عن آخركم»^(١) فكان منع جيش الحسين 7 عن الماء أقوى أسلحة عدوه عليه- ومن عدّ الصبر على الجوع متعسراً يعدّ الصبر على العطش متعذراً- لاسيما من فحولة هاشم وسيوفهم في أيماهم والماء في أعينهم، ويسمعون بأذانهم ضجة صبيبتهم عطاشى ومرضى ونخص من بينهم الفتى الباسل أبا الفضل العباس 2 فقد أثرت عليه الحالة وأثارت عواطفه، فتقدّم إلى أخيه الحسين 7 يستميحه رخصة الدفاع معتذراً بأن صدره قد ضاق من الحياة ويكره البقاء.

(١) مقتل الحسين لابي مخنف: ص ٥٨-٥٩ [المحقق]

نعم، شيء لا أشهى من الحياة وأطيب، لكننا الحي إنّما يحبها مادامت منطقية على مسرات ولذات أمّا إذا خلت من تلكما الحسينين وأمست ظرف آلام لا تطاق استحالت الحياة الحلوة كأساً مرة. غير أنّ أقوياء النفوس لو أفضى الزمان بهم إلى مثل هذه الحالة العصبية وعجزوا عن سلوان أنفسهم بمهل التاريخ فإنهم يختارون الموت في سبيل دفع الموت، ويفضلونه على الموت في سبيل انتظار الموت. أجل، إنّ الموت في سبيل دفاعه أفضل وأحوط من الموت في سبيل انتظاره، وقد كان الحسين مستميتاً ومستميتاً كل من كان معه، وكانت أنفسهم الشريفة متشربة من كأس التضحية وريانة من معين التقادي. وفي مقدمة هؤلاء أبو الفضل أكبر أخوة الحسين 7 الممتاز في الكمال والجمال، وقمر بني هاشم، وحامل راية الحسين ، وعقيد آماله في المحافظة على رحله وعياله. ولذلك شق على الحسين أن يأذن له بالبراز إلى الأعداء، غير أنّه يأمل في مبارزته القوم إبلاغ الحجّة وإحياء الذريّة، وأن يعين على حياة العائلة بالسقاية والرواية . كما سبق منه ذلك . ولذلك صارت له درجة تغبطه عليه الشهداء، وإنّ أخبث رؤساء جيش العدو (شمر الكلابي) وهو على شقائه أمّن لعباس وأشقائه . لنسبة بينه وبين أم العباس أم البنين ولأنّ عباس الفتوة إذا عهدت إليه السقاية يعود منها بعودته إلى

فتوجّه العباس بن علي 7 نحو الجيوش المرابطة حول الشرائع، فأخذوا يمانعونه عن الماء ويستنهض بعضهم بعضاً على معارضته ومقاتلته خشية أن يصل الماء إلى عترة النبي ولم يزل العباس يقارعهم ويقاثلهم ويقلب فئة على فئة، ويقلّ العصاة تلو العصاة حتى كمنوا له وراء نخلة من الغاضرية فقطعوا يمانه، فتلقى السيف ببسراه ماثراً على الدفاع غير مكترث بما أصابه ، وهو يتلو الأراجيز، ويذكر القوم بمآثر أهل البيت: وحسبهم ونسبهم من رسول الله 9 فكمنوا له ثانية من وراء نخلة وضربوه بالسيف على يساره فقطعوه، فأضحى كعمه جعفر الطيار يدافع عن نفسه وهو مقطوع اليدين ، وكأن القوم قطعوا بيديه يدي الحسين 7 فعند ذلك تقدّم إليه دارمي^(٢) غير

(١) عادل صادق جعفر الزبيدي، العباس بن علي بن ابي طالب 7 سيرته وجهاده في الاسلام، (رسالة ماجستير - الجامعة المستنصرية-كلية التربية-التاريخ-٢٠٠٨م)

(٢) وهو شريك بن زرعة التميمي الدارمي، وقد اختلفت الروايات في استشهاد العباس 7، فقيل زرعة بن شريك الدارمي من تميم، وقيل: زيد بن رقاد الجنبي من مذحج، ويقال جهني من قضاة. وقيل: حكيم بن الطفيل السنبسي من طي، وقيل غير ذلك، ويرى المحقق ان اصح ما يقال هو آخر من اشترك في قتله، فالدارمي ورد ذكره في =

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي (٣٦٣)، ج ٣، تحقيق: محمد الحسيني
الجلالي، ص ١٩١ ؛ بحار الأنوار ج ٤٥ : ص ٤٢ [المحقق]

الشجاعة الحسينية

كانت هيئة الحسين (ع) وصحبه تجاه عداه دفاعية وسلسلة تحفّظات وتحوّطات عن سفك الدم أو هتك الحرم، مثل هجرته عن حرم الله ورسوله 9، ثم مصافاته مع الحر والمحايمة عن طريق الكوفة، ثم تقديمه ابن سعد لدى ابن زياد للكفاف عنه حتى يعود من حيث أتى أو يغادر إلى ثغور العجم والديلم، ثم طلبه الإفراج عن حصاره ليذهب بنفسه إلى يزيد يذكره في مصيره ومسيره، ثم تحصنه خلف الروابي والهضاب سترًا على العائلة من العادية، ثم مطالبته السقاية والرواية بواسطة رجاله، والتشعّع لديهم بأطفاله، وإيفاد رسل النصيح والسلام إليهم، وإلقاء الخطب عليهم، إلى غيرها من شواهد مسلكه الدفاعي الشريف. غير أنّ عداه تناهوا في خطط الاعتداء عليه في جميع المشاهد والمواقف، وبرهنوا للملأ الإسلامي أنّهم لا يقصدون به سوى التشقيّ والانتقام بكل قسوة وفظاعة، وكانت خاتمة مدافعاته عند الذود عن حياض شرفه بالسلاح حينما يئس ولم يبق له في هدايتهم مطمع وغدت أبواب رجاء الحياة وآمالها موصدة في وجهه، ورأى بعينه مصارع صحبه وآله من جهة ومن الجهة الأخرى مصرع العباس أخيه وذخيرته الوحيدة لنائبات الزمان، وأيقن بتصميم القوم على ممانعة الماء عنه وعن صبيته بكل جهد وجد حتى يميّتها ويميتوه عطشاً، فجاهد جهاد الأبطال ونكس فرساناً

فذكّرهم أيام أبيه في صفين والجمل، ورددت أندية الأخبار ذكرى الشجاعة الحسينية بكل إعجاب واستغراب، إذ حقّت بحالته حالات شدّ أن يضاف بطل واحدة منها: من عطش مفرط، وحرّم مهدد، وافتجاع بجمهور الأحبة والأرحام، وتفرده غريباً بين ألوف المقاتلين، ولكن شبل علي 7 لم يحسب لجمهرتهم أي حساب ولم تبد منه في مثل هذه الحالة الرهيبة العصبية ما ينافي الشرف ولا يخالف الدين ولا ما يحاشي الإنسانية. هي والله معجزة البشر وإنّها لإحدى الكبر وينشد في كراته:

إذا كانت الأبدان للموت أنشأت ... فقتل امرئ في الله أولى وأفضل

ولم يزل يدافعهم في متسع من الأرض فئة بعد فئة حتى أدّت الأفكار والأحوال إلى فكرة حصاره أثناء الكرّ والفرّ في دائرة تلال الحائر، وسدّوا في وجهه منافذ خروجه، وافترقوا عليه أربع فرق من جهاته الأربع: فرقة بالسيوف وهم الأدنون منه، وفرقة بالرماح وهم الجوّالة حوله، وفرقة بالنبال وهم الرماة

(١) اللهوف في قتل الطفوف:ص٧٤ [المحقق]

(٢) للمزيد ينظر:الإرشاد ج٢:ص١١٢ ؛ تاريخ الطبري:ص٣٤٥ ؛ مقتل الحسين ،أبي مخنف، ص١٩٥ [المحقق]

(٣) تاريخ الطبري:ص٣٤٦ ؛ الكامل في التاريخ ج٤:ص٧٨ [المحقق]

مصرع الإمام (ع) ومقتله

لقد توالى على ابن النبي (ص) جروح دامية من مطاردة الأبطال ومضاربة الفرسان، وأثناء مناصرته لأنصاره ومكاشفة الجيش عن أهل بيته، وعندما بلغ المسناة رمى ابن نمير بسهم فجرح ما بين فمه وحنكه وملاً كفيه دماً فحمد الله وقال: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تبق منهم أحداً، ولا ترض الولاية عنهم أبداً»^(١)، ثم ضربه كندي على رأسه بالسيف فقطع البرنس وأدمى رأسه وامتلأ البرنس دماً فقال الحسين «لأأكلت بيمينك حشرك الله مع الظالمين»^(٢)، وألقى البرنس ولبس القلنسوة، ثم شج جبينه أبو الحتوف الخارجي^(٣) بالحجارة، فسالت الدماء على وجهه وأفضت الإصابات والعصابات إلى هويّه نحو مصرعه، وأقبل شمر برجاله يحول بين الحسين 7 ورجاله ، واغتمت رجالة الجيش عندئذ فرصة مصرعه لاغتنام ما في رحله، وما على أهله أولئك الذين فقدوا في تلك الساعة الرهيبة حامي حماهم فاستفزت ضجتهم مشاعر الحسين 7 الهادئة ، فرفع رأسه وبصره وإذا بأجلاف القوم

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٣؛ مقتل الحسين لأبي مخنف، ص ١٨٩ [المحقق]

(٢) الإرشاد ج ٢: ص ١١٠؛ ينابيع المودة لذوي القربى ج ٣: ص ٨٣ [المحقق]

(٣) وأسمه عبد الرحمن بن زياد بن زهير الجعفي، وقيل الصحيح: ابا الجنوب لانه

كان يكنى باسم ولده جنوب (بحار الانوار ٥٥: ص ٥٢ [المحقق])

فصاح شمر: «ما تقول يا ابن فاطمة؟» قال الإمام: «أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهن جناح، فارجعوا بطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي»^(٢) فقالوا: ذلك لك ورجعوا.

ومكث الإمام 7 صريعاً يعالج جروحه الدامية والناس يتقون قتله وكل يرغب في أن يكفيه غيره، فصرخ بهم شمر قائلاً: «ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل، اقتلوه تكلتكم أمهاتكم»^(٣) فهاجوا على الحسين 7 واحتوشوه فضربه زرعة على عاتقه بالسيف، وأقبل عندئذ غلام^(٤)، من أهله وقام إلى جنبه .

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٤ ؛ مقاتل الطالبين: ص ٧٩ [المحقق]

(٢) الفتوح ، لابن اعثم الكوفي ج ٥، ص ١١٧ [المحقق]

(٣) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٦ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ١١٢ [المحقق]

(٤) الغلام هو عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب : (الإرشاد ج ٢: ص ١١٠)

[المحقق]

ثم تضاعفت الرّجالة والخيالة على الحسين 7 وطعنه سنان برمحہ وقال لخولي: «احتز الرأس» فضعف هذا وأرعد، فقال له سنان «فتّ الله عضدك» ونزل وذبح الإمام ودفع رأسه إلى خولي، وسلبوا ما على الحسين 7. حتى سراويله ونعليه^(٣)، ثم تمايل الناس إلى رحله وثقله وما على أهله، حتى أنّ

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٤ ؛ مقاتل الطالبين: ص ٧٧ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ١١٠

[المحقق]

(٢) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٥ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ١١١ [المحقق]

(٣) أخذ قميصه إسحاق بن حياة الحضرمي، وأخذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد ، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله (الإرشاد ج ٢ ، المفيد، ص ١١٢) [المحقق]

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٨ ؛ الإرشاد ج ٢: ص ١١٣ [المحقق]

(٢) سورة الشعراء: آية ٢٢٧ [المحقق]

بعد مقتل الحسين(ص)

قتل الظالمون حسين الفضيلة وفرحوا بمقتله فرحاً عظيماً، إذ حسبوا أنهم قتلوا به شخصيته ودعوته وصرعوا به كلمته، وحسبوا أنهم أخذوا به ثأر أسلافهم وانتقام أشياخهم، داسوا بخيلهم جناجن صدر الحسين 7 وسحقوا جثمانه، وزعموا أنهم سحقوا به كلمة الحسين ومحقوا دعوته.

تركوا جسد الحسين (ع) وأجساد من معه عراة على العراء بلا غسل ولا كفن ولا صلاة عليها ولا دفن، زاعمين أنهم أهملوا بذلك شخصية الحسين (ع) وأهمية الحق والإيمان، متلوا بجثة الحسين- وقد منع الإسلام عن المثلة- زاعمين أنهم جعلوا داعية العدل وآية الحق أمثلة الخيبة والفشل ، وأنه سيضرب به المثل، لعبوا برأسه على القنا وبرؤوس آله وصحبه أمام العباد والبلاد، زاعمين أنهم سيلعبون بعده بعقائد العباد ومصالح البلاد وما داموا ودامت، سلبوه وسلبوا أهله ونهبوا رحله وأحرقوا خيمه وأبادوا حُرمه، زاعمين أنها هي الضربة القاضية، فلن ترى بعدئذ من باقية.

ظن ذلك القوم وأيدهم كل شواهد الأحوال يومئذ حتى دفن ابن سعد جميع قتلى جنده في يومه، ودفن معهم كل خشية أو خيبة كانت تجول في واهمته، ورحل عن كربلاء برحل الحسين 7 وأهله والرؤوس إلى ابن زياد، وترك أشلاء

وليت شعري! ماذا يصنع أولياء الحق بصلاة أولياء الشيطان؟ وحسبهم منهم أن صلّت على جسومهم سيوفهم، وشيّعت أجسادهم نبأهم، وألحدت أشلاءهم العوادي والعاديّات، فعليهم وإليهم صلوات الله والصالحين ودعوات طلاب العدل وعشاق الحق ما لاحت الإصباح وروحت الرياح.

هذا وما عتمت عشية الثاني عشر من محرم إلّا وعادت إلى أرياف كربلاء عشائرها الطاعنة عنها بمناسبة القتال وقطان نينوى والغازيات من بني أسد . وفيهم كثير من أولياء الحسين 7 وقليل ممن اختلطوا برجالة جيش الكوفة . فتأملوا في أجساد زكية تركها ابن سعد في السفوح وعلى البطح تسفي عليها الرياح، وتساءلوا عن أخبارها العرفاء فما مرت الأيام والأعوام إلّا والمزارات قائمة، وعليها الخيرات جارية، والمدائح تتلى، والحفلات تتوالى ، ووجوه العظماء على أبوابها، وتيجان الملوك على أعتابها، وامتدت جاذبية

الْكَافِرُونَ^(١)

أما الحزب السفيفاني فقد خاب فيما خاله وخسرت صفقته وذاق الأمرين بعد مقتل الحسين 7 في سبيل تهدئة الخواطر وإخماد النواثر حتى صار يعالج الفاسد بالأفسد ويستجير من الرمضاء بالنار، كقيامه باستباحة مدينة الرسول 9 وإخافة أهلها، وقتله ابن الزبير في مكة حرم الله والبلد الأمين، حتى حاصروه ورموه بالمنجنيق، وقطعوا سبل الحج على المسلمين، وهتكوا معظم شعائر الدين.

ونهب المختار الثقفي وزعماء التوابين العراقيين طالبيين ثار الحسين 7 فقتلوا ابن زياد وابن سعد وأشياعهما شر قتلة، وأهلكوا شمراً بكل عذاب، وأحرقوا حرمة حياً، وتتبعوا قتلة الحسين 7 ومحاربيه في كل دير ودار،

(١) سورة التوبة: آية ٣٢ [المحقق]

هذه عاقبة الجائر الفاجر وتلك عقبى المجاهد الناصح (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^(٢).

(١) غلام ثقيف هو المختار الثقفي (اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٠) [المحقق]

(٢) سورة الأعراف : آية ١٢٨ [المحقق]

زينب في عاصمة أبيها

إن كان أبو حفص أول من اختط الكوفة للجند والمؤونة فأبو الحسن 7 أول من مصرّها وعمرّها ومدّنها واتخذها عاصمة لحكومته^(١)، فصارت في أيامه مشهد القضاء والخطابة، ومعهد العلم والعبادة، وكانت ابنته زينب أميرة الكوفة حينما كان أبوها أمير المؤمنين، ومعرز مجدها إخوتها الأمجاد، وزوجها سيّد الأجواد عبد الله ابن عمها جعفر الطيار. الذي اشتهر بالجلود . حتى أنّه أقرض شخصاً واحداً . وهو الزبير . ألف ألف درهم ثم وهب الصك لابن الزبير .

وبيت زينب في الكوفة ملجأ الفقراء والأمرء، حتى كان أبوها يضيف عندها أحياناً . كما روي ذلك عنه في ليلة مقتله . فإلى مثل هذا البلد أو إلى مقر عزها وعاصمة أبيها كان سبي زينب الخطوب وعقيلة بني هاشم، وتدخلها بجملة ربائب الخدر من آل الرسول، وحولها يتامى وذريّ أبيها علي، على محامل غير مجللة بالغطاء، وهنّ لا يملكن من السواتر غير الحياء، يسوقهنّ

(١) روي ذلك القرمانى في أواخر أخبار الدول. المؤلف

(أحمد بن يوسف القرمانى(١٠١٩هـ)، أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق: أحمد حطيّط؛

فحري بالحرّة الهاشمية سليلة الرسول (ص) أن تصرخ بهم وتقول «إنّ الصدقة محرّمة علينا أهل البيت» ونساء الأزقة والسطوح باكيات على هؤلاء.

قال خزيمة الأسدي: دخلت الكوفة فصادفت منصرف علي بن الحسين 8 بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن، متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين 7 وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض «يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم؟» (١) ، ورأيت زينب بنت علي 3 فلم أر والله خفرةً أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين 7، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فسكتت الأنفاس وهدأت الأجراس فقالت: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ، أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخُتْلِ وَالْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟! فَلَا رَقَاتِ الدَّمْعَةِ، وَلَا هَدَاتِ الرِّيَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ. أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالنُّطْفُ، وَالصَّدْرُ الشَّنِيفُ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ، وَغَمَزُ الْأَعْدَاءِ، أَوْ كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ، أَوْ كَفِضَةٍ عَلَى

(١) مثير الأحزان، ابن نما الحلبي: ص ٥ [المحقق]

أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟! إِي وَاللَّهِ فَابْكُوا كَثِيرًا، وَاَضْحَكُوا قَلِيلًا، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا
وَشَنَارِهَا، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغَسَلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَنْتَى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ
النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذِ خَيْرَتِكُمْ، وَمَفْرَعِ نَازِلَتِكُمْ،
وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ، وَمِدْرَةِ سُنَّتِكُمْ. أَلَا سَاءَ مَا تَزِرُونَ، وَبُعْدًا لَكُمْ وَسُحْقًا، فَلَقَدْ
خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ
عَلَيْكُمْ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.

وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! أَتَذَرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرَيْتُمْ، وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ
، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ، وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ؟ لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا خَرْقَاءَ شَوْهَاءَ،
كَطِلَاعِ الْأَرْضِ أَوْ مِلَاءِ السَّمَاءِ، أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا، وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَنْتُمْ لَا تَنْصَرُونَ.

فَلَا يَسْتَخَفُّكُمْ الْمَهْلُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْفَرُهُ الْبِدَارُ وَلَا يَخَافُ قَوْتَ النَّارِ، وَإِنْ رَبَّكُمْ
لَبِا لِمِرْصَادٍ».

يقول راوي هذه الخطبة: «فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبيكون، وقد
وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت

(١) يمثل الخطاب المرتجل للسيدة زينب³ عقيلة بني هاشم جانباً عالياً من البلاغة والفصاحة والبيان، ويعد اول تصريح وتعليق على فاجعة الطف في كربلاء والتي من خلالها شرحت ابعاد الجريمة النكراء للمجتمع الكوفي كونه الاداة للظلم الاموي، وقد سُرحَت الخطبة في العديد من المصادر الحديثة وللمزيد عن خطبة الحوراء زينب³ في قصر الامارة ينظر (اللهوف في قتل الطفوف: ص ٨٧ ؛ محمد كاظم القزويني (١٩٩٤م)، زينب الكبرى من المهدي الى الحيد، تحقيق: مصطفى القزويني، بيروت: دار المرتضى، [د.ت.]، ص ٢٧٩؛ بحار الأنوار ج ٥ : ص ١٠٩) [المحقق]

السبي النبوي في قصر الإمارة

نزلوا بالسبايا في قصر الإمارة على عبيد الله وقد سبقها رأس الحسين
 7 لأن ابن سعد ساعة ما قتل الحسين أرسل رأسه إلى ابن زياد مع خولي
 الأصبحي^(١)، فبات في بيته وأصبح عنده في طست بين يديه ومجلسه مكتظ
 بالشيوخ ورؤساء الأحياء فصار يبتسم من عظيم سروره وابتهاجه، وينكت
 رأس الحسين بقضيب في يده ويضرب شفتيه، غير مكترث ولا محتشم لأحد،
 ولا أحد ينكر عليه فعلته هذه إلا الصحابي العظيم زيد بن أرقم، صرخ قائلاً:
 «ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فقد والله رأيت رسول الله يضع شفتيه على
 هاتين ويقبلهما»^(٢)، ثم بكى فسبه ابن زياد وقال له «أبكى الله عينيك، فلولا
 أنك شيخ كبير قد كبرت وخرفت لضربت عنقك» فخرج زيد يقول للناس «أنتم

(١) الخولي بن يزيد الأصبحي، من حمير، ومن أشقياء الكوفة ومن مبغضي أهل البيت
 : بعد سقوط الإمام الحسين 7 على الأرض تقدم واحتز رأسه، كانت له زوجتان، ضل
 متخفياً أيام المختار، إلا إن زوجته الحضرية

هي التي دلت أصحاب المختار على مكان اختفائه فأخذوه إلى المختار فأمر أن
 يذبح (الوافي بالوفيات ج ١٣: ص ٢٧٣ ؛

[المحقق]

(٢) الإرشاد ج ٢: ص ١١٥ ؛ الأخبار الطوال: ص ٢٦٠ [المحقق]

(١) الصدوق (٣٨١هـ)، الامالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم: المؤسسة، ١٤١٧هـ، ص ٢٢٩
؛الفتال النيسابوري (٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، [د.ت]،
ص ١٩٠ [المحقق]

ثم كثر الزّحام على ابن زياد من الطامعين والطامحين، إذ أُزفت ساعة الوفاء بالوعود وتأدية أجور الأمّلين، لكن ابن مرجانة رأى أنّ الخزّانة لا تفي بمصرف الجنود فضلاً عن الوفاء بالوعود، وإنّما أغراهم بالمواعيد دهاءً ومكرًا. وطبيعة الكوفة أنّها تتصب رقابها سلماً لرقبائها قبل إبرام الوثائق، فتمسي ولها الوزر ولغيرها الأجر، فغدر ابن زياد بهم بعد مقتل الإمام، وحرّم الكثير منهم حتى عن القليل بأقل بادرة وأدنى حجة، ونكث عهد ابن سعد بولاية الري.

(١) للزمزيد عن السبي النبوي والحوار الذي دار في قصر الإمارة بين العقيلة زينب 3 واللعين ابن زياد ينظر: (الإرشاد ج ٢: ص ١١٥؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٥٠؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ص ٢٠٥) [المحقق]

ولما جاءه سنان بن أنس قائلاً:

إملاً ركابي فضة وذهباً ... إنّي قتلت السيّد المحجّباً

قتلت خير الناس أمّاً وأباً ... وخيرهم إذ ينسبون النسباً
ردّه عبيدالله قائلاً: «فلم قتلته لو تعرفه كذلك؟»^(١) وأحال ابن زياد قسماً من هؤلاء العاملة إلى أميره يزيد في الشام ليستوفوا الجوائز هناك، وجهز معهم سبائا الحسين، وقائد الركب زجر وقائد الجند المحافظ لهم شمر، ومعهم كافة الرؤوس، وذلك لأنّه عرف أنّ الكوفة سريعة التبدل، وشعر بيوادر انقلاب القلوب مما ذكرناه في بقاء آل الرسول في الكوفة خطر، والسجون مشحونة بشيوخ القبائل.

وليس ابن زياد كيزيد يلهو بالحالة الحاضرة عما ورائها ويضيع الفرص على نفسه، فاستعجل بإرسال أهل الحسين إلى الشام، فضلوا يعانون مشاقّ السّفر حتى وصلوا دمشق الشام في أوائل شهر صفر.

(١) العقد الفريد ج ٥: ص ١٣٠ ؛ الفتوح لابن اعثم الكوفي ج ٥: ص ١٢٠ [المحقّق]

في الشام عاصمة أُمّية

الحوادث في النهضة الحسينية سلسلة مصائب تؤخذ بدايتها في الأكثر من مدينة الرسول وتتطفي شعلة الختام في الشام، إلا أنّ المتأمل في فصولها يعسر عليه في أكثر الأحيان ربط الحلقات وتعليل الحوادث ومعرفة المؤثرات، فيقف التاريخ بالقارئ غالباً وقفة الحائر واضعاً سبأته على شفتيه بدل أن يضعها على جملة تاريخية كهيئة المشير إلى السبب، وكيف لا تستولي عليه الحيرة وحوله ما يدهش اللب ويقضي بالعجب، إذ عن اليمين فضائل جمّة تمركزت في شخصية الحسين (ع) هي ذي مآثر فضلى تستوجب إكرام صاحبها- قام أو قعد- بينما عن يسار المتأمل صحيفة سوداء، للخصوم هي ذي مآثم تستدعي احتقار صاحبها ولعنه . أينما سار أو وقف . وأمام المتأمل فجائع وفضائع وما لا يستحله عدد من ألد أعدائه من إيذاء صبية، وذبح ذرية، وسبي نساء، وقتل أبرياء، وضرب المرضى، وسب الموتى وإحضار الضعفاء على ظمأ، ومثله بأشلاء إلى غيرها مما تقشعر منه الجلود.

فهل هذا كله لأحقاد أورثتها الجدود للأحفاد؟ حينما نرى الخصومات تنتهي في العرب وغير العرب في ساعة الغلب، فلا يبقى بعد ذلك في المنظر أثر حقد على المنكسر، بل يصون منه الحرمة، وتتحول فيه النقمة إلى الرحمة. لكننا المؤسف كل الأسف أنّ يزيد لم يعامل خصمه من آل الرسول معاملة

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

(١) مقتل الحسين، أبو مخنف: هامش ٢٢٦ ؛ الفتوح ج ٥: ص ١٢٩ [المحقق]

ثم صارت فاطمة بنت الحسين من ورائه تطاول رأسها لترى رأس أبيها ويزيد يطاول برأسه لئلا تراه، وصار يتمثل بأبيات الحصين المري^(١):

نفلق هاماً من رجال أعزة ... علينا وقد كانوا أعقّ وأظلما

فصاح علي بن الحسين كان مغلول اليدين «يا يزيد! ما ظنك برسول الله لو رأنا على هذه الحالة؟» فأمر يزيد بإطلاق يديه وقال «أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت»^(٢)، فأجابه علي (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)^(٣).

(١) الحصين بن الحمام المري: من بني مرة (من ذبيان) شاعرها وفارسها وقاندهم وسيد

(٢) الإرشاد ج ٢: ص ١١٢ ؛ تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٥٢ [المحقق]

(٣) سورة الحديد : آية ٢٢ - ٢٣ [المحقق]

وقام شامي أحمر وأشار إلى فاطمة بنت الحسين قائلاً: «يا أمير هب لي هذه الجارية» فارتعدت فاطمة وتعلقت بعمتها زينب، فصاحت زينب الفصاحة «مه! ليس ذلك لك ولا لأميرك» فغضب يزيد وقال: «إنّ ذلك لي ولو شئت لفعلت». فأجابته زينب: «كذبت والله، ليس ذلك لك إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا». فاستطار يزيد غضباً وقال: «إياي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج عن الدين أبوك وأخوك». فقالت: «بدين الله ودين أبي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً، وإنّما أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك»^(١). ثم لم تقنع بنت أمير المؤمنين في تلك القاعة الرهيبة التي لا تقصر مهابة عن ميادين الوغى، بل عمدت إلى كشف القناع عن مخازي القوم وبيان صلاتها بصميم الإسلام، فقامت مصلية على رسول الله قائلة: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين. صدق الله: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)^(٢) أظننت يا يزيد! حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وإنّ ذلك

(١) تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٥٣ [المحقق]

(٢) سورة الروم: آية ١٠ [المحقق]

مهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)^(١)؟!
 أمن العدل يا ابن الطلقاء! تخديرك حرائرك واماءك، وسوقك بنات رسول الله 9 سبايا، قد هُتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدوّ بهنّ الأعداء من بلد الى بلد، ويستشرف وجوههنّ أهل المناهل والمعازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهنّ ولي ولا من حماتهن حمي. وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأركياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟ وكيف يستبطن في بغضنا- أهل البيت- من نظر إلينا بالشفن والشنّان والإحن والأضغان؟!

ثم تقول - غير متأثم ولا متعظم :-

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

(١) سورة آل عمران :آية ١٧٨ [المحقق]

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تتكئها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت الفرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد⁹ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ،وتهتف بأشياخك زعمت أنك تتناديهم، فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودنّ أنك شللت ويكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حرزت إلا لحمك، ولتردنّ على رسول الله⁹ بما تحمّلت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم.(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)^(١)

حسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبريل ظهيراً. وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بنس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً .

(١) سورة آل عمران : آية ١٦٩ [المحقق]

ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك،
واستكبر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصدور حرّا.

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه
الأيدي تتظف من دماننا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر
الزواكي تتتابها العواسل، وتعفوا أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدن
وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدّمت، وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله
المشتكى وعليه المعول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك. فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت
وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيامك
إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.
فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله
أن يكمل لهم الثواب، ويوجب^(١).

(١) للمزيد عن خطبة الحوراء زينب 3 في مجلس اللعين يزيد ينظر: مقتل الحسين لأبي
مخنف: هامش ص ٢٢٧؛ بلاغات النساء، ابن طيفور (٣٨٠هـ): ص ٢١ [المحقق]

طلائع الانتباه

لقد كان لخطبة زينب في تلك الحفلة الرهيبة . التي كانت تضم بين جنبيها عدداً كبيراً من مختلف الناس . صدئ عظيم، بحيث نبّهت الناس وأيقظتهم من نومتهم، كأنهم كانوا في سبات عميق ذهبت بعقولهم ومشاعرهم. أزاحت ربة الخدر حجب الشبهات عن عيون أعيان الشام الذين كانوا يزعمون أنّ هؤلاء من سبي الروم والتتر، حتى كان أحدهم يطالب يزيد إحدى بنات رسول الله 9 تكون أمة له وخادمة في بيته، فانكشفت لأعيان الشام حقيقة السبي وأنه من العنصر الهاشمي الزكي والبيت النبوي الطاهر؛ فعندما أمر يزيد بالحبال فقطعت من أعناقهن وأيديهن، وتوجه بالحنان إلى زين العابدين 7 وطلب منه أن يصعد المنبر ويعتذر ليزيد من أمر أبيه الحسين 7؛ فرقى ابن الخيرتين المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول فصلّى عليه ثم قال^(١):

(١) إنّ هذه الخطبة العظيمة التي أُلقيت على مسامع أهل الشام كانت مفصلة جداً رأينا اختصارها بمقتضى هذا الكتاب وانتخبنا منها بعض الجمل والفصول فقط. وتفصيل هذه الخطبة مذكورة في كتاب بحار الأنوار ج ١٠ المؤلف

(المجلسي) (١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد الباقر، ط ٢ المصححة، بيروت: مؤسسة

الوفاء، ١٩٨٣م، ج ٤، ص ١٣٨] [المحقق]

«.. أيها الناس أُعطينا ستاً وفُضِّلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين. وفُضِّلنا بأنَّ مَنَّا النبي المختار محمّداً، ومنا الصديق، ومنا الطيّار، ومنا أسد الله وأسد رسوله ومنا سبطا هذه الأمة ومنا مهديّ هذه الأمة. من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي:.... أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى.. أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء...». وهكذا لم يزل يقول أنا ابن، أنا ابن حتى ضج الناس بالبكاء وخشي يزيد أن تحدث فتنة وانقلاب، فأمر المؤذن أن يؤذن حتى ينقطع كلام الإمام، فجعل المؤذن يؤذن حتى قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» التفت العليل من فوق المنبر إلى يزيد وقال: «محمّد هذا جدّي أم جدك يا يزيد؟! فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلم تقتلت عترته؟!».

بهذه الخطبة الرنانة تمكّن علي بن الحسين 7 أن يوجّه نحوه وجوه أهل الشام . كما أثّرت من قبل خطبة عمّته زينب في أعيان الشام ..

ومما مضى نعلم أنّ النهضة الحسينية . التي دار محورها حول تنبيه الأمة على سيئات بني أمية . لم ينقطع سيرها بانقطاع حياة الحسين 7 في طف كربلاء . كما قلنا ذلك في الفصل السابق . بل قامت مقامه شقيقته زينب وأزالت الستار عن مخازي بني أمية الجور حتى في عاصمتهم، وفي نوادي ابن زياد ويزيد، وكذا قام بدوره علي شبل الحسين السبط 8 في هذه المواضع

عند ذلك قلب يزيد ظهر المجن، وأظهر الندم من قتل الحسين 7 قائلاً: «لعن الله ابن مرجانة ، لقد كنت اكتفي منه عن الحسين بأقل من هذا» وطلب من علي ابن الحسين 7 أن يعرض عليه حاجته، فقال له: «أريد منك أن تريني وجه أبي، وأن تعيد على النساء ما أخذ منهن، ففيها مواريث الآباء والأمهات، وإذا كنت تريد قتلي فأرسل مع العيال من يؤدي بهن الى المدينة» فأجابه بقوله: «أمّا وجه أبيك فلن تره، وأمّا ما أخذ منكم فيرد إليكم، وأمّا النسوة فلا يردهن غيرك، وقد عفوت عن قتلك».

هنا وفي هذه الساعة انطفأت جذوة الانتقام- التي كان لهبها يستعر في صدر يزيد من قبل- وهنا خاتمة المصائب.

هنا أدّن يزيد لأهل البيت النبوي إقامة العزاء لفقد سيدهم ليالي وأياما، وعلت من بيوت يزيد ونسوته أصوات البكاء والعيويل . كحمامات الدوح يتجاوبن النوح مع النوادب من آل الرسول على سيد شباب أهل الجنة، ثم أمر يزيد الخنا النعمان بن بشير، أن يسير بآل الرسول إلى المدينة المنورة في العشرين من صفر، وينزل بعيداً عنهم، ويسير كذلك ولا ينزل إلاّ بأمرهم ولا يرحل إلاّ

مدينة جدّنا لا تقبلينا... فبالحسرات والأحزان جينا
 خرجنا منك بالأهلين جمعاً... رجعنا لا رجال ولا بنينا
 وكنا في الخروج بجمع شمل... رجعنا حاسرين مسلبينا
 وكنا في أمان الله جهراً... رجعنا بالقطيعة خائفينا
 ومولانا الحسين لنا أنيس... رجعنا والحسين به رهينا

(١) على الرغم من أن النعمان بن بشير أموي النزعة والهووى إلا إن له موقف نبيل مع سبايا آل محمد 9 حيث أمره يزيد أن يعود بأهل بيت الحسين 7 إلى المدينة فكان يسايرهم فيكون أمامهم فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه كهينة الحرس ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء، ويعرض عليهم حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة. قال الحارث بن كعب: قالت لي فاطمة بنت علي 7: قلت لأختي زينب قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته لنا، فهل لك أن تصله؟ قالت: فقالت: والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا فأخذت سوارى ودملجى أو سوار أختي ودملجها فبعثنا بها إليه واعتذرنا من قتلها، وقتلنا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان = = الذي صنعه للعالم كان في دون هذا رضى ولكن والله ما فعلته إلا لله وقرابتكم من رسول الله 9. ينظر: بحار الأنوار ج ٥ ص ١٤٦ [المحقق]

ثم أخذت بعضادتي باب مسجد النبي (ص) وقالت بلهفة «يا جدّاه! إنّي ناعية إليك أخي الحسين»^(١)، ولا زالت بعد ذلك لا تجف لها عبرة، ولا تقتر من البكاء والنحيب، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين (ع) تجدد أحزانها وزاد وجدها.

(١) بحار الأنوار ج ٥: ٤ ص ١٩٨ [المحقّق]

فهرس الكتاب

.....المقدّمة

.....مقدّمة المؤلّف

النهضة الحسينية

خلافة يزيد وخلاف الحسين له

أهلية الحسين (ع) للخلافة

الحسين (ع) رمز الحق والفضيلة

الحركات الإصلاحية والضرورية

آثار الحركة الحسينية

الفضيلة والرزيلة

سلسلة عوامل النهضة

مبادئ قضية الحسين (ع)

دوافع يزيد الانتقامية

معاوية وتعقيباته

تأثرات الحسين (ع) الروحية

كيف يبائع الحسين (ع)

البيعة ليزيد

نظرة في هجرة الحسين (ع)

إصدارات مكتبة الجوادين العامة

مؤسسة السيد هبة الدين الشهرستاني

- ٨ -

نهضة الحسين (ع)

1 السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

دراسة وتحقيق

الجزء الثاني

محمد إِيَاد جواد هبة الدين الحسيني

الطبعة الثانية عشر (مزيدة ومنقحة ومحقة)

مؤسسة هبة الدين الشهرستاني (1)

للطباعة والنشر

هوية الكتاب

رقم التصنيف: ٩٥٣.٠٤٢

المؤلف: الشهرستاني، هبة الدين الحسيني ش ٩٤٥

عنوان الكتاب: نهضة الحسين

المحقق: محمدأياد جواد هبة الدين الحسيني

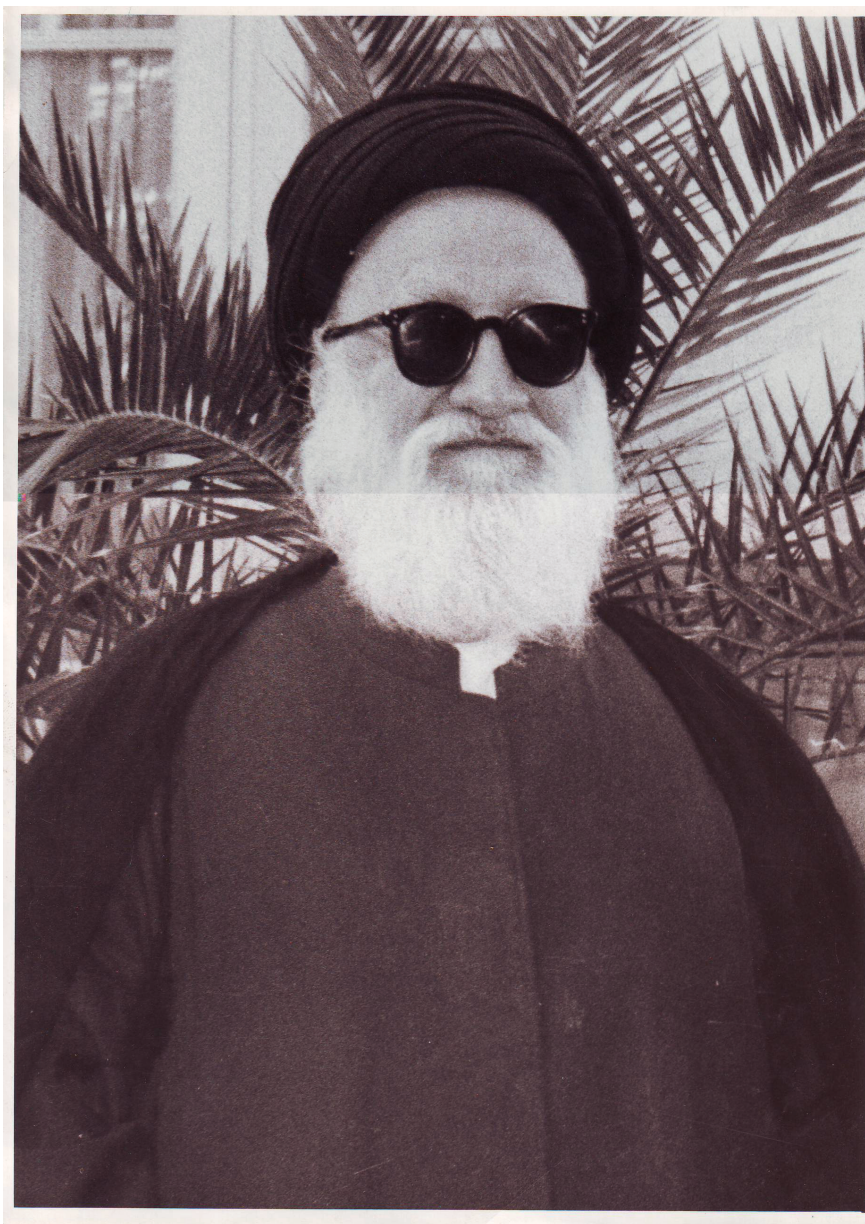
الناشر: الكاظمية - مؤسسة هبة الدين الشهرستاني (1)

الطبعة الثانية عشر: محرم ١٤٣٥ هـ

المطبعة:

عدد النسخ: ١٠٠٠

رؤوس الموضوعات: تاريخ إسلامي . العصر الأموي . نهضة الحسين



السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني



الباب الثاني

البحوث الأكاديمية التي كُتبت حول كتاب

نهضة الحسين (ع)

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وكتابه
(نهضة الحسين) المنهج التاريخي و أسلوب الكتابة

السيد هبة الدين وجهوده في كتابة التاريخ

تاريخ الغزاء الحسيني

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وكتابه

(نهضة الحسين)

المنهج التاريخي و أسلوب الكتابة

أ.د هادي عبد النبي محمد التميمي

الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف

أولاً: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (١٣٠١ هـ /

١٨٨٤م - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م)

(روافد بنائه الفكري ومواقفه السياسية)

ولد السيد هبة الدين (محمد علي)^(١) بن السيد حسين بن السيد

محسن الحسيني الشهرستاني^(٢)

(١) سمي السيد بعد ولاته: محمد علي، ثم زار السيد علي الشهرستاني المرعشي - من كبار أعلام سامراء - والده السيد حسين وابلغه انه قبل ساعة رأى في المنام الإمام علي بن الحسين زين العابدين 7 وأمره بان يسمى هذا الولد (هبة الدين) فأردف إلى أسمه وأشتهر به، ينظر: السيد جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ضمن كتاب ذكرى الإمام الحسين في الصحن الكاظمي الشريف، قيد الطبع، ص ٥١.

(٢) عُرف السيد هبة الدين بالحسيني نسبة إلى الإمام الحسين 7 الذي ينتهي نسبه إليه، وعُرف السيد حسين والد هبة الدين بالشهرستاني نسبة إلى زوجته من الأسرة الشهرستانية الموسوية. المصدر نفسه، ص ٥١، محمد الحسون، مقدمة كتاب نهضة الحسين 7، ط بغداد، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٩، وينظر رأي آخر في إلحاق هذا اللقب بالأسرة اثر انتقالها وسكنها في مدينة (شهرستان) في أيرن ردها من الزمن، إسماعيل طه الجابري، هبة الدين الشهرستاني منهجه في الإصلاح والتجديد وكتابة التاريخ - دراسة تحليلية - ، ط بغداد، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢١، هامش (١)،

في مدينة سامراء سنة (١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م)^(١).

فتح السيد هبة الدين عينية في أسرة ذات توجه علمي ديني^(٢) أولته اهتماماً ورعاية، وساعدته على تعلم اللغة العربية والقران الكريم، وشيئاً من المعرفة التاريخية^(٣) ثم انتقل إلى مدينة كربلاء سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م وأتم دراسته فيها على أعلامها لمدة اثنتي عشرة سنة، وقد شهدت تلك السنوات ظهور

(١) السيد جواد، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥١.

(٢) ينظر ما ذكره عن والده ومؤلفاته، ووالدته وما كانت تُتقن من علوم. هبة الدين الحسيني الشهرستاني، صدف اللآلي في نسب أبي المعالي، (مخطوط)، بغداد، مكتبة الجوادين العامة، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م، برقم ٩٦، ورقة ٤٢، ٤٥.

(٣) يُنظر: المصدر السابق، ورقة ٤٥، السيد جواد، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥١، محمد مهدي العلوي، نابغة العراق، ط بغداد، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م، ص ٣.

ترك السيد هبة كربلاء إلى النجف سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م بعد وفاة أبيه، فأكمل تحصيله العلمي ودرس على يد ابرز شيوخها^(٣)، وحصل على الإجازة العلمية بالفتوى والرواية^(١).

(١) ومنها أرجوزة في قواعد النحو والصرف في اللغة العربية نظمها وله من العمر ثلاثة عشر سنة، وأراجيز في علم العروض، وفي أصول العقائد الإسلامية. السيد جواد، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥٢.

(٢) يقول عن ذلك السيد هبة الدين: ((... ثم صرفت عشر سنين من عمري في التصنيف نظاماً ونشراً وأنا اترك فيها لذة العشرة ولذة اصطحاب الأحباب ولا التفت إلى شيء من ملاذ الدنيا ... ويعلم الله ما كنت إلا قيه من صعوبات المعيشة)): السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، أسئلة في موضوعات شتى وإجابات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني عليها ضمن مخطوط صدف اللآلي في نسب أبي المعالي، ورقة ٣٩٥.

(٣) ينظر: السيد هبة الدين، صدف اللآلي، ورقة ٤٩ - ٥٠، الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٢٩ - ٣١.

كان لبيئة النجف العلمية اثر متميز في صقل شخصيته لاسيما وقد تهيأ له أساتذة^(٢)، كانت لهم نتائج فكرية عمقت الوعي لدى طلابهم بما عرضته من فكر سياسي إسلامي، تغلب عليه النزعة التجديدية الإصلاحية^(٣) فضلا عن انه راسل عدداً من رواد النهضة العربية الحديثة وحركة الإصلاح الديني^(٤)، وتابع بنشاط وهمة ملحوظين الإصدارات والمطبوعات العربية الحديثة كتباً وصحافة، مثل الهلال والمقتطف اللتين تميزتا بتأييدهما لمفاهيم وأفكار جديدة، وفق مقياس الزمان والمكان، كل ذلك وغيره ساهم في إعداد هبة الدين معرفة وفكراً، وبالتالي رؤى ومواقفاً لاسيما التحريض ضد الجمود

(١) إجازة الفتوى هي إذن الشيخ لغيره بالإفتاء، أو شهادة منه ببلوغه مرحلة الاجتهاد، وإجازة الرواية: هي إذن الشيخ للرواية عنه. ينظر: عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ٢١ - ٢٣.

(٢) منهم الشيخ: محمد كاظم الاخوند (١٨٣٩ - ١٩١١م)، والشيخ محمد حسين النائيني النجفي (ت ١٩٢٦)، ومحمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٧ - ١٩٥٤م)، وشيخ الشريعة الأصفهاني (١٨٥٠ - ١٩٢٠م).

(٣) محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق، ط بغداد، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، ص ٢٢ - ٢٩، الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٣١ - ٣٤.

(٤) منهم: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد العزيز جاويز، والشيخ طنطاوي جوهري.

كان للسيد هبة الدين نشاطا سياسيا واضحا على اثر دخول قوات الاحتلال البريطاني للعراق (١٩١٤ - ١٩١٨)، ففي عام (١٣٣٤هـ / ١٩١٥م) عُهد إليه قيادة هيئة علماء الدين لدعم المجاهدين المتطوعين لنصرة الجيش العثماني في الكوت، والقرنة، وكان لخطبه المشجعة تأثيرها في نفوس المجاهدين، وفي عام (١٣٣٥هـ / ١٩١٦م) اشترك في قيادة المجاهدين من العشائر الفراتية في معركة الشعبية (٢)،

(١) علاء حسين الرهيمي، مجلة العلم النجفية (١٩١٠ - ١٩١٢) - من المجالات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس، بحث مطبوع مقدمة لمجلة العلم (١٩١٠ - ١٩١٢)، السنة الأولى، ط دار التعارف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ١٣.

(٢) دارت معركة الشعبية مع بداية دخول الغزاة البريطانيين للعراق سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م مع الجيش العثماني ومن انضم إليه من مجاهدي العراق، وانتهت بإخفاق الجيش العثماني والمجاهدين، سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م، وقد ألف السيد هبة الدين حول هذه المعركة رسالة اسمها ((إسرار الخيبة من فتح الشعبية)) احتوت معلومات مهمة لان الكاتب كان احد ابرز قادة حركة الجهاد، وقد واكب الكثير من تفاصيلها وتدايعاتها طيلة فترة المواجهة ضد المحتلين، وذلك بممارسة اليومية من اتصالات مع القادة العثمانيين، أو علماء الدين، أو شيوخ العشائر، أو تحركاته الميدانية سواء في

ضد القوات الانجليزية الزاحفة إليها^(١).

وقد شارك في ثورة العشرين إلى جانب الشيخ محمد تقي الشيرازي (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م - ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) وألقى الخطب المحفزة لهمم الثوار في الصمود أمام القوات البريطانية، وبعد فشل الثورة اعتقلته السلطة البريطانية المحتلة، وقدم إلى المحكمة العسكرية في الحلة، فحكمت عليه وعلى بعض ممن كان معه بالإعدام، ولكن أطلق سراحه بالعفو العام في مايس سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) بعد إن مكث في سجن الحلة حوالي ثمانية أشهر^(٢).

للمزيد ينظر: هبة الدين محمد علي الشهرستاني الحسيني، معركة الشعب (١٩١٤ - ١٩١٥) أسرار الخيبة في فتح الشعب، دراسة وتحقيق: د. علاء حسين الرهيمي وإسماعيل طه الجابري، ط النجف، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٢ - ٨٢.

(١) السيد جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤، كاظم مسلم محمود العامري، الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية (١٩١٠ - ١٩٣٢) أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الكوفة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٧٣ ؛ وينظر: جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ط بغداد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ٢/ ٢٠٦.

شغل السيد هبة الدين منصب وزير المعارف في أيلول سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) في الوزارة النقيببة الثانية^(١)، كأول وزير من العلماء المبرزين، وقد أجرى في وزارته إصلاحات قيمة^(٢)، بيد انه قدم استقالته من الوزارة في آب سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٢م) لعدم ارتياحه إلى أسلوب العمل مع الجهاز العامل فيها، فاختر هذه المرة رئيساً لمجلس التمييز الشرعي الجعفري، وظل في هذا المنصب أكثر من عشرة سنوات (من ١٣٤٢هـ - ١٣٥٣هـ / آب ١٩٢٣م - تشرين الأول ١٩٣٤م)، ثم أصبح نائباً عن لواء بغداد في مجلس النواب العراقي في (٢٥ كانون الأول سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م حتى ١١ آذار ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)^(٣).

(١) شكل عبد الرحمن النقيب الكيلاني (١٨٤٥ - ١٩٢٧) وزارته الثانية بتاريخ ١٢ أيلول ١٩٢١. ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط ٧، بغداد، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ١ / ٧٣ - ٧٥.

(٢) حول تلك الجهود الإصلاحية ينظر: الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٨٨ - ٩٣.

(٣) ينظر: السيد جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥٥ - ٥٦، الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ١٠ / ٢٩٤ - ٢٩٥، الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٩٥.

وقد دأب السيد الشهرستاني على صعيد النشاط العلمي والفكري بتدريس العلوم المختلفة في النجف مثل البلاغة والمنطق والفلسفة وعلم الهيئة والنجوم فضلا عن أصول الدين وفروعه^(١)، فانتسعت حلقاته العلمية حتى ضمت طلابا من الهند وإيران وسوريا والأردن والحجاز والخليج العربي، ومن مختلف المذاهب الإسلامية^(٢).

وقد اختارته وزارة المعارف العراقية لإلقاء المحاضرات الدينية في دار المعلمين الابتدائية والريفية لتدريب مدرسي الدين ورفع مستواهم العلمي والديني، كما أسس في الكاظمية مكتبته المعروفة باسم (مكتبة الجوادين العامة)، وصارت مكانا لإلقاء محاضراته من عام (١٣٦٠هـ - ١٣٨٥هـ / ١٩٤١م - ١٩٦٥م) في تفسير القرآن وعلومه^(٣).

(١) جعفر باقر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، ط ٢، النجف، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ١ / ١٧٨.

(٢) ينظر الجدول القيم بأسماء طلبته وبلدانهم ونوع الإجازة التي منحها السيد هبة الدين لكل منهم. الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٤٠ - ٤٦.

(٣) السيد جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥٦ - ٥٧، محمد الحسون، مقدمة كتاب نهضة الحسين، ص ٧.

أصدر السيد هبة الدين مجلتي علميتين الأولى، مجلة العلم في سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) وحتى عام (١٣٣١هـ / ١٩١٢م)، وسعى من خلالها إلى كسر طوق الجمود الديني والفكر التقليدي بالنزوع نحو التجديد والتحديث متحدياً بذلك تقوقع المتزمتين ممن كان يحرم الصحافة ويعدها من الأمور الضارة والباطلة^(١). وأصدر مجلة المرشد العلمية في بغداد بإدارة حفيد خاله السيد صالح إبراهيم الشهرستاني^(٢)، وكان يملّي آراءه العلمية ومباحثه القيمة على العاملين فيها، وكانت هذه المجلة من أميز المجلات العلمية وقتذاك

هبة الدين الشهرستاني، حياة مجلة العلم - ملحق مجلة العلم، ط دار التعارف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، المجلد الثاني/ ٤٤١ - ٤٤٣، الرهيمي، مجلة العلم النجفية، ص ٢٠، ص ٢٢ - ٢٣.

(١) ولد السيد صالح في كربلاء ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م، وأتم فيها دراسته الأولية، ثم انتقل إلى بغداد وأتم فيها دراسته العالية متخرجاً من جامعة آل البيت، وفي أواسط سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، اضطرته ظروفه الخاصة للنزوح إلى إيران، وهو كاتب وأديب له كثير من المقالات الأدبية والسياسية والتحقيقات التاريخية والأبحاث الاجتماعية. توفي سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م. للمزيد ينظر: نبيل رضا علوان، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ النياحة على الإمام الحسين بن علي للسيد صالح الشهرستاني، ط بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ١٣ - ٢٠.

(٢) السيد جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين، ص ٥٥.

توفي السيد هبة الدين في (٢٦ شوال ١٣٨٦هـ / ٦ شباط ١٩٦٧م)، بعد أن بلغ خمسة وثمانين عاماً، وشيع تشييعاً رسمياً وشعبيّاً، ثم دفن في الكاظمية وسط مؤسسته الثقافية (مكتبة الجوادين العامة) في قاعتها الكبرى تحت قبتها العالية، وفوق قبره الآن ضريح خشبي دَوّن حوله نسبه وتاريخ ولادته ووفاته بألوان زاهية ونقوش رائعة، وأصبح مرقد مزاراً لمحبيه وعارفي فضله الجم^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨. وينظر: الصورة رقم ١.

(٢) ينظر: هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ملحق الأئمة والإمامة (مخطوط)، مكتبة الجوادين العامة، بغداد، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠، رقم ٤٨، الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ٥٢، العامري، الاتجاه الوطني، ص ٧٦ - ٧٧، الحسني، السيد هبة الدين، ص ٨٩-١٩٧.



ضريح السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وسط مكتبة الجوادين العامة

عزز الشهرستاني جهوده التربوية والفكرية بنتاج فكري غني، إذ ترك ما يربو على الثلاث مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع، تنوعت مضامينها وموضوعاتها بين الدين والفلسفة، واللغة^(١) فضلاً عن المقالات المتنوعة في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية^(٢)، وقد أصاب من وصفه بأنه "مكتبة إسلامية جامعة"^(٣).

لقد خصص السيد هبة الدين الشهرستاني جزءاً حيوياً من جهوده واهتماماته الفكرية المتنوعة لموضوعات التأريخ بحثاً وتأملاً^(٤)، لاسيما وهو

(١) ينظر على سبيل المثال: السيد هبة الدين الشهرستاني، ذكرى الحسين عظة وذكرى، مقال في جريدة الأخبار، بغداد، العدد ٣٢٦٧، ١٢ تشرين الأول ١٩٥١م، المثل الأعلى الحسين بن علي، مقال في جريدة الحصون، بغداد، العدد ٤٠٠٦، ١ كانون الأول ١٩٥٠م.

(٢) سجل الدكتور إبراهيم سلامة أحد أساتذة التعليم في مصر هذه الكلمة عند زيارته إلى السيد هبة الدين في (مكتبة الجوادين العامة) سنة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م؛ ينظر: ذكرى الإمام الحسين 7 في الصحن الكاظمي الشريف، من منشورات مكتبة الجوادين العامة، قيد الطبع، ص ٩٦، هامش ٣٨.

(٣) الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ١١٠.

(٤) هبة الدين الشهرستاني، حياة مجلة العلم في العام الأول، مجلة العلم، السنة الثانية، ص ٤٣٤.

لقد كان للإمام الحسين 7 نصيباً مهماً في تراث السيد هبة الدين^(٣) و سنحاول في هذه المقدمة أن نلقي ضوءاً على أحد أهم مؤلفات السيد هبة الدين في هذا المجال وهو كتاب نهضة الحسين:

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢) محمد الحسون، مقدمة كتاب نهضة الحسين، ص ١٤.

(٣) درس هذا الجانب من نتاج السيد هبة الدين الشهرستاني في بحث مستقل للدكتور هادي عبد النبي التميمي: (الإمام الحسين 7 في تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني دراسة في الرؤى و منهج الكتابة التاريخية) معد للنشر، أستقصى فيه الباحث التراث المخطوط والمطبوع للسيد الشهرستاني في هذا المجال .

ثانياً : كتاب (نهضة الحسين):

أنجز السيد هبة الدين كتابه (نهضة الحسين) في سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)^(١)، وطبع الطبعة الأولى في بغداد سنة (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)، ثم توالى طبعه في السنوات التالية، إلى إن وصل إلى الطبعة الخامسة سنة (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)^(٢)، وقد أعيد طبعه مجدداً من قبل مكتبة الجوادين

(١) وفيما يلي سنوات هذه الطبعات وأماكنها:

ط ٢، بغداد، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م.

ط ٣، النجف، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦م.

ط ٤، النجف، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م.

ط ٥، بغداد، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ -

١٩٦٩، ط بغداد، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ٣ / ٤٣٨ - ٤٤١.

(٢) وهي الطبعة التي وصلت إلى يد الباحث واستعان بها لانجاز هذا البحث.

ويظهر إن الكتاب حتى الطبعة الثانية كان يحمل عنوان (مختصر نهضة الحسين)، مما يشير إلى صغر حجمه قياساً إلى ما صار عليه فيما بعد، ويستدل على ذلك مما نشرته جريدة النهضة العراقية^(٢)، إذ قدمت إعلاناً عن الكتاب تضمن تقريظاً للمؤلف، وتعريفاً بسيطاً بالمؤلف جاء فيه:

((وإذا قلنا "مختصر نهضة الحسين" فإنما هو سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الإمام الحسين بن علي 3 وقد اخذ الأستاذ العلامة هذه الحوادث من أوثق المصادر وجاء بها إلى القراء في طراز أخلاقي جديد (...))^(٣).

(١) جريدة النهضة العراقية، العدد ٩٥، ١٣ ذو القعدة ١٣٤٦هـ / ٣ أيار ١٩٢٨م. وقد وجد الباحث هذه النسخة محفوظة ضمن مخطوط نماذج الأقلام، للعلامة هبة الدين، رقم، ٤٨، ١٩٥٢، ورقة ٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جريدة اليقظة، العدد ٣٠٧٢، ١٠ رجب ١٣٧٨هـ / ١٩ كانون الثاني ١٩٥٩م، وقد عثر الباحث على هذه المعلومات في سجل الصحف التي نشرت إخبار ومقالات ومقابلات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني المحفوظ في مكتبة الجوادين العامة، بلا رقم، ص ١٤١.

ويبدو إن الإضافة إلى الكتاب بدأت في طبعته الرابعة إذ أضيف إليه سبعة فصول جديدة خلت منها الطبعات السابقة عدا الحواشي والتعليقات ، وحذف من عنوانه كلمة (مختصر)^(١)، ويستطيع الباحث إن يؤكد ذلك مما وجده عند قراءة الكتاب إذ وجد إن خطة الكتاب يشوبها بعض الخلل المنهجي من حيث التسلسل إذ لم ينتظم في حلقة متسلسلة إلا من العنوان الرابع عشر^(٢) فضلا عن إن العناوين الأولية جاءت وكأنها تلخيص لفكرة الكتاب العامة مثل العنوان العاشر^(٣) أو لبيان آثار النهضة مثل العنوان السادس^(٤)، أو للمقارنة والمقابلة مثل العنوان السابع^(٥).

(١) ينظر: هبة الدين، نهضة الحسين، ص ٧١. وتنتظر الصفحات السابقة ص ٣٥ - ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٥) ينظر: صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي 8، تحقيق وإعداد: نبيل رضا علوان، ط بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ٢ / ٣٠.

ومن الجدير ذكره إن الطبعة الخامسة^(١)، اشتملت على إضافة أخرى بقلم السيد جواد ابن السيد هبة الدين^(٢) حملت عنوان: (محرم وتاريخ العزاء الحسيني)^(٣) أشار فيها إلى مظاهر العزاء الأولى منذ العصر الأموي، مروراً إلى العصر العباسي، مع لمحة من مجالس النياحة، وبدء المواكب والحسينيات، واهتمام الأقطار الإسلامية بعزاء الحسين^(٤) ٧. وقد استفاد

(١) السيد جواد هبة الدين : ولد في الكاظمية، سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م، أتم دراسته في كلية الحقوق، شغل عدة وظائف إدارية وقانونية منها مدرساً في وزارة المعارف، ومفتشاً في وزارة الصحة وغيرها، تولى العمل في بعض الصحف العراقية، ومثل العراق في المؤتمرات الإسلامية في باكستان، والقدس، ودمشق، وكان ممثلاً لوالده هبة الدين في اغلب المحافل الدولية والرسومية توفي سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥. عن كتاب ذكرى الإمام الحسين ٧، ص ٦٣، هامش ٢٩.

(٢) السيد جواد هبة الدين، محرم وتاريخ العزاء الحسيني، ضمن كتاب نهضة الحسين، ص ١٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٩ - ٢٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢١٧، هامش (١).

يقع الكتاب في طبعته الأخيرة التي أشرنا إليها بثمان وعشرين ومائتي صفحة، وقد بَوَّه المؤلف على وفق نظام العناوين فتضمن الكتاب ثمانين وأربعين عنواناً، ومما يسجله الباحث على هذه العناوين:

- عدم تجاوز السيد هبة الدين لبعض الأخطاء الشائعة على نطاق المصطلح، فعلى الرغم من إن المتعارف عليه إن حكام بني أمية مثلوا الملكية لا الخلافة إيان حُكمهم، إلا أن السيد أعطى العنوان التالي: "خلافة يزيد وخلاف الحسين له"^(٢).
- وضع بعض العناوين في غير تسلسلها الدقيق منهجياً مثل عنوان "آثار الحركة الحسينية"^(٣)، قبل ذكر عواملها، وقد يعود ذلك إلى إضافة مباحث جديدة للكتاب - كما ذكرنا - دون إن يؤخذ بعين الاعتبار ترتيبها منهجياً.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩، وينظر: ص ٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣.

• لم تتطبق بعض العناوين على مضمونها مثل العنوان: "دوافع يزيد الانتقامية"^(١)، إذ لم يذكر المؤلف أية دوافع جديدة، وإنما استمر في تلخيص ما قدمه في صفحات سابقة عن الحقد الأموي على بني هاشم. وقد افرد المؤلف لأبي الفضل العباس⁷، وعلي بن الحسين⁸، والسيدة زينب³، والحر الرياحي، وأصحاب الحسين⁷ عناوين مستقلة^(٢)

ومما يشار إليه إن السيد هبة الدين عبّر عن ثورة الحسين⁷ في كل كتابه بـ(النهضة) التي عرفها بأنها: "قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامة"^(٣)، ويبدو أنه سجل بهذا العنوان تحولا في مفردات الماضي التي كانت تختصر الحسين⁷ في معاناته ورزيقته، فتواترت عناوين من قاموس المأساة مثل: البكاء، الدمع، الحزن، المقتل، المصراع، ...الخ... التي توحى بمعاني الاستعطاف والعزاء النابعة من منطق العاطفة أما عنوان النهضة فيدل على الاستنهاض والحماسة، ويعبر عن التمايز الجوهري في

(١) المصدر نفسه، الصفحات: ص ١٠٧، ص ١٤١، ص ١٤٥، ص ١٥٢، ص ١٦١، ص ١٦٥، ص ١٨١ - ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) استفاد الباحث لاستنتاج هذه الفكرة من: محمد اسفندياري، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة - تعدد الأهداف والوسائل، بحث منشور في مجلة نصوص معاصرة، العدد التاسع، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ١٦ - ١٧.

استعان المؤلف بعدد من المصادر الأولية المؤلفة قبل الأربعمائة الهجرية، وقد ذكر منها تسعة مصادر في مقدمة كتابه^(٢) وقد أخطأ في تواريخ وفيات بعض أصحابها مثل

المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، والأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، والدينوري (٢٨٢ هـ)، إذا أوردتها بأرقام أخرى، ونجد في ثنايا الكتاب أنه استعان بمصادر أخرى لم تخرج عن نطاق المصادر الأولية^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٣، ص ٤٥، ص ٥٦، ص ٧٤، وجدول رقم (١).

(٣) للتعرف على ذلك ينظر في هذا النص المقتبس من رسالة المستشرق الإيطالي كارلينو إلى المؤلف إذ يشيد بالكتاب فيقول: ((أسرعت إلى مطالعته ... فتلذذت بقراءته أشد تلذذ ... ولا عجب لأنه من تأليف رجل معظم ... جمع بين البحث التاريخي المدقق، وعلو الهمة والانتقاء المصيب للمصادر، وحلو العبارة العربية)). الجابري، هبة الدين الشهرستاني، ص ١٩٦، وتتنظر رسالة العقاد إلى المؤلف بنفس المضمون تقريباً في المصدر نفسه، ص ٥٤، وينظر تقاريض الكتاب على لسان عدد

جدول يمثل نماذج من مصادر كتاب (نهضة الحسين)

ت	اسم المؤلف	اسم المصدر
١	أبن الأثير	الكامل في التاريخ
٢	الأصفهاني	مقاتل الطالبين
٣	الجاحظ	رسالة المفاخر
٤	الدينوري	الأخبار الطوال
٥	الرازي	التفسير
٦	الطبري	تاريخ الرسل والملوك
٧	أبن عبد ربه	العقد الفريد
٨	أبن قتبية	الإمامة والسياسة
٩	المسعودي	مروج الذهب ومعادن الجوهر
١٠	الشيخ المفيد	الإرشاد

لقي كتاب (نهضة الحسين) رواجاً وسط قرائه يدل على ذلك تكرار طبعاته العربية، والفارسية، والهندية، والإنجليزية، وإعلان الصحف العراقية عنه، وإطرائه من قبل قراء عرب ومستشرقين^(١).

قراءة في منهج الكتاب وأسلوبه:

بدأ السيد هبة الدين كتابه بمقدمة أوضح فيها دافعه لتأليف الكتاب وهو ((غفلة الجمهور عن تاريخ الحركة الحسينية وأسرارها ومزايا آثارها - وهي النواة لحركات عالمية - حتى إن بعض الاغيار إذ وجد هياج العالم، وحداد الأمم، ومظاهرات العرب والعجم اندفع قائلاً: ما هذا؟ ولماذا؟...))^(٢) فجاء كتابه للتعريف بالحسين الناهض، ويزيد الحاكم، وغايات الفريقين في إطار من المحاكمات التاريخية.

وانطلاقاً من ثقافة السيد الحسيني الإسلامية التي ترى إن هلاك الأمم وتخلفها، أو نجاتها وتقدمها مرهون بدور الأمة في الإصلاح والتقويم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والضرب على يد المعتدي، وتحمل الأمة لمسؤولية محاسبة الظالم، من هذا المفهوم الإسلامي آمن بدور القائد في

(١) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

ومن هذا الأساس الذي يؤمن بفاعلية البطل في حركة التاريخ رأى في الحسين 7 المثل الأعلى لرجال الإصلاح^(٢)، الذي جاءت نهضته لتنبئ به الأمة على سيئات بني أمية^(٣)، ومحاولات معاوية لمحق شعائر الإسلام وتبديل سنن النبي 9 بالبدع وتحويل الإسلام من روح دينية عالمية إلى روح قومية ملكية، وتمهيد أسس الرجعة إلى الجاهلية، والفتك بصحابة الإمام علي 7 وسحق العهود الشريفة^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧ - ٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠.

والسيد هبة الدين يلتفت بذلك إلى إن ثورة الحسين⁷ ليست ثورة على يزيد خاصة، وإنما لكل ما سبقه من مساوئ أكملت بجعله خليفة المسلمين مع استهتاره وفسقه وفسق عماله^(١).

حرص المؤلف على الاهتمام بالعوامل والأسباب الكامنة وراء الحدث التاريخي، فعد النزاع الحسيني اليزيدي نزاعاً يمتد في عمر الزمن إلى عهد أبي سفيان والنبي محمد⁹ بل إلى ابعث من ذلك حينما قال: ((كل الذين دونوا قضية الحسين⁷ أخذوا سلسلتها من أوساطها، أي من حين البيعة ليزيد، في حين إن القضية ... تبتدئ من عهد أبي سفيان ومحمد⁹.. إن لم نقل من قبل ومن عهد هاشم وعبد شمس ...))^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٩، وقد وصفت المصادر الأولية النزاع التاريخي بني أمية وهاشم مثل: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط ٢، بيروت، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ٢ / ١٩٠ - ١٩٢، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)، النزاع والتخاصم فيما بني أمية وبني هاشم، صححه: محمد عرنوس، ط القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م، ص ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣. وينظر في تحقيق نزولها في أهل بيت النبي 9: أبو الحسن علي ابن أحمد النيسابوري الواحدي (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م)، أسباب النزول وبها مشه الناسخ والمنسوخ، لأبي النصر المفسر، ط القاهرة، ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م،

وإذا كان للباحث إن يرى إن الدافع القبلي والعشائري له أمثلة في حياة معاوية وأبنه يزيد واضحة وبيّنة، وقد تكون مع العامل السياسي قد شكلت الموقف الذي اتخذوه من أفراد البيت الهاشمي، فانه يجد كذلك إن أصل العقيدة الإسلامية في حق أهل البيت تنزه الحسين 7 من هذا الدافع، قال تعالى في أهل بيت النبي 9: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))^(١)، كما إن الحسين 7 لم يكن في صدد القيام بمشروع عشائري قبلي، إذ إن ثورة الحسين 7 لم تبدأ من مواطن تلك العشيرة، وأكثر أصحابه فيها والذين قتلوا معه في كربلاء لم يكونوا من بني هاشم فضلا عن إن تصريحات الحسين 7 نفسه والتي شرح فيها أسباب خروجه، أكدت على طلب الإصلاح في الأمة لا النصر للعشيرة والأقارب وهذا هدف رسالي مبدئي وليس هدفاً قبلياً عشائرياً^(٢).

(١) محمود الهاشمي الشاهرودي، الثورة الحسينية دراسة الأهداف والدوافع (١)، مجلة المنهاج، العدد (٢٩)، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٢١ - ٢٣.

(٢) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ١٩٦.

ولم يهمل السيد الشهرستاني الدوافع الدينية في نهضة وثورة الحسين 7، مثل تنبيه الناس على مساوئ الحكم^(١)، وعدم جوازبيعة الحسين 7 لمثل يزيد المتجاهر بالفسوق^(٢). وتواتر كتب أهل الكوفة إليه^(٣). وقد حاول إن يصل إلى الأسباب التي دفعت الحسين (7) إلى الاستمرار بالمسير إلى الكوفة وتلبية دعوتها إليه على الرغم من انقلاب أهلها عليه، ووصول الخبر بمقتل مسلم بن عقيل، فعلم ذلك بأنه كان ((يرى في توجهه إلى الكوفة ... إبلاغ الحجة والإعلام بأنه أجاب دعوتهم ولبي صرختهم، وأنه لم ينحرف عن نصرتهم ... فان الإمام يعامل الأمة دون الأشخاص والشخصيات، وهو يأمل مع ذلك في مسلكه إلحاق الأنصار وتلبية الأمصار، وانقلاب حالة الكوفة كرة أخرى))^(٤).

وقد برزت لدى السيد هبة الدين القابلية على الاستنتاج لاسيما وهو يرد على من زعم إن الحسين 7 لو استعمل التقية وصافح يزيد لالتقى ببيعتة شر أمية،

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

وقدم المؤلف لهذا الاستنتاج عدداً من الشواهد^(٢) منها:

- تصريحات الحسين بن علي بن أبي طالب غير تاركه حتى يقتلوه^(٣).
- غدر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وقتله على الرغم من إعطائه الأمان^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٢) ينظر، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م)، مقتل الحسين 7، تعليق: الحسن بن عبد الحميد الغفاري، ط قم، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م، ص ٦٧، احمد بن يحيى جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، جمل من انساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار ورياض زركلي، ط بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ٣ / ٣٧٥، الطبري، تاريخ، ٦ / ٢٠٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٩-٥٠، الطبري، تاريخ، ٦ / ١٩٨.

(٤) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ٣ / ٣٨٩، احمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد

- توجيهات أبْن زياد لقائد جيشه المتجه لقتال الحسين 7 بمنع الحسين 7 وأصحابه من الوصول إلى الماء^(١).
 - أبيات التشفي التي قالها يزيد حين وصلوا إليه برأس الحسين 7^(٢).
- وقد سجل السيد الشهرستاني قابلية رائعة على التحليل والاستنتاج عندما ذكر سرعة قضاء يزيد على الحسين 7، حين لفت أنصار السلطة أنظاره إلى خطر الوجود الحسيني في العراق وأهلها من شيعته لهم اتصال ببلاد فارس فيكون له منهم أنصار المال والحرب والرأي، وقد يوفق إلى

(١) ينظر: أبو محمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ٥ / ١٢٩، أبْن حمدون أبو المعالي محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، التذكرة الحمدانية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ١ / ٢٦٢، الموفق بن احمد بن محمد الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م)، مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، ط قم، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ٢ / ٦٦.

(٢) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ٨٩، وينظر: استنتاجاته بشأن موقف يزيد من عبد الله بن الزبير وإرجاء القضاء عليه حتى يتم الفراغ من الحسين 7 ص ٩٠، وتحليله لموقف الحسين 7، من المحذرين الذين حاولوا إعاقته عن الخروج من مكة إلى العراق. ص ٩٢.

ويتلخص مضمون القصة بأن أرينب كانت زوجة لوالي العراق، فوصل خبر جمالها ليزيد وقرر خطبتها، بعد إن إن خدع زوجها وطلقها، فلما استشف الحسين هذه المكيدة خطبها أيضاً فوافقت على الحسين 7دون يزيد، واعادها الحسين لزوجها بعدئذ، وحرمها الله على يزيد^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤ - ٥٧.

(٢) ينظر: أبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الإمامة، و السياسة، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، ط بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ١ / ١٥٦ - ١٦٣.

(٣) ينظر: النقاش المعمق لهذه القصة وتفنيدها لدى، جعفر مرتضى العاملي، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ط بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ١ / ١٥٩ - ١٦٦.

وهي قصة ضعيفة سنداً وممتناً لم يرد ذكرها في المصادر المتقدمة - عدا ابن قتيبة الذي اخذ منه السيد هبة الدين - مما يقوي احتمال عدم وقوعها ووضعها لغايات قد يكون من بينها تقليل اللوم على يزيد وتخفيف فظاعة الجريمة^(١).

ومن النصوص التي أوردها وأخذها اخذ مُسلم دون محاكمة تاريخية النص الذي ورد في مفاوضات الحسين 7، في ارض كربلاء مع عمر بن سعد قائد الجيش الكوفي، فأورد إن الحسين 7 اقترح على ابن سعد إن يخبر ابن زياد بالكفاف ((عنه حتى يعود من حيث أتى، أو يغادر إلى ثغور العجم والديلم، ثم طلبه الإفراج عن حصاره ليذهب بنفسه إلى يزيد يذكاره في مصيره ومسيره))^(٢). وعدّ ذلك من احتياطات الحسين 7 وخططه الدفاعية ، بيد أن

(١) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ١٦٩، ومن الملاحظ إن هذه الرواية وردت في المصادر الأولية التي اعتمدها المؤلف مثل: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢ / ١٨٤، الطبري، تاريخ، ٦ / ٢٢١، ابن عبد ربه، أبو عمر احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه: احمد أمين وآخرون، ط القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م، ٤ / ٣٧٩، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط ٤، بيروت، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، ٣ / ٤١٣.

(٢) شاهد العيان هو عقبة بن سميان ينظر: الطبري، تاريخ، ٦ / ٢٢١، ابن الأثير، الكامل، ٣ / ٤١٣.

تأمل السيد بموقف أهل الكوفة الخاذل للحسين 7، وحملهم مسؤولية أغراء مسلم بن عقيل، والتواني والتردد حتى دهمهم عبيد الله بن زياد فلم يُخرجوا عامل يزيد وحاشيته ولم يُسلموا الكوفة إلى ممثل الحسين (مسلم)، كما انه نزه مسلم بن عقيل عن الحكم بفشله تاريخياً من المبنى الفقهي إذ انه لم يقدم إلى الكوفة كوالٍ مختار، أو مفوض مطلق ليستقل في أعماله بالتصرف والمسؤولية^(٣).

(١) مثل: إسراع بني أمية إلى إزعاج الحسين ودفعه إلى الخروج بينما كان قانعا منهم بالسكوت عنه، والنص الذي يذكر استشارة الحسين 7 لبني عقيل بعد استشهاد مسلم ورغبتهم بمواصلة السير لأخذ الثأر، وإيراده المبالغات في خسائر أهل المدينة في وقعة الحرة دون نقاش.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.

وقد التفت بفطنة وحس تاريخي إلى قيمة الزمن في الحركات التي تغير مجرى التاريخ فوجد إن بادرة الحسين 7 بالخروج من مكة قبل الحج إلى العراق هي احتياط ذكي قبل إن يبادره العدو بالصد أو الحصر أو الاغتيال، فضلا عن أهميتها التكتيكية إذ إن هذه المسيرة قد أوجدت ((ثورة فكرية أوجبت انتشار خبره بسرعة البرق ... فكان لخروجه في غير أوانه دوي يرن صداه في الداخل والخارج، والناس يتسائلون عن نبأه العظيم ... ولماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ وإلى أين؟ ...))^(١) فالحسين 7 يستثمر الوقت كوسيلة إعلامية لنشر خبر نهضته المباركة، وركبه الشريف أمر يستوقف الناظر ويستجوبه العابر.

حرص السيد هبة الدين على إن يعطي صورة الموقف العسكري للحسين 7 من الثاني من المحرم حتى العاشر منه، وفصل في الخطة الحربية وأشار بوضوح إلى تدابير الحسين الفذة في اختيار المكان الذي يؤمن فرصة

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٨، ص ١٢١، ص ١٢٣، ص ١٣١ - ١٣٢، ص ١٧٠

وقد دمج السيد الشهرستاني بين الجغرافيا والتاريخ لتحقيق بعض القضايا التاريخية المتعلقة بالتاريخ الحسيني، فأعطى معلومات جغرافية وتاريخية مهمة عن تسمية كربلاء وتحديد موقع نهر العلقمي، وتسمية الطف^(٢)، وقد استنتج إن شكل موضع القبر الحسيني المسمى (الحائر) كان وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة وريوات ومما ساعده على استنباط شكل الحائر هذا ما ((ثبت في تاريخ المتوكل العباسي عندما أجرى الماء على قبر الحسين لمحو مزاره وآثاره، فحار واستدار حول القبر. والماء بطبعه يجري على الأرض المنخفضة وجوانب الحائر كانت ولا تزال نواشز لا يعلوها الماء

(١) المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٩، وقد عدّ الطف اسماً عاماً لأراضي تنحسر عنها مياه النهر. ولذلك سميت الأراضي البارزة من شواطئ نهر العلقمي طفاً.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨، هامش (١).

وقد دقق السيد هبة الدين الشهرستاني في جغرافية المنطقة فأشار إلى أن الروايات التي تحد الحائر الحسيني كانت تشكل للناظر نصف دائرة مدخلها من الجهة الشرقية، واستدل على ذلك من الروايات التاريخية التي تذكر إن زائر الحسين ⁷ يغتسل في نهر الفرات ويدخل من الجانب الشرقي إلى القبر ^(٢)، وأضاف لذلك دليلاً مما شاهده بنفسه من تنقيبات تجري في أعماق البيوت المحدقة بقبر الحسين ⁷ إذ يجدون آثار ارتفاعها القديم في جهة الشمال والغرب ولا يجدون في الجهة الشرقية سوى تربة رخوة واطئة، مما يرشدنا إلى وضعية هذه البقعة في عصرها القديم وإنها كانت واطئة من جهة الشرق ^(٣). ان هذا الدمج والتوظيف للجغرافية والتاريخ يؤكد وعي السيد

(١) ينظر: أبن قولويه جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م)، كامل الزيارات، ط بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٠٩؛ هبة الدين ، نهضة الحسين ، ص ١١٨ ، هامش (٢).

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٣، ينظر لهذه الحقائق التاريخية في المصادر الأولية: أبو اسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، الغارات أو الاستنفار والغارات، حققه وعلق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني، ط بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص

وقد استخدم الشهرستاني أسلوب المقارنة وهو أسلوب علمي يعين الباحث عن الصدق على المقابلة والمقايسة والاستنتاج، فقارن بين سيرة النبي 7 في منع قتل النساء والأطفال في الحرب - وان كانوا مشركين -، وسلوك معاوية أيام ولايته على الشام في قتل أطفال المسلمين في الانبار واليمن إيان غاراته على مناطق حكم الإمام علي 7، ومن ثمَّ سلوك يزيد في كربلاء مع الحسين وصحبه والتمثيل بهم^(١)، وقارن بين الإمام علي 7 والإمام الحسين 7 في محافظتهما على الصلاة في أخرج أوقات القتال^(٢)، وقابل بينهما في المفاداة والتضحية لنصرة دين الله ورسوله 7^(٣)، وبين الإمام الحسين كرجل فضيلة بجميع مظاهرها ومعارضيه كرجال رذائل بكل

(١) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١.

لقد آمن السيد هبة الدين إن البقاء للأصلح^(٣)، وبشر بانتصار الحق مهما قلّ مساعده في جولة الصراع الإنساني بين الحق والباطل^(٤)، فقارن بين عاقبة المتقاتلين في جبهة الحق والباطل وأوضح ما فاز به الحسين⁷ من تكريم وتعظيم حتى صار قبره مزاراً قائماً امتدت جاذبيته إلى تخوم الهند والصين وأعماق العجم وما وراء الترك، وقبر يزيد في عاصمة ملكه ما هو إلا كومة أحجار، ومسبة المار، لا يُذكر في شرق الأرض وغربها إلا بكل

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) مما ذكره هبة الدين بهذا الصدد: ((... ويبقى ما ينفع الناس ماكثرَ بينهم وهو الذي ندعو إليه، وقد تقرر في فلسفة التاريخ إن حوادث الكون تعبث بالشخصيات وتمزقها وتؤكد النوعيات وتربيها ويُنتج هذا المعترك بقاء ما هو الأنسب للمجتمع البشري)). هبة الدين الشهرستاني، باب محاربة البدع والعادات السيئة - إلى المسلك لا إلى السالك، مقال في مجلة العلم، العدد السادس، أول ذي الحجة ١٣٢٩ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩١١ م، مجلد السنة الثانية، ص ٢٦٦.

(٣) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ٥٢.

(٤) هبة الدين، نهضة الحسين، ص ٥٢.

وفي الوقت الذي شدّد فيه على تنزيه النهضة الحسينية من ادعاءات المدعين، وتركية هدف الحسين 7 في نهضته من الأغراض والأطماع^(٤)، فانه وجه الأنظار إلى قيمة القدوة في التاريخ فعّد النهضة الحسينية ينبوع حركات اجتماعية باقية الذكر والخير في ممالك الإسلام، خفتت ويلات المسلمين بتخفيف غلواء المعتدين، فأَي خير كهذا ينبوع السيل، والمثال السائر في بطون الأجيال^(٥).

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٩ - ٧٠، ص ٩٥، هامش (١).

(٥) المصدر نفسه، ٤٩ - ٥٠.

وقد قَوِّمَ موقف السيدة زينب ومكانها في النهضة المباركة في عدة مواضع من كتابه وأجاد في اختصاره في الفقرة التالية: فهي ((نصيرته في نهضته، وخليفته على صبيته، وسلوته من كل أحزانه، ومديرة أمر عياله وبيوت أصحابه ورجاله، ولولاها لانفرط عقد يتماه بعد قتله، ولولاها لانتشر نظم أهله بعد انتهاء رحله، ولولاها لقضي على خلفه العليل، وانقرض نسله الأصيل))^(١). فضلا عن انه قَوِّمَ موقف أصحاب الحسين، واستماتتهم من اجل الحق، وتسابقهم للتضحية والتفادي، وأشار إلى إن الحسين فاز بصحب أوفياء وأصفياء قلما فاز أو يفوز بأمثالهم ناهض^(٢).

أورد السيد هبة الدين بعض الوثائق في ثنايا كتابه مثل: بعض خطب الحسين 7^(٣)، وخطب السيدة زينب في الكوفة، وفي الشام^(٤)، واختصر

(١) المصدر نفسه، ص ٧٧ وينظر: ص ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٥، ص ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٢ - ١٨٣، ص ١٩١ - ١٩٣.

وتضمن كتاب (نهضة الحسين) نصوصاً قليلة ذات طابع وعظي كقول السيد هبة الدين: ((وإذا كان الموت ضربة لازب ولا مهرب منه ولا محيد عنه ، فاشتر بهذا العمر القصير نفعاً عاماً، وخيراً خالداً. هي هي والله صفقة رابحة وتجارة لن تبور، فخير الموت الفداء، وأفضل الأضاحي من أمات هيكله البائد لإحياء نفع خالد))^(١). ناهيك عن انه استخدم أحياناً أسلوب الحوار واختلاق المحادثة مثل حوار الحسين 7 لأعدائه بعد إن طال حصارهم له ومنعهم الماء عنه، فعبر عن ذلك بقوله: ((كان لسان الحال من الحسين العلاء: إن في وسعكم - أيها الأعداء - إن تضيقوا عليّ الفضاء التوسيع، وليس في وسعكم إن تضيقوا حدود مبدئي (...))^(٢). وكان يلجأ إلى أسلوب اصطناع الحوار المبني أساساً على حقيقة وجود الحادثة التاريخية لجذب القارئ، وتقريب الصورة، وشده إلى الحدث مما يضيف على الكتاب

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤ - ١٣٥.

((- س: ما وراءك؟

- ج: هاجر الحسين 7 من مدينة جده.

- س: لماذا؟

- ج: لأن يزيد قصد إرغامه على مبايعته.

- س: ... نعم ما صنع الحسين 7 فانه لو بايع يزيد الجائر ...

فعلى الإسلام السلام، إذا ما ترى إن يكون؟ (...))^(١).

فضلاً عن انه استخدم أسلوب التشبيه^(٢)، والعبارات الجميلة^(٣)

والسجع في أكثر من موضع^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨، ص ٧٩، ص ٨٦، ص ١٠٧، ص ١٧٨، ص ١٨١.

ودبح كتابه بالآيات القرآنية التي كان يستعين بها لاستنباط حكم ديني^(١)، أو فكرة يؤمن بها^(٢)، أو لبيان استئذان الحسين 7 بالأنبياء في هجرته إلى العراق خائفاً من فراغة مصره ونماردة عصره، مبدؤه خوف ربه، وغايته بيت ربه^(٣).

واستعان بالآيات الشعرية أحياناً للاستدلال التاريخي، مثل الآيات التي تمثل بها يزيد طغياناً بعد وصول رأس الحسين إليه، فعدّها دليلاً على إن بني أمية كانوا يقصدون من قتل الحسين 7 الانتقام، واخذ ثارات بدر وأحقادها^(٤)، واستخدم الشعر لبيان ما يدور في خلد الشخصيات التاريخية من تردد^(٥)، أو يأس^(١)، أو شجاعة^(٢)، أو حزن^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩، ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٩ وتنظر الصفحات: ص ١٥٩، ص ١٧٨، ص ١٧٩، ص ١٩٠ - ١٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦، ص ٦٣.

(٥) مثل تردد عمر بن سعد بين قتل الحسين أو ترك ما وعد به من ملك الري، المصدر نفسه، ص ١١٤.

وكثيراً ما استولت ألفاظ التفخيم على عباراته فكان يطلق على الحسين 7
أوصافاً مثل: حسين الفتوة^(٤)، وحسين الفضيلة^(٥)، وحسين التاريخ^(٦)، وحسين
الشرف^(٧)، وحسين الشهامة^(٨)، وحسين النهضة^(٩)، وتعبير أخرى مثل: آية

(١) مثل يأس الحسين 7 من الصلح من أعدائه وأنه قتل لا محالة، المصدر نفسه،
ص ١٤٢.

(٢) مثل: أراجيز المعركة، المصدر نفسه، ص ١٥٠، ص ١٥٥، ص ١٧٠، ص
١٨٧، ص ١٩٠، ص ١٩٢.

(٣) مثل استغناؤه بما روي عن السيدة زينب من أبيات حزينة عند وصولها إلى
المدينة المنورة من الشام للتعبير عن حال أهل بيت النبي: ومبلغ تأثرهم، المصدر
نفسه ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠، ص ٩٢، ص ١١٤، ص ١٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٤، ص ٥٧، ص ١٥٢، ص ١٧٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٩، ص ٥١، ص ٨٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٧، ص ٩٥، ص ١١٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٩، ص ١٧٨.

إتبع السيد هبة الدين نظام الهوامش في حاشية كتابه، وأفاد منها لترجمة الشخصيات^(٥)، أو لتوضيح الكلمات المبهمة في المتن^(٦)، أو تفصيل ما تم اختصاره فيه^(٧)، أو الإحالة إلى المصادر، بيد انه لم يتبع نظاماً واحداً في

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩، ص ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠. وينظر: ص ٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٤، ص ٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٧. ومما يشار إليه إن يزيد عُرف في بعض المصادر التاريخية ب يزيد الخمر. أبن عبد ربه، العقد الفريد، ٦ / ٣٤٨. وينظر لأوصاف أخرى: البلاذري، انساب الأشراف، ٥ / ٣١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥، ص ٣٦، ص ٣٧، ص ٥٩، ص ١٤١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٦، ص ٥٦، ص ١١٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٨، ص ٥١ - ٥٢، ص ٧٤، ص ٧٦.

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠، ص ٩٣، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨، ص ١٢٢، ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١، ص ٤٤، ص ٤٨، ص ٥٥ - ٥٦، ص ٦٠ - ٦١،
ص ٦٤، ص ٦٦، ص ٧٠، ص ٧٣، ص ٧٦ - ٧٧، ص ٧٩، ص ٨٣، ص ٨٥، ص ٨٩،
ص ٩٤، ص ١٠١ - ١٠٣، ص ١١٥ - ١١٦، ص ١٤٦، ص ١٥٤، ص ١٦٦،
ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية:

١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط ع، بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، مقاتل الطالبين شرح وتحقيق: السيد احمد صقر، ط ايران، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٣. ابن اعثم، احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٤. البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، جمل من انساب الإشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار ورياض زركلي، ط بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٥. الثَّقَفي، أبو اسحق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، الغارات أو الاستنفار والغارات، حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني، ط بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٦. ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٧. الخوارزمي، الموفق احمد بن محمد (ت ٥٧٦هـ / ١١٧٢م)، مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، ط قم، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٨. الدينوري، احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط ٢، قم، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط ٢، بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٠. جامع البيان عن تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاکر، ط بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

١١. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣١هـ / ١٣٣٨م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط بيروت، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

١٢. ابن عبد ربه، أبو عمر احمد بن محمد الأندلسي، (٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه: احمد أمين وآخرون، ط القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

١٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، ط بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٤. ابن قولويه جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م)، كامل الزيارات، ط بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٥. ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الشافعي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، ط الرياض، (بلا. ت).

١٦. أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م)، مقتل الحسين، تعليق: الحسن بن عبد الحميد الغفاري، ط قم، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.
١٧. المقرئزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، صححه: محمد عرنوس، ط القاهرة، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
١٨. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م)، أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي النصر المفسر، ط القاهرة، ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م.

ثانياً: مؤلفات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني:

أ. مخطوطاته المحفوظة بمكتبة الجوادين العامة ببغداد:.

١. أسئلة في موضوعات شتى وإجابات السيد هبة الدين الشهرستاني عليها، ١٣٢٧ - ١٣٣١هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٣م، رقم ٩٦.
٢. الأئمة والإمامة، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، رقم ٤٨.
٣. صدف اللآلي في نسب أبي المعالي، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، رقم ٩٦.
٤. نماذج الأعلام، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، رقم ٤٨.

ب. مؤلفاته المطبوعة:

١. معركة الشعبية ١٩١٤ - ١٩١٥ أسرار الخيبة من فتح الشعبية، دراسة وتحقيق: د. علاء حسين الرهيمي وإسماعيل طه الجابري، ط النجف، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢. نهضة الحسين، ط بغداد، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

ج . مقالاته المنشورة:

أ . مقالاته الموجودة في سجل الصحف التي نشرت أخبار ومقالات ومقابلات السيد العلامة هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مكتبة الجوادين العامة، د. ر.

١. ذكرى الحسين عظة وذكرى، جريدة الأخبار، العدد ٣٢٦٧، بغداد، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.

٢. المثل الأعلى الحسين بن علي، جريدة الحصون، العدد ٤٠٠٦، بغداد، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

ب . مقالاته المنشورة في مجلة العلم النجفية:

١. إلى المسلك لا إلى السالك، العدد ٦، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م.

٢. حياة مجلة العلم - ملحق مجلة العلم في العام الأول، العدد ٩، ١٣٣٠هـ / ١٩١١م.

ثالثاً: المراجع الثانوية:

١. الجابري، إسماعيل طه، هبة الدين الشهرستاني منهجه في الإصلاح والتجديد وكتابة التاريخ دراسة تحليلية، ط بغداد، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨م.
٢. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، ط ٧، بغداد، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
٣. الحسني، السيد عبد الستار، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي، ط قم، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
٤. الحسون، محمد، مقدمة كتاب نهضة الحسين، ط بغداد، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
٥. الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، ط بغداد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
٦. الرهيمي، علاء حسين، مجلة العلم النجفية ١٩١٠ - ١٩١٢ من المجلات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس، مقدمة مجلة العلم، ط بيروت، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٧. الشهرستاني، جواد هبة الدين، ذكرى الإمام الحسين⁷ في الصحن الكاظمي الشريف، مؤسسة السيد هبة الدين، قيد الطبع.
٨. الشهرستاني، جواد هبة الدين، سيرة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ضمن كتاب ذكرى الإمام الحسين⁷ في الصحن الكاظمي الشريف، قيد الطبع.

٩. الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي 7، تحقيق وأعداد: الشيخ نبيل رضا علوان، ط بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٠. العاملي، جعفر مرتضى، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

١١. علوان، نبيل رضا، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي 7 للسيد صالح الشهرستاني، ط بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٢. العلوي، محمد مهدي، نابغة العراق، ط بغداد، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

١٣. عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ - ١٩٦٩م، ط بغداد، ١٩٦٩م.

١٤. فياض، عبد الله، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

١٥. كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق، ط بغداد، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

١٦. محبوبة، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ط ٢، النجف، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- كاظم مسلم محمود العامري، الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية (١٩١٠ - ١٩٣٢)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

خامساً: الجرائد والمجلات

أ . الجرائد

١. جريدة النهضة العراقية، العدد ٩٥، بغداد، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.
٢. جريدة اليقظة العراقية، العدد ٣٠٧٢، بغداد، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

ب . المجلات:

١. المنهاج، العدد ٢٩، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٢. نصوص معاصرة، العدد ٩، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

السيد هبة الدين الشهرستاني وجهوده في كتابة التاريخ
قراءة تحليلية في كتاب (نهضة الحسين) أنموذجا

الدكتور إسماعيل الجابري

أولاً: كتاب (نهضة الحسين) نظرة عامة:.

يعد كتاب (نهضة الحسين) من بين دراسات وبحوث قيمة، كتبها هبة الدين الحسيني، في ضوء اهتماماته المنية بحقل الدراسات في التاريخ العربي الإسلامي، لذا تم اختياره نموذجاً للوقوف على طبيعة معالجاته البحثية في هذا المضمار، لاسيما انه قد طبع خمس طبعات، نشرت أولاها في العام ١٩٢٥، فتوالت الأخريات حتى صدرت الخامسة في العام ١٩٦٩^(١)، مما يعني أن الكتاب على الرغم من مضي أكثر من أربعة عقود على صدوره لأول مرة، كان مطلوباً بين القراء، ويحظى باهتمامهم لأجيال عدة فضلا عن انه ترجم إلى لغات مختلفة هي: الاوردية، والفارسية، والانكليزية، ولعل خير من عبر عن أهميته وتأثيره المستمرين، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في تقييده للكتاب^(٢)، جاء فيه:

(١) صدرت الطبعة الثانية في بغداد عام ١٩٢٧، والثالثة في النجف عام ١٩٤٦، والرابعة في النجف عام ١٩٥٨، والخامسة في بغداد عام ١٩٦٩، كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ١٨٠٠-١٩٦٩، (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٩)، المجلد الثالث، ص ٤٣٨-٤٤١.

(٢) مع إن الباحث لديه تحفظات على عبارات التقريظ هذه لما فيها من مبالغات، إلا انه اثر اقتباس نص منها، كونها تعكس في الوقت ذاته مدى تأثير الكتاب في نفوس قراءه.

(انه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر، لا من كتب العصر... ومن الجاريات إلى الأبد، لا الساريات إلى أمد.. ومثل هذه الكتب هي التي تتضج الأفكار، وتنشط العزائم، وتبعث في مطالعها روح الهمة للتفاني على الحق.. والتهالك على الإباء، وعزة النفس)^(١).

حدد المؤلف في مقدمة الكتاب الدوافع والأسباب التي حدثت به لانجاز مؤلفه هذا، كان منها الكشف بموضوعية عن دواعي نهوض الإمام الحسين عليه السلام بثورته المعروفة، ومن ثم الوقوف على مضامين الاحتفاء بذكرى استشهاده، لأنها حملت في مكانها بعداً ثورياً إنسانياً^(٢) (هي نواة لحركة عالمية)^(٣)، فضلاً عن ذلك أراد وضع حد للمبالغات والأساطير التي تجري على السن بعض الخطباء ورواة أحداث كربلاء، دفعاً للشبهات وصيانة لحقائق التاريخ، فتركها على علاتها دون تمحيص وتدقيق يترك تشويشا وأثرا سلبيا على أفكار النشء الجديد المتطور، وبذا يسهم الصمت عن تلك

(١) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ١٧١.

(٢) أراد هبة الدين الحسيني بعبارة هذه رمزية موقف الإمام وأصحابه كممثلين للحق وهي بذلك تشكل بعداً إنسانياً عالمياً.

(٣) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٢٥.

تألف الكتاب من مائة وثمان وأربعين صفحة من مقطع المتوسط واحتوى على تسعة وأربعين مبحثاً، راعى المؤلف فيها مبدأ التوازن في المساحة المخصصة لمعالجة موضوع كل مبحث، فقد تراوح عدد صفحاتها ما بين صفحتين وخمس صفحات لكل مبحث واضعاً لها عناوين دلت على حرص

(١) مقابلة شخصية: جواد هبة الدين الحسيني، تموز ٢٠٠١.

(٢) جعفر العسكري: هو جعفر بن مصطفى بن عبد الرحمن، ولد في بغداد عام ١٨٨٥ ودرس فيها، ثم سافر إلى اسطنبول لإكمال دراسته، تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩٠٤، انتمى إلى جمعية العهد عام ١٩١٣، وشارك في الثورة العربية الكبرى ١٩١٦، رأس الوزارة العراقية مرتين في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٢، و ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦، قتل خلال انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦. للمزيد من التفاصيل انظر: علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق عام ١٩٢٦، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٧).

(٣) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٧٢.

وربما تفسر لنا كلمة (نهضة) و(نهضات)، التي وردت إحدى وأربعين مرة في مجمل الكتاب، هذا التوجه في انتقائية مفردات العناوين وما تحمله من دلالة ومضامين، لم يستثن منها اسم الكتاب نفسه (نهضة الحسين)، ولعل من المفيد هنا اقتباس تعريفه الخاص بمفهوم (نهضة) موشحاً به الصفحة الأولى من الكتاب جاء فيه:

(النهضة قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامة وحقيقة النهضة سيالة في الأشخاص والأمم وفي الأزمنة والأمكنة ولكن

(١) عن مفهوم النهضة في الفكر العربي المعاصر انظر: بو مدين بو زيد وآخرون، قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ١٩-٣٨.

بين في المقدمة أهم المصادر الأولية التي اعتمدها في دراسته عن ثورة الإمام الحسين 7، ذاكراً أسماء مؤلفيها وسنوات وفاتهم للدلالة على تأليفهم ، كان كمها كتاب (تاريخ الأمم والملوك) لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، وكتاب (العقد الفريد) لمؤلفه ابن عبد ربه المغربي (ت ٣٢٨هـ)، و (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي الاصبهاني (٣٣٦هـ) ، ومنها أيضاً كتاب علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، المعنون (مروج الذهب)^(٢)، زيادة على تلميحه إلى الاطلاع على عدد من دراسات المستشرقين المعنية بذات الموضوع دون الإشارة إلى عناوينها أو أسماء مؤلفيها، إذ ذكر في الصفحة (٥٠)^(٣) من (نهضة الحسين) ما نصه.

(١) أشار الأكاديمي ريكان إبراهيم إلى أن الكلمة: (يمكن أن تنوب مآب نقل حسي كامل لحدث تاريخي إلى جمهور ما) كما سماه الإنابة (figuring) من عوامل سلطة الكلمة في الحدث التاريخي، ريكان إبراهيم، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(ينمي مورخه الغرب معارضة بني أمية لبني علي عليه السلام إلى زمن
ابعد مدى مما اشتهر، وإلى قطيعة حدثت بين هاشم وشقيقة عبد شمس
ولدي عبد مناف القرشي)^(١).

اتبع في دراسته أسلوباً تحليلياً تعليلياً، ارتكز بوضوح على آلية عمل استندت
إلى منهج البحث التاريخي، التي لم يرغب عنها استخدام هوامش التعريف
والتوضيح والإحالة إلى مصادر استقى من ضمامينها معلومات دراسته
هذه^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٢) على سبيل المثال انظر: المصدر نفسه، ص ٣٧، ٤٥، ٩٢.

ثانياً: تحديد أسباب ثورة الإمام الحسين 7 ونتائجها في منظور هبة الدين الحسيني:.

كشف في صفحات دراسته عن عوامل وأسباب بعينها تقف وراء واقعة كربلاء، رد بعضها إلى قدم الصراع والتنافس بين بني هاشم وبني عبد شمس^(١)، وما شكل ذلك من انعطافة تاريخية خطيرة اتسمت بالعنف في ظهور الإسلام، إذ برز (حزب التوحيد) بقيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و (حزب الشرك) بقيادة أبي سفيان، حسم بعد سلسلة من التطورات والمعارك لصالح الرسالة الإسلامية، إذ كانت معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة (٦٢٣) ميلادية، الخطوة الأولى في انتصار الإسلام، ليتلوها

(١) انقسمت قريش اثر وفاة عبد الدار بن قصي بن كلاب إلى كتلتين متنافستين الأولى ضمت بني عبد مناف بزعامة (هاشم) مكونين حلفاً أطلق عليه (حلف المطيبين)، والثاني من بني عبد شمس بزعامة (عامر) سمي (حلف لعقة الدم)، أسفر هذا التنافس عن هيمنة بني عبد شمس على الأمور الأساسية في مكة وهي : الحجابة (امتلاك مفاتيح الكعبة)، واللواء (قيادة الجيش)، ودار الندوة (مجلس القرارات)، أما بني هاشم فلم يحصلوا إلا على : السقاية (سقاية الحجاج)، والرفادة (أطعام الحجاج)، للتفاصيل انظر: احمد صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب، (الموصل: مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١)، ص ١١٠، ١١٥، ١١٩،

وأشار إلى ما لحق أسرة أبي سفيان بسبب تلك الانتصارات من مرارة، اثر مقتل نفر من أبنائها في معاركهم ضد المسلمين^(٣)، إذ أثارت في نفوسهم بغضاً وكراهية شديدين ضد بني هاشم وأسرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم^(٤).

(١) خاض المسلمون ضد مشركي قريش عدة معارك ابتداءً من السنة الثانية للهجرة وهي على التوالي: بدر، احد، الخندق، عدا غزوات ومناوشات عدة كان آخرها فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة. للتفاصيل انظر: الطبري، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٤٢١-٤٧٩، ٤٩٩-٥٣٣، ٥٦٤-٥٨١.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٥٠-٥٤.

(٣) على سبيل المثال، ذكرت المصادر مقتل سبعين من رجال قريش في معركة بدر وحدها، كان من بينهم أمية بن خلف أبو هند زوج أبي سفيان، وعتبة بن أمية شقيقها، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة. انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، (القاهرة: دار سعد للطبع والنشر، ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤م)، الجزء الأول، ص ١٨٨.

(٤) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٤.

وأوضح أيضاً أهمية ما تركه الخلفاء الراشدون من قيم ومثل في نفوس المسلمين عامة عن أسلوب الإدارة والحكم، أثرت في المناخ السياسي العام للدولة العربي الإسلامية، إذ تتوافر أسس بعينها في طبيعة العلاقة بين الحاكم (ال خليفة) والمحكوم (الرعية)^(١)، مسترشداً في ذلك بمواقف الخليفة عمر بن الخطاب وأقواله^(٢).

أكد أيضاً أن لسلوك يزيد بن معاوية^(٣) الشخصي وممارساته كحاكم شكلت هي الأخرى سبباً آخر من أسباب الثورة، ولاسيما انه سعى في بداية عهده

(١) ووضع فقهاء المسلمين مقومات وأسس لمن يرشح لمنصب (الخليفة)، عنها انظر: توفيق سلطان اليوزيكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧)، ص ٥١-٧٦.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٦.

(٣) حكم يزيد بن معاوية الدولة العربية الإسلامية حوالي ثلاث سنوات (٦٠-٦٣هـ) (٦٨٠-٦٨٣م)، شهد عهده واقعة كربلاء سنة ٦١ هـ، وواقعة الحرة ٦٣هـ، حيث نهبت المدينة المنورة، وواقعة عبد الله بن الزبير، وما نجم عنها من ضرب للكعبة بالمنجنيق عنها انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٩٣٥)، الجزء الأول، ص ٤٠٧-٤٢٦.

ونوه بقضية ارينب بنت اسحق (أم خالد)، المعروفة بحسنها وجمالها ومن ثم رغبة يزيد الجامعة في الزواج منها، على الرغم من أنها كانت زوجا لابن عمها عبد الله بن سلام، لذا بذلت محاولات لم يكن الترغيب والاحتياال بعيداً عنها من اجل تطليقها من زوجها، بيد أن الإمام الحسين عليه السلام، حال دون تحقيق تلك المآرب التي تتنافى ومكارم الأخلاق وقيم الإسلام، الأمر

(١) ذكر الأكاديمي ثابت إسماعيل الراوي أن عدداً من أقطاب المسلمين امتنع عن أداء البيعة ليزيد بن معاوية كان منهم: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد اللع بن عباس، ثابت إسماعيل الراوي، تاريخ الدولة العربية، (بغداد: مطبعة الإرشاد ١٩٧٦)، ص ١٥٤. وعن أسباب ذلك انظر: عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٩)، ص ٧٥.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٠-٤٢، ٦١.

(٣) عن طبيعة هذه الضغوطات انظر: عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٣) ص ٥٦-٦٠.

بعد أجماله لأبرز العوامل والأسباب المفجرة لثورة كربلاء عام ٦١ هـ، سلط الأضواء على أهم تداعيات الأحداث وتطوراتها، بمعالجة تحليلية، لم تغب عنها وفي أحيان غير قليلة نمطية السرد التاريخي، في عرض الأحداث وهي مسألة فرضتها دراماتيكية الحدث نفسه^(٤).

(١) عن تفاصيل القضية انظر: هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٥١-٥٣.

(٢) عن أهمية دور أهل الكوفة في ثورة كربلاء انظر: يوليوس فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٨)، ص ١٦٠-١٦٧.

(٣) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٧٣.

(٤) انظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٨.

ثم انتقل في اثر ذلك إلى بيان أهم ما تمخضت عنه الأحداث من نتائج ومعطيات ودراساتها، كان في مقدمتها مواقف الإمام وصحبه، وما تركته من صدى عميق في وجدان المسلمين على مر التاريخ^(١)، حتى أنها أصبحت (مثلاً أعلى) يحتذى و(رمزاً للحق) يفجر في نفوس المسلمين دواعي (النهوض) ، ورفض (كل أمر منكر) مشيراً إلى رمزيتها الملهمة لحركات وثورات توال في العديد من بلاد المسلمين^(٢).

وبين ما تمخضت عنه موقعه كربلاء من تأكيد قيم ومثل عربية وإسلامية حضت صورها أجماً على (التضحية) و(الصبر) و(الشجاعة)، و(الثبات) في الدفاع عن المبادئ، و (الوثوب) ضد الظلم والجور^(٣)، مؤكداً أن:

(النهضة الحسينية هزت القرائح والجوارح نحو الإخلاص ... ولتلبية دعاة الحق واستجابة حماة العدل في العالم الإسلامي^(١)، وإنعاش روح الصدق

(١) عن الأثر الوجداني الذي تركته واقعة كربلاء في وجدان المسلمين انظر: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، بطلنة كربلاء، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٦١)، ص ٩-١٠، ١٥٨.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٤، ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٢١، ١٣٠، ١٣٥.

(١) عما تركته ثورة الإمام الحسين عليه السلام، من انبعاث ونضالية في نفوس المسلمين، انظر: محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٧)، ص ٢٥٦ - ٢٦٠.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٨.

ثالثاً: الرؤى وأسلوب الكتابة في كتاب (نهضة الحسين) .:

أشار هبة الدين في مؤلفة المذكور أنفاً، إلى ما تعنيه تأثيرات القائد (البطل) في حركة أحداث التاريخ^(١)، متخذاً من قيادة الإمام عليه السلام مثلاً في هذا المضمار، ومن صفاته وسلوكه العام، اقتبس السمات والصفات المطلوب توافرها بمن يقود، أو يسعى للإصلاح، كسمو الأخلاق، والترفع عن حمل الضغائن، أو كما عبر هو عن ذلك بقوله: (المصلح لا يحمل غلاً أو حقداً) ، إلى جانب اتسانه بـ(الثبات ورباطه الجأش) في الملمات ومواجهة الصعاب ، متمسكاً بمبادئه، ومتماسكاً في الدفاع عنها، دون أن يخالج نفسه وهن أو ضعف، تدفعه روح وثابة متفائلة غير قانطة، عاداً إياها من السمات الأساسية التي لابد من توافرها في رجل القيادة^(٢).

(١) عن تأثيرات البطل في أحداث التاريخ، على سبيل المثال انظر: سدني هوك، البطل في التاريخ، تعريب مروان الجابري، (بيروت - نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٩)، ص ١٥٥.

(٢) عن هذه السمات انظر: هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٣٨، ٧٤، ٩٨، ١١٤.

وانطلاقاً مما تقدم، أكد دور المصلحين، أو كما اسماهم بـ(الناهضين) في مجتمعاتهم^(١)، لمقارعة الطغيان وإصلاح ما فسد، دليلهم في ذلك (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، حتى يتسنى لهم إحقاق الحق، وتحقيق العدالة الاجتماعية، مطلباً الإنسانيّة جمعاء^(٢).

فلا عجب أن نجد واقعة كربلاء، قد شكلت عنده صورة من صور الصراع الأزلي بين الحق (الخير) والباطل (الشر) صراع قوتين متناقضتين، شدد فيه على (حتمية) انتصار الحق في نهاية المطاف^(٣)، منوهاً في الوقت نفسه بما يعنيه صراع الأضداد والمتناقضات من (فعل) محرك لأحداث التاريخ، التي وصفها بـ(ادوار كالليل والنهار) على مر الزمان^(٤).

طغت بوضوح صفة (التفسير الأخلاقي) على معالجته ودراسته لأحداث موضوعه، وهي مسألة لم تكن بعيدة عن طبيعة نشأته الدينية ذات الطابع

(١) نحى هبة الدين الحسيني في تفسيره لأحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام منحاً أكد فيه على منطلقاته ومواقفه من موضوعات الإصلاح.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٤٥-٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(في مكارم الأخلاق تتلألأ التضحية تلألأ القمر البازغ بين النجوم الزواهر، فإذا شوهد في امرء شعور التضحية اكتفى الناس بها عن أية مكرمة فيه، وأي مآثر له، ولا عجب فان الصدق إذا عد أصل الفضائل، فان شعور التضحية هو من اجل مظاهر الصدق... شعور شريف كهذا لابد وان يثمر لأهل الحق بالخير الخالد)^(١).

وقدم عرضاً جغرافياً عن ميدان الحدث، هدف من خلاله، إعطاء صورة قدر الإمكان عن توزيع القوات المتوثبة للقتال في ساحة المعركة^(٢)، ثم سعى في إطار متناغم مع تطورات الأحداث، إلى تقديم صور معبرة عن الأجواء النفسية التي أحاطت بها، وما أفرزته من مشاعر خالجت نفوس

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٢) هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، ص ٩٩، ١٠٩.

وبرر الإطار التحليلي في معالجته في مواضع جمة من دراسته هذه، فعلى سبيل المثال، بين أسباب اختيار (الكوفة) من قبل الإمام عليه السلام، كنقطة انطلاق لثورته، لما لها من إمكانيات بشرية ومادية، فضلاً عن أنها كانت فيما مضى عاصمة الدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وبين في الإطار ذاته أسباب اختيار الإمام ساعة خروجه من مكة في موسم الحج تحديداً، إذ كتب ما نصه:

(أن الخارج يومئذ من ارض الحج والناس متوجهون إلى الحج لا بد أن يستلقت إلى نفسه الأنظار وان كان راكبا واحدا، فكيف بركب وموكب، انه لأمر يستوقف الناظر ويستجوب كل عابر)^(٣).

(١) على سبيل المثال عرضه للصراع النفسي الذي اكتنف مواقف الحر بن يزيد الرياحي. المصدر نفسه، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

وحلل أسلوب خصوم الإمام في معالجة الموقف، باتباعهم سياسة الترهيب والترغيب، أو ما اسماء سياسة (السيف والرغيف) سعياً وراء حشد الأتباع لمواجهة تحركات الحسين عليه السلام^(١).

وأخيراً لم يغب عن بال هبة الدين الحسيني في خاتمة بحثه، الإشارة إلى أن دراسته هذه لم تكن قاطعة في تحليلاتها أو ملمة بكل التفاصيل والأسباب، وهما أمران أن دلالة على شيء فإنما يدلان على روح متواضعة كامنة في باحث دؤوب ديدنه البحث والدرس^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٩١، ٩٦، ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.

تاريخ العزاء الحسيني

جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

بغداد ١٣ محرم الحرام ١٣٨٩

١ . نيسان ١٩٦٩

محرم.. وتاريخ الغزاء الحسيني

في التاريخ مصارع كثيرة.. وفجائع مثيرة يذهل الفكر أمامها حائراً.. ولكن فاجعة «كربلاء» قد أجمع المؤرخون بأنها من أشد الفجائع أثراً في النفوس ... وأقسى المصارع وقعاً على القلوب.. ذلك لما وقع على ساحة الطف في كربلاء بالعراق من مجزرة بآل النبي وأصحابهم يوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة الموافق لسنة ٨٥ ميلادية. حيث حوَّصر فيها الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب 7 هو وآله وفنتية من بني هاشم وجملة من أصحابه من أهل العراق والحجاز.. واستشهدوا جميعاً من قبل الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص وبأمر من عبيد الله بن زياد عامل يزيد على الكوفة.. لا لذنوب سوى تمسكهم القوي بمبادئهم القويمة.. وإحساسهم القوي بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم إزاء السياسة الأموية القائمة...

لذلك كلما بدت طلعة العام الهجري^(١) تذكر المسلمون ببالغ الأسى وعظيم التأثير مصارع آل الرسول وأهل بيته وما أمعنه الجيش الأموي فيهم من القتل

(١) يعتقد فريق من المسلمين ضرورة الاحتفال بهلال محرم الحرام باعتباره مفتتح العام الهجري، وأنه يلزم أن يكون موضع فرح وسرور ساعة حلوله.. وأن يتخذ له مظاهر الأنس والابتهاج أسوة بسائر الأقيام التي اتخذت من مفتتح أعوامها أبهج يوم

لذلك حين يحل هذا التاريخ من كل عام.. ويهل هلال محرم الحرام يستعد المسلمون في معظم أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية وخاصة في يوم العاشر من محرم.. المعروف بيوم «عاشوراء» حيث يحتفل المسلمون فيه بهذه المناسبة الأليمة متذكرين مصارع آل النبي في كربلاء في حزن عميق وشجن عظيم.. يستعرضون مواقف الإمام الحسين ومن استشهد معه بما يناسبها من الإشادة والتكريم... ومنهم من يبالغ في إظهار شعائر الحزن والأسى حسبما يتصوره ويرتاح إليه حسب تأثره ومعتقداته اتجاه هذه الفاجعة الدامية.. التي أثرت في العالم الإسلامي تأثيراً بالغاً ما ظل ملازماً له منذ ذلك الحين أي قبل ألف وقرون إلى يومنا هذا... إلى ما شاء الله من أيام الدهر.

(١) وقد استقبلهم بنو هاشم بصورة لا ينساها المسلمون والعلويون من حيث الروعة والبكاء والوعيل.. وقد أنشدت بنت عقيل بن أبي طالب هذه الأبيات تصف بها الحالة:

ماذا تقولن إن قال النبي لكم؟...ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتدي...منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

تاريخ العلويين . محمد غالب الطويل

وقد يتصور البعض أنّ هذه الشعائر والمظاهر التي تقام في العشرة الأولى من محرم الحرام من كل عام من قبل المسلمين في مختلف أنحاء الأرض وبمختلف أشكالها إنّما هي من محدثات العصور الأخيرة في حين أنّ هذا التعبير عن شعور التأثر والتألم تجاه مصرع الإمام الحسين^(١).. إنّما يرقى تاريخه الى عهد قديم في الإسلام أو هو قريب العهد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.. غير أنّه كان في أول أمره محدوداً جداً وصغير الحجم يقام بمحضر أخص الناس بالحسين كالأعلام من ذريته.. للتسلية والمؤاسة.. وللتخفيف عن لوعة المصيبة.

(١) لقد كان مصرع الحسين أعظم مصيبة نزلت في الإسلام.. فلقد قتل من قبل عمر وعثمان وعلي... وقتل في وقعتي الجمل وصفين جموع غفيرة من المسلمين ولكن ذلك لم يؤثر على المسلمين مثل ما أثرت شهادة الحسين. وقد أدّت هذه المحنة إلى تفرقتهم ولا يزالون إلى هذا اليوم متفرقين.. وقد انقرضت دولة الأمويين باسم الانتقام لهذا الحادث وانقرض العباسيون باسم إعادة الحقوق المغتصبة في الحادث نفسه. وقتل تيمورلنك أهل الشام انتقاماً لدم الحسين... تاريخ العلويين

مظاهر الغزاء لآل البيت في العصر الأموي

وكما كان الآفاق العربية يومها تردد صدى هذه الفاجعة المؤلمة^(١).. وقسوة

(١) مرّ سليمان بن قتة العدوي بكربلاء بعد قتل الحسين 7 بثلاث فنظر الى مصارعهم
واتكأ على فرس له عربية وأنشأ يقول:

مررت على أبيات آل محمد... فلم أرها أمثالها يوم حلت
ألم تر إنّ الشمس أضحت ... مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها... وتغتابنا قيس إا النعل زلت
وعند غني قطرة من دمائنا... سنطلبهم يوماً بها حيث حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها... وإن أصبحت منهم برغم تخلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم... أذلّ رقاب المسلمين فذلت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده... وأنجمها ناحت عليه وصلت
ومرّ ابن الهبارية الشاعر بعده بكربلاء فجلس يبكي على الحسين 7 وأهله وقال بديهاً:
أحسين والمبعوث جذك بالهدى... قسماً يكون الحق عنه مائلي
لو كنت شاهد كربلاء لبذلت في... تنفيس كربك جهد بذل البازل
وسقت حد السيف من أعدائكم ... عللا وحد السمهري الذابل

لكني أخرت عنك لشقوتي ... فلا بلى بين الغري وبابل
ويقال نام مكانه فرأى النبي 9 فقال له: جزاك الله عني خيراً. أبشر فإنّ الله قد كتبك
ممن جاهد بين يدي الحسين 7 (المجالس السنية للسيد العاملي ج ١ ص ٤٢ - ٤٣ .

(١) قالت فاطمة بنت علي بن أبي طالب 7: ما تحنّات امرأة منّا ولا أجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس ابن زياد إلى علي بن الحسين 7. وقال الإمام الصادق: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا روي في دار هاشمي دخان حتى قتل عبيد الله بن زياد.. وكان الإمام علي بن الحسين «السجاد» شديد الحزن كثير البكاء على شهداء الطف يتذكر قتلهم في حزن عظيم.. فواساه يوماً مولاه أن يقلل من البكاء فأجاب: ويحك إنّ يعقوب بن إسحاق كان نبياً وابن نبي له اثنا عشر ولداً.. فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدوب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا. وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ثم رؤوسهم على القنا.. فكيف ينقض حزني ويقل بكائي...
المجالس السنية للسيد محسن العاملي ج ١

وبقيت بيوت آل البيت مجللة بالحزن والسواد ولا توقد فيها النيران.. حتى نهضت في العراق ثلة من فتيانه الأشاوس ومن زعماء العرب الأفحاح أمثال المختار الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي وسليمان الخزاعي والمسيّب الفزاري وغيرهم حيث أخذوا ثأر الحسين وقتلوا جميع قتلة الحسين أمثال ابن زياد وابن سعد وسان وشمر وحرمله وغيرهم^(١)... فخفت من ذلك لوعة الأشجان في بني هاشم.. وهذا منهم نشيج الزفرات ونزيف العبرات.. فصارت المآتم منهم وفيهم تقام في السنة مرة بعدما كانت مستمرة.. ففي ذلك العهد . عهد السلف الصالح . يحدثنا التاريخ الإسلامي عن أعلام أهل البيت النبوي، أنهم كانوا يستشعرون الحزن كلما هلّ هلال محرم...

(١) روى ابن الأثير في الكامل عن الترمذي في جامعه أنه «لما وضع رأس ابن زياد أمام المختار جاءت حية صغيرة فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيدالله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت منخره وخرجت من فيه.. فعلت هذا مراراً.. ثم بعث المختار برأس عبيدالله بن زياد الى علي بن الحسين 7 وكان يومئذ بمكة فأدخل عليه وهو يتغذى فسجد لله شاكراً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي. وجزى الله المختار خيراً.. لقد أدخلت على ابن زياد وهو يتغذى ورأس أبي بين يديه.. فقلت اللهم لا تمنني حتى ترني رأس ابن زياد.. وكان قتل ابن زياد وأشياعه في يوم عاشوراء في اليوم الذي قتل فيه الحسين 7 ولم يقتل من أهل الشام بعد وقعة صفين مثلاً قتل في هذه الوقعة.. حيث قتل المختار منهم سبعين ألفاً (المجالس السنوية للسيد العاملي ج ١)

(١) وذكر السيد الأمين في كتابه المجالس السنية ج ١ فقال:
قال الإمام الصادق لأبي عمارة المنشد يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي قال
فأنشدته فبكى ثم أنشدته فبكى ومازلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار
فقال: يا أبا عمارة من أنشد شعراً في الحسين بن علي 7فأبكى فله الجنة..
ودخل جعفر بن عفان على الصادق 7فقربه وأدناه ثم قال يا جعفر بلغني أنك تقول
الشعر في الحسين 7وتجيد فقال نعم جعلني الله فداك.. قال: قل: فأنشده:

ليبك على الإسلام من كان باكياً... فقد ضيعت أحكامه واستحلت

غداة حين للرماح دريئة... وقد نهلت منه السيوف وعلت

وغودر في الصحراء لحماً مبدياً ... عليه عتاق الطير باتت وظلت

فما نصرته أمة السوء إذ دعا... لقد طاشت الأحلام منها وضلت

ألا بل محوا أنوارهم بأكفهم... فلا سلمت تلك الأكف وشلت

وناداهم جهداً بحق محمد ... فإن ابنه من نفسه حيث حلت

فما حفظوا قرب النبي ولا رعوا... وزلت بهم أقدامهم واستزلت

أذاقته حر القتل أمة جدّه... هفت نعلها في كربلاء وزلت

فقد كان الشاعر العربي «الكميت بن زيد الأسدي» من شعراء العصر الأموي والمتوفى سنة ١٢٦ للهجرة قد جعل معظم قصائده في مدح بني هاشم وذكر مصائب آل الرسول 7.. حتى سميت قصائده «بالهاشميات» وكان ينشد معظمها في مجالس الإمام الصادق وأبيه الباقر محمد وجده علي بن الحسين 7. ومن تلك القصائد التي ألقاها بين يدي الإمام علي بن الحسين السجاد 7 قصيدته المشهورة التي مطلعها:

من لقلب متيم مستهام... غير ما صبوة ولا أحلام

وقتيل الطف غودر عنه... بين غوغاء أمة وطغام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه... حاكماً لا كسائر الحكام

فبكى الإمام الصادق ومن حوله حتى انتشرت الدموع على وجهه ولحيته ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربين ها هنا يسمعون قولك في الحسين 7 ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك هذه الجنة.. وغفر لك.. يا جعفر ألا أزيذك.. قال نعم يا سيدي... قال ما من أحد قال في الحسين 7 شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له...

قتل الأدعياء إذ قتلوه... أكرم الشاريين صوب الغمام

ولهمت نفسي الطروب إليهم... ولهاً حال دون طعم الطعام

فلما بلغ آخرها حتى قال السجاد 7 له «ثوابك نعجز عنه.. ولكن الله لا يعجز عن مكافأتك...» فقال الكميت: سيدي إن أردت أن تحسن إليّ فادفع لي بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرّك بها.. فنزع الإمام ثيابه ودفعتها إليه. ودعا له..

ومن تلك القصائد قصيدته التي ألقاها في مجلس الإمام الصادق 7 والتي مطلعها:

طربت وما شوقاً الى البيض أطرب ... ولا لعباً متّي وذو الشيب يلعب

ولكن الى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب الى أن يقول:

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة ... علينا قتل الأدعياء الملحّب قتل بجنب الطف من آل هاشم... فيالك لحماً ليس عنه مذّيب ومنعفر الخدين من آل هاشم ... ألا حبذا ذاك الجبين المترّب وقد نال هذا الشاعر الجوائز الكثيرة من أئمة آل البيت 7 حتى أن الإمام الصادق 7 أكرمه مرّة على قصيدة ألف دينار وكسوة فقال الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا.. ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه.. ولكني أحببتكم

يا أعظماً ما زلت... من وطفاء، ساكبة روية

وإذا مررت بقبره... فأطل به وقف المطية

وابك المطهر للمطهر... والمطهرة النقية

كبكاء معولة أنت... يوماً لواحدتها المنية

فما بلغ هذا الحد حتى أخذت الدموع من الإمام تتحدر على خديه وارتفع
الصراخ من داره... فأمره الإمام بالإمساك فأمسك.. ثم أوصله بهدية ثمينة..
وهكذا كان الشعراء يقصدون مجالس آل البيت النبوي وسائر مجالس
الهاشميين في هذا الموسم لإلقاء خيرة ما نظموا حول هذا الموضوع على
سبيل العزاء.. من مديح وثناء.. وبنالون عليه خير العطاء...

مظاهر عزاء الحسين في العصر العباسي

لقد كانت لمجالس الهاشميين دورها الفعّال في جمع صفوفهم من الطالبين والعلويين والعباسيين وأنصارهم الموتورين من الحكم الأموي القائم.. وتنظيم الحملة ضدّهم وانطلقت الألسنة بإعادة الحكم لآل هاشم وتقاضي الحكم الجائر... وقد حدّثنا التاريخ الإسلامي.. أنّ تأسيس الدولة لعباسية كان قائماً على دعوة الهاشميين على أساس الثأر النهائي لقتلى الطف والانتقام للعلويين بالقضاء على الأمويين.. وكان الشعراء لم يعدو فرصة تفلت أو مناسبة تمرّ إلا ذكروا بهذا الثأر، الى أن هبّ الله لهم ذلك ومكّنهم من الأمر وقضوا على الحكم الأموي وترّع أبو العباس السفاح على الحكم كأوّل خليفة هاشمي.. يذكّرنا التاريخ بوليّته المشهورة التي حضرها ثمانون رجلاً من عيون الأمويين وهم على سمط الطعام فدخل شبل مولى بني هاشم على السفاح فأنشد في الحال قصيدته المشهورة والغيط قد أخذه:

أصبح الملك ثابت الأساس... بالبهاليل من بني العباس

أنت مهدي هاشم وهداها... كم أناس رجوك بعد أناس

طلبوا وتر هاشم فشفوها... بعد ميل من الزمان وياس

لا تقبلن عبد شمس عثاراً... وارمها بالمنون والاتعاس

واذكرن مصرع الحسين... وزيداً وقتيلاً بجانب المهراس

فقام السفاح في الحال مغتاضاً وقتلهم جميعاً ثم أباد الأمويين عن آخرهم...
وهكذا اتسع المجال أمام الشعراء في رثاء آل البيت النبوي وذكر مصابهم
في قتلى الطفوف.

ومن هؤلاء الشاعران المشهوران دعبل بن علي الخزاعي وإبراهيم بن العباس
اللذان قصدا من بخراسان.. فقدم الأول على الإمام الرضا^(١) علي بن موسى
بن جعفر: أيام ولاية عهده في خلافة المأمون العباسي ٢٠٣ للهجرة فأنشد
قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها^(٢):

(١) قال الإمام الرضا 7 كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً... وكانت الكآبة
تغلب عليه حتى تمضي العشرة الأولى من محرم فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم
يوم مصيبيته وحزنه.(المجالس السنية للسيد العاملي ج١)

(٢) قال دعبل الخزاعي دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا 7 في أيام
عشر المحرم فرأيت جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله فلما رأي مقبلاً
قال لي: «مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه.. ثم إنه وسع لي في مجلسه
.. وأجلسني الى جانبه ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام

تجاوبن بالآثاء والزفرات.. الى أن يقول:

مدارس آيات خلت من تلاوة...ومنزل وحي مقفر العرصات

أفاطم لو خلت الحسين مجذلاً...وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذن للطمت الخدّ فاطم عنده... وأجريت دمع العين بالوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي... نجوم سماوات بأرض فلات

الخ ... ديار رسول الله أصبحن بلقعا... وآل زياد تسكن الحجرات

وقد أجازته الإمام الرضا . بعد أن بكى هو وأهله . بعشرة آلاف درهم من المسكوك باسمه الكريم، وخلع عليه جبته.. فكان هذا خير رمز للتقدير

وهكذا زميله الشاعر إبراهيم بن العباس^(١) فقد أنشد الإمام الرضا 7 قصيدته الدالية المشهورة التي يقول في مطلعها:
 أزال عزاء القلب بعد التجلد...مصارع أولاد النبي محمّد
 فأكرمه الإمام بمثل ما أكرم به زميله الخزاعي.

وكانت جوائز أئمة البيت النبوي في هذا المجال مشهورة بالسخاء والبركة حتى ذهبت مثلاً: «ما بلغت صرة من موسى بن جعفر لأحد إلاّ استغنى» لذلك كان الشعراء يتفننون في هذا الباب الى جانب تأثرهم بروعة فاجعة

(١) روى الصدوق في «العيون» عن البيهقي عن الأصولي عن هارون بن عبد الله المهلبى: أنه لما وصل إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا 7 وقد بوع له بولاية عهده أنشده دعبل: مدارس آيات خلت من تلاوة... الخ وأنشد إبراهيم بن العباس قصيدته: «أزال عزاء القلب بعد التجلد...» فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون قد أمر بضربها في ذلك الوقت.. دعبل ذهب بالعشرة آلاف التي حصته الى قم فباع كل درهم بعشرة دراهم. فحصلت له مائة ألف درهم وأما إبراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفي عليه... فكان كفنه وجهازه منها (مجلة المرشد)

وهكذا كان الشعراء يتبارون في الرثاء والمواساة والإبداع فيها بهذه المناسبة، في مجالس آل البيت النبوي ومجالس الطالبين. وما من شك أن هذا العزاء كان فيه العزاء لكل مظلوم وكل ذي حق مهضوم بأعظم السلوان تأسيًا بالحسين 7.

وكما كان في هذا العزاء عرض لتلك المأساة فإنه لم يخل من فرض لجور الحاكمين وتعريض لضروب الظلم الذي أصاب آل البيت النبوي منهم وتهديد الظالمين بالعاقبة الوخيمة لفتكها بأعلام بيت النبوة.. وما ناله الظالمون من سوء المنقلب كل ذلك على لسان الشعراء والخطباء وفي أروع أسلوب مما كان له أثره في جذب النفوس وتقوية القلوب.. حتى قال أحد الشعراء:

تالله ما صنعت أميّه فيكم... معشار ما صنعت بنو العباس

وكانت السلطات الحاكمة يومها وفي فترة من الزمن وراء هذه المجالس تطارد الملقين وتفتك بالحاضرين ولقي الموالون لآل البيت من الشدة ضروب

مجالس النياحة لعزاء الحسين 7

ولما توسّع التشيع وخفت وطأة السلطات المعادية التي أتلّفت معظم تلك القصائد والآثار.. صار الموالي لآل الرسول 9 يقيم ذلك العزاء باسم «النياحة» أو الرثاء بمشاهد الأئمة من عترته أو بمحضر من يوثق بتشيعه وموالاته.. وما يجدر ذكره أنّه لم يكن في القرن الأول أي القرن الذي قتل فيه الحسين أثر ولا عين من جماعة أهل العزاء سوى الراثين والنائحين في بيوت أهل البيت النبوي فقط وكذا الحال في القرن الثاني.. إلى أن ظهر في القرن الثالث اسم النائح علماً لمن يرثي الحسين ويقرأ الشعر على حسابه.. ويقيم النياحة عليه من أمثال دعبل الخزاعي إلى علي الناشيء الأصغر. فأصبحت المجتمعات تتعقد باسم «النياحة على الحسين» على ما هم فيه من التستر فيكون على مصاب الحسين وينوحون عليه بقريض ينشؤه أو ينشده الناشد ويسمى «النائح» ويذكر المؤرخان الشهيران ياقوت الحموي في معجمه^(١)، وابن خلكان في وفياته قضية الناشئ الأصغر على الشاعر

(١) جاء في ترجمة علي بن عبد الله الناشئ «حدثني الخالع قال كنت مع والدي في سنة ٢٤٦ هـ وأنا صبي في مجلس الكبوزي في المسجد بين الوراقين والصاغة.. وهو غاص بالناس وإذا برجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطحيه وركوة ومعه عكاز وهو شعث. فسلم على الجماعة بصوت مرتفع وقال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.. فقالوا مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرّفون لي أحمد النائح؟ قالوا هاهو

بني أحمد قلبي لكم يتقطع... بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

وكان الناشئ حاضراً فلطم لطمأ عظيماً على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم... وكان أشد الناس في ذلك الناشئ، ثم المزوق ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى الناس الظهر وتقوض المجلس وجهدوا بالرجل أن يقبل منهم شيئاً فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها. فإنني لا أرى أن أكون رسول مولاتي 3. ثم أخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئاً... قال ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً... عجت لكم تفنون قتلاً بسيفكم... وبسطو عليكم من لكم كان يخضع

كأن رسول الله أوصى بقتلكم... وأجسامكم في كل أرض توزع

قال: وحدثني الخالع قال اجتزت بالناشئ يوماً وهو جالس في السارجين فقال لي قد عملت قصيدة وقد طلبت وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فقلت أمضي في حاجة وأعود. وقصدت المكان الذي أردته. وجلست فيه فحملتني عيني. فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال أحب أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية. فإننا قد نحنا بها البارحة بالمشهد.. وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من الزيارة.. ففقت ورجعت إليه وقلت هات البائية حتى أكتبها.. فقال الناشئ ومن أين علمت أنها بائية وما ذاكرت بها أحداً! فحدثته بالمنام فبكي وقال لاشك أن الوقت قد دنا فكتبتها وكان مطلعها:

بدء المواكب والحسينيات

وقد سجل التاريخ اهتمام معز الدولة البويهى وسائر الملوك البويهيين في الدولة العباسية ببغداد عام ٣٥٢ هجرية بشأن إقامة مآتم الحسين وإبرازها في هيئة مواكب خارج البيوت... فكانت النساء يخرجن ليلاً ويخرج الرجال نهاراً.. حاسري الرؤوس حفاة الأقدام... تحيتهم التعزية والمواساة بمأساة

رجائي بعيد والممات قريب... ويخطئ ظني والمنون تصيب (عن مجلة المرشد).

فأخذ العزاء الحسيني دوراً متسع النطاق في ظل عناية الهيئات الحاكمة.. ونال الموالون لآل البيت كل حريتهم في إظهار رغباتهم وشعائهم. فالناظر إليها لأول وهلة يخالها تشكيلات تولدت من عهد الملوك الصفوية أوهي من مستحدثات الأعاجم.. لكننا المتصفح لكتب التاريخ والآثار يجد لهذا الأمر أدواراً أو أطواراً في عصور سابقة على العصر الصفوي.. وفي أمم لا مساس لها بالعجم... بل هي من غروس العراق القديمة وأشجارها

(١) الدلائل والمسائل ج ١ للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني جواب عن تاريخ العزاء الحسيني.

وكل من جاب عواصم الأمم الإسلامية وغير الإسلامية يرى في الكثير منها إن لم يكن فيها كلّها سيما المجتمعات الموالية لآل بيت الرسول.. المباني الضخمة التي خصصت لإقامة هذه المجالس في هذا الموسم لإحياء ذكرى شهيد الحق الإمام الحسين⁷.

اهتمام الأقطار الإسلامية بعزاء الحسين

وهكذا أصبح المسلمون في اليوم العاشر من محرم كل عام يحتفلون بذكرى «عاشوراء» إحياءً لذكرى شهيد الطفوف الإمام الحسين⁷ في جميع الأقطار الإسلامية.. ويُعتبر هذا اليوم عطلة رسمية لدى معظم هذه الدول ويشترك كثير من رؤساء الدول الإسلامية في مراسيمه.

وحين تمر هذه الذكرى بالمسلمين سواء في العشرة الأولى من محرم أو في اليوم العاشر منه فإنها تغمر غالبية العالم الإسلامي بموجة من الأسى ويخيم عليه سحاب من الحزن، كأن الإمام الحسين قد قتل حديثاً وكأن أشلاء آلِه وأنصاره.. لا تزال على منظرها المؤلم فوق تلك التربة وكأن دم أولئك الضحايا من الشهداء لم يزل يفور على تلك الأرض.. فيثير في نفوس المسلمين كل تلك المشاعر والأحزان... مما جعلت معظم الحكومات العربية والإسلامية أن تحافظ على حرمة هذه المناسبة.. وتلاحظ شعور المسلمين نحوها.. ومن أجل ذلك تصدر أوامرها بغلق دور اللهو واللعب وحانات الخمر والشراب والمسارح وأمثالها مما تحمل طابع اللهو والطرب.. كما تقلص على غرارها ما في برامج الإذاعة والتلفزيون خلال العشرة الأولى من محرم ببرامج تتسم بالطابع الديني والروحي والعلمي مجرداً من كل أسباب اللهو والطرب.. كل ذلك رعاية لشعور المسلمين واحتراماً لمكانة هذه الذكرى. كما هو الحال في العراق وإيران وفي الهند والباكستان وعديد من الدول الإسلامية الأخرى.

والمسلمون إذ يحتفلون بهذه الذكرى الدامية ببالغ الأسى وعظيم الألم.. إنّما يشيدون فيها على موقف الإمام الحسين في ساحة الطف وبمجدون مواقف آلِه وأصحابه وما قدموه في ذلك الموقف من جسيم التضحية وعظيم البسالة التي أدهشت الأجيال وأذهلت التاريخ.

ثم إذ يعبرون في إحيائهم لهذه الذكرى الدامية عن شعورهم نحو الإمام الشهيد فإنهم يختلفون في هذا التعبير حسب معتقداتهم فيه وفي حركته واستشهاديه وباختلاف مداركهم وعاداتهم.

فمنهم من يعتبره عيداً مجيداً لأنّ الفضيلة فيه قد انتصرت على الرذيلة وأنّ الإمام الحسين بموقفه ذاك من يزيد قد أسند تعاليم جدّه سيّد الرسل.. وجدد مجد شريعته السمحاء... كما هو الحال لدى المسلمين في الشمال الإفريقي والمغرب العربي الذين يعتزون بهذه الذكرى.

ومنهم من يندفع مع العاطفة إلى إيلاء نفسه وإيائها بمختلف الوسائل والأساليب كضرب نفسه بالسلاسل أو بالتطبير ظناً منه أنّ هذا النحو من الإيذاء لمن دلائل المواساة أو الاقتداء بأولئك الشهداء.. كما هو الحال في بعض أنحاء العراق وإيران والهند والباكستان.

عزاء الحسين في أمريكا الوسطى

ومنهم من يحصرها في هودج كبير ضخم كما هو الحال في^(١) أمريكا الوسطى وفي مدينة بورت أو اسباين عاصمة جزيرة في ترينيداد الواقعة في البحر الكاريبي من شمال أمريكا الجنوبية حيث يزين المسلمون هذا الهودج بالذهب والفضة وبأزهى الألوان الواجبة وأحلاها ويشترك المسيحيون والهنود مع المسلمين في احتفالاتهم العظيمة بيوم عاشوراء في مسيرة عظيمة في طليعتها هذا الهودج الفخم... وتسير الجماهير وراءه تحف بها الطبول وآلات الموسيقى بأنغامها الحزينة تطوف شوارع العاصمة وبين تعالي العويل والهتاف بحياة الحسين 7 سيّد الشهداء في ذكرى مصرعه يلقي بالهودج إلى البحر الصاخب فتحمله الأمواج إلى الأعماق الزرقاء المجهولة.. ويعود الجميع إلى مجالس العزاء بذكرى الحسين 7... وأغلب الظن أن هذه الظاهرة انتقلت إلى هذه الجزيرة مع الهنود المسلمين... حيث يمارسون على غرارها في الهند تعبيراً عن عواطفهم نحو هذه الذكرى.. على هذا النحو في معظم الأقطار الإفريقية والآسيوية يعبر المسلمون عن مشاعرهم حسب تصورهم ومعتقداتهم في هذه المناسبة..

(١) من مجلة الأسبوع العربي في عددها ٥١٥ من السنة العاشرة بتاريخ ٢١ . ٤ .

ومنهم من ينحو بها كعرض لذلك المسرح الحزين يوم الطف بالمنطق الرزين.. وبأرق الأساليب الأخاذة بالمشاعر مستوحين من قدسية ذلك اليوم التاريخي ضروب العبر وأنواع البطولة والإيمان بالحق.. فينتزعون من ذكراه أروع الصور وأبلغ الدروس، وأسمى العظات، وإن كانت منهم مجرد سرد وترديد.

عزاء الحسين في مدن العتبات المقدسة

والى جانب ما تقدم تلبس مدن العتبات المقدسة في العراق وإيران والمساجد المهمة والأماكن المتبركة في الهند والباكستان وغيرها من الأقطار والمناطق التي يتعصب أهلها في الحب والولاء لآل البيت النبوي حلّة من السواد كشعار للحزن والحداد.. وتتبعد عن مظاهر الزينة والبهجة ومباعث الأنس والانشرح...

هذه هي الحالة في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام عند المسلمين بالنسبة لهذه الذكرى إن لم يكن الشهر كلّ من كلّ عام ومن الأقطار الإسلامية كالعراق وإيران والهند والباكستان إلى ما بعد العشرين من صفر حيث تستكمل هذه الذكرى يومها الأربعين. ولها زيارتها الخاصة ومراسيمها

ومما تجدر إليه الإشارة على اثر تطور العزاء الحسيني واتساعه عن طريق اللطم والضرب بالسلاسل وما إليها وما أظهره شباب الكاظمية عام ١٣٦٠هـ إي ١٩٤١ إلى المرحوم الوالد السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني من تأثرهم لهذا التطور المشين والذي يكمن وراءه من الأضرار بهذا العزاء وبأهداف سيد الشهداء .. فاقترح عليهم تطويره إلى إقامة حفلات وقصائد تشيد بالذكرى وتؤبن شهداءها وتبنى هذا الأمر لعدة سنوات ساهم فيها كثير من أعلام القطر وأساتذة الجامعات وقادة الرأي وشباب البلد من شعراء وخطباء كان لها اكبر الأثر في جذب النفوس إليها .. ساهمت بنقل هذه الحفلات حية عبر الأثير عن طريق الإذاعة من الإمام الحسين⁷ صحن الإمامين الكاظمين³ صبيحة العاشر من محرم من كل عام وكان يحضرها عشرات الآلاف من المستمعين إلى جانب الهيئات الرسمية وممثلي الدول الإسلامية مما أعطت أروع صورة محترمة عنه هذه الذكرى إلى المستمعين وكان الشعراء والخطباء يتبارون في الرثاء والإبداع فيه مما تغذي الفكر الإسلامي والشعر العربي بأسلوب لم يكن من قبل .. وتوجيه الرأي العام إلى أسرار نهضة الحسين والعوامل النفسية والروحية التي حملته للصمود

عزاء التشابيه والتمثيل

وهناك لون آخر من العزاء الحسيني المسمى (بالشبيه) وقد ظهر بادئ الأمر في القرن العاشر الهجري على هيئة حصان مغطى بكفن مدمى وفيه بعض النبال يتقدم مواكب اللطم كأنه حصان الحسين 7 بعد المعركة .. ثم توسع إلى خيول متعددة على نفس الشاكلة ترافق المواكب .. ثم ظهرت شخصية الحر الرياحي ومعه بعض قادة الجيش الأموي يرفقه الخيول أمام المواكب .. وظهرت شخصية الإمام علي بن الحسين السجاد في حالة رجل عليل مكبل بالأغلال على صهوة جواده وسط الموكب يوم الأربعين ٢٠ من صفر يردد ما قاله حين دخل المدينة .. والناس تلطم من فرط التأثر لمشهده .. ثم تطور بالتدريج إلى ظهور الهودج والنساء فيها كأنهن السبايا عائدتين من الشام عبر العراق إلى المدينة ويمرون بأرض الطفوف في كربلاء يوم زيارة الأربعين .. والجماهير الغفيرة تلطم متأثرة من هذا المنظر المفجع يتذكرون الموقف نفسه .. ثم تطور هذا العزاء بتوالي السنين بظهور

(١) وتتقدم المواكب السيارة عبر الشوارع في عاشوراء الحسين فرقة من الطباله تفرع قعا خاصا يلفت الأنظار تتبعها الخيول المحلات بأكسية من الحرير مذهبة الأطراف وعليها الحمائل النفيسة المزينة بالأضواء الكهربائية وفي جبهة الحصان مصباح يتقد وينطفئ كلما حرك الحصان رأسه ٠٠ وعلى رأسه ريشة طويلة مضيئة ٠٠ ثم تشابهه موكب آل النبي في كربلاء وهم على الخيول مما تؤثر مظاهرها في قلوب العوام آثار الحزن والأسى وتثير البكاء لدى البعض مما تؤثر مظاهرها في قلوب العوام آثار الحزن والأسى وتثير البكاء لدى البعض عدا البعض من هذه التشابه والتماثل التي تلتف حول موكب الحسين من حملة الأبواق ويسمون ((أصحاب زعفران الجني)) وهم عدة من الصبيه والمجاهيل يلبسون طرابيش طوال فوق طول الذراع من الورق السميك الملون بالأحمر والأصفر ويصبغون وجوههم بألوان مختلفة ويلبسون البسة حمراء او

وتطور موكب (الشبيه) الذي كان يأخذ مسيره عبر الشوارع والطرق ومن و
من وسط الجموع الغفيرة من المشاهدين إلى الساحة الرئيسية في المدينة أو
إلى وسط الصحن في المراقد المتبركة حيث تجري هناك صورة مصغرة
لتلك المعركة التاريخية .. ويتوالي السنين توسع هذا اللون إلى إقامة صرح
له وسط الصحن او الميدان وبجواره خيام تمثل خيام أهل البيت..

وتجري أمام الشود الحاشدة من عشرات الآلاف من الناس الذين حضر معظمهم من يوم سابق لاتخاذ مكان له للمشاهدة ٠٠ تجري أمامهم في يوم العاشر في كربلا بين الجانبين الهاشمي والأموي من تبادل الخطب والكلمات نصا وروحا ٠ وتوسع عدد المشتركين في يوم ((الشبيه)) من كلا الجانبين بحيث شمل معظم أعلام المشتركين في يوم عاشوراء ٠٠ وكل يؤدي دوره أمام الجموع طبق الأصل كما جرى يوم الطف في كربلا ٠٠ إلى أن تنتهي المعركة بمقتل أفراد آل البيت: من أصحاب الحسين واحدا اثر واحد من قبل الجيش الأموي اثر معركة تتسابق فيه الخيول وسط الميدان أو الصحن حتى ينتهي بانفراد الحسين وإتمامه الحجه عليهم بخطبه وأقواله والنبال تنهال عليه من كل جانب ثم حرق خيام أهله أمام عينيه بعد قتل جميع أصحابه وبالتالي مصرع ٠ وآلاف المسلمين يشهدون هذا المشهد الرهيب في تأثير بالغ وتتابع ملحوظ ٠٠ ثم قيام قادة الجيش الأموي المنتصر بسوق سبايا النساء من آل البيت مشدودات بالحبال على ظهور الخيول منربات الوجوه يتقدمهم الإمام العليل ((علي بن الحسين 7)) الوحيد الباقي من رجال الحسين لشدة مرضه وعدم اشتراكه في القتال يومذاك ٠ ومنظره مكبلا على جواده مترب الرأس يتقدم الأسرى بعد انتهاء المعركة وخلفه أسرى آل البيت ثم الهوداج محملة بأمتعة الجيش الأموي إلى جانب غطرسة قادة الجيش معهم لمنظر مثير للأشجان ٠٠ ويستغرق عرض هذا المشهد التمثيلي عدة ساعات من ضحى العاشر إلى ما قبل الغروب ٠٠ والناس على اختلاف

وكانت الهيئات الرسمية في العراق وإيران والهند والباكستان تحضر هذه التعازي وتشهد ما يجري فيها ٠٠ كل عام ٠٠ وتتخذ كافة الاحتياطات الأمنية فيها حتى تنتهي هذه المراسيم بسلام ٠٠

وفي سنة ١٩٣٦ وعلى اثر حدوث اصطدامات دموية أصدرت وزارة السيد ياسين الهاشمي في العراق أمراً بمنع إقامة التشابيه ومواكب السلاسل والتطبير منعاً باتاً ٠٠ ومنع لعدة سنوات وان كان التطبير وضرب السلاسل كان يجري في ظروف محصورة ومقلصه ٠ إلا إن الجهات الرسمية عادت في سنة ١٩٤٧ فسمحت لمواكب التطبير بالظهور^(١)، وكذلك مواكب الضرب بالسلاسل ٠٠ وتوسع الأمر وشمل مواكب الشبيه حيث أخذت بالظهور من سنة ١٩٥٢ في العراق ٠٠ ومع توالى السنوات توسعت واخذ

(١) لقد ساهمت الحكومة في بعض السنوات يومها في تمويل مواكب التطبير بالأقمشة وأطوال الخام ومساعدة المشتركين في التطبير وفي بعض الأحيان كما حصل في كربلاء كان مدير الشرطة فيها السيد صالح حمام يشترك في عملية التطبير للأفراد وتوجيه مسيرتهم... الخ... ومثله في المدن الأخرى.

مجالس العزاء الحسيني

هذا وتواصل مجالس العزاء الحسيني خلال شهري محرم وصفر^(١) في مدن العتبات المقدسة وغيرها حيث تجذب هذه المجالس الى ساحتها كالمغناطيس شتات المسلمين إخواناً على سرر متقابلين تصفّ أجنتها حول منبر يرتقي عليه الخطيب فيفتتح الكلام بآي من الذكر الحكيم وتفسير علومها من أحاديث الرسول الكريم.. ثم يتلو ذلك بفصول من التاريخ الإسلامي أو

(١) وتقام مجالس العزاء الحسيني إضافة على شهري محرم وصفر في شهر رمضان وذلك في ليله وفي سائر أيام السنة على سبيل النية والنذر لحاجة من الحاجات قضاها الله فيقيم صاحبها مجلس عزاء ليوم واحد أو لثلاثة أيام أو لأسبوع أو عشرة أيام أو أكثر حسب ما نوى وتوزّع فيها الخيرات للفقراء والمساكين وكثير أما ترافق مجالس العزاء الحسيني إطعام أو خيرات للحاضرين إليها.

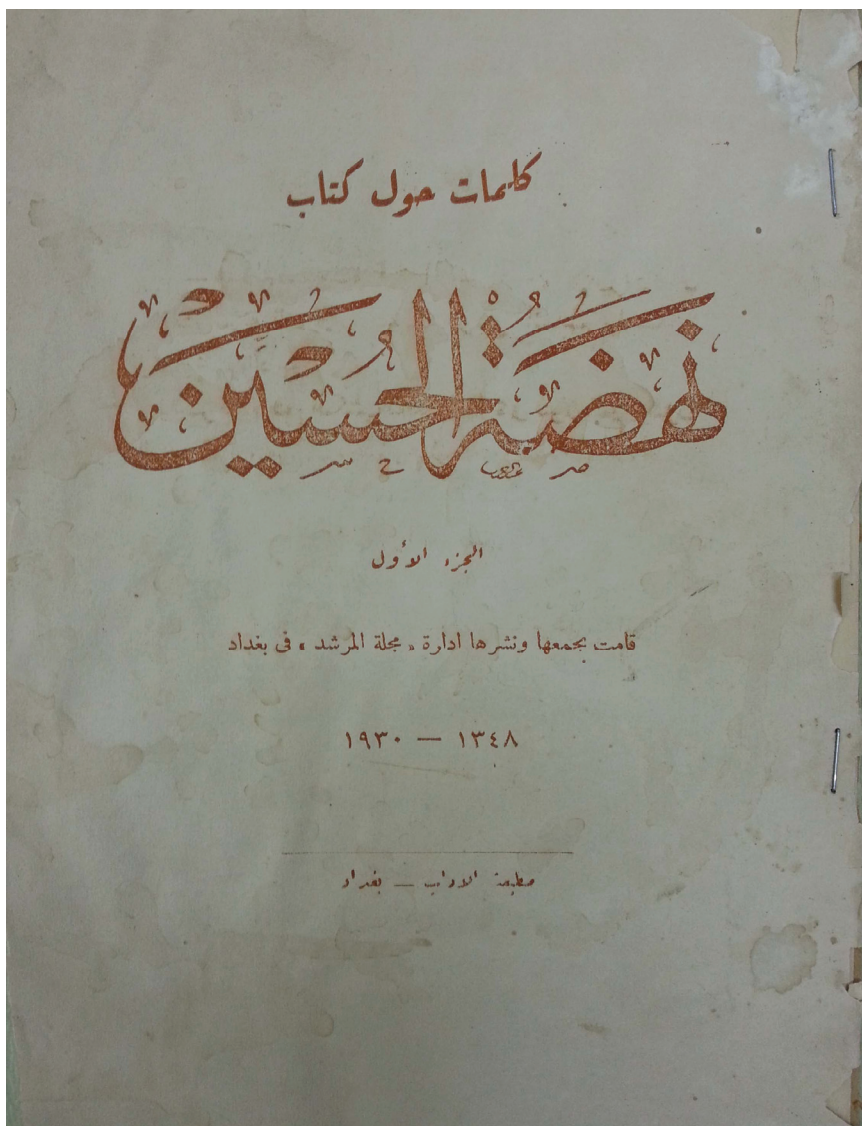
وهكذا ألحق بهذا العز وضمن تطوراتهِ طوال السنين كثير من الغرائب شأن كل قضية فازت بقوة النمو في منبت خصيب وتربة صالحة.. مما يحتم على أهل العلم أن ينظروا إلى تعديله أو إجراء إصلاح فيه.. خاصة ونحن أقرب الأمم إلى حادثة الطف مكاناً وشأناً.. وأوفر حرية من غيرنا وأقدر.. لذلك يلزم على أعلامنا أئمة الهدى وشيبينا وشبابنا رسم الخطة الصالحة لإقامة هذه الذكرى الكريمة خالية من الشوائب ومما يسيء أو يشين.. وأن نسير بها

(١) ومنهم من يتخذ عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور.. وإنّها لسنة أموية وقد اتبعها جهلاً بالحال.. وإلا فلا يظن بمسلم أن يفرح في يوم قتل فيه ابن بنت نبيه الذي لو كان حياً لكان هو المعزى به والباقي عليه...

والله المستعان ما نبغي ونريد.

الباب الثالث

الكلمات والتقاريض التي كُتِبَت حول نهضة الحسين



كلمات حول كتب (نهضة الحسين)

ننشر تحت هذا العنوان وبأرقام متسلسلة ما يتوارد من الكتب والتقارير والردود والنقود حول كتاب (مختصر نهضة الحسين 7) نظماً تترأ منتخبين منها ما يشمل على الحقائق الناصعة والإشارات النافعة ليطلع القريب والبعيد على الشعور الأدبي العربي ويستكشف من ذلك أنظار أدبائنا الأفاضل وحسياتهم الحسنى تجاه هذه الحادثة الإسلامية التاريخية والمركز الأدبي لهذا الكتاب الخطير .

صالح الشهرستاني

١ . لحضرة العلامة الأكبر والأستاذ المشتهر حجة الإسلام وركنه الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، إذ قال:

«كتاب نهضة الحسين 7، الأثر الجليل الذي مازلتُ أنوّه به وأحثّ عليه منذ أن رأيته قبل برهة، لا رعاية لحقوق الصداقة والإخوة، بل عناية بحقوق الحقّ والمروءة، فإنّه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر، لا من كتب العصر. ومن الجاريات مع الأبد، لا الساريات إلى أمد. ومثل هذه الكتب هي التي تُنضج الأفكار، وتُنشط العزائم، وتبعث في مطالعها روح الهمة للنفاني على الحقّ، والتهالك على الإباء وعزّة النفس، وليس هذا مقام بيان مزايا ذلك المؤلف الحافل بكل الفضائل. وارغب إلى الحقّ جل شأنه بأن يفسح للسيد اعزه الله في العمر وطول البقاء مع العافية والرفاهية حتى يتوفّر

٢ . لفضيلة العالم الهمام على الفقهاء الأعلام ثقة الإسلام الشيخ جعفر
النقدي (دامت إفاضاته) .

(هبة الدين) همام قد سما في سماء العلم أعلى الرتب
نصر الدين بفكر ثاقب ويراع فاق بيض القضب
قام حقاً بين أرباب الهدى لرحى العلم مقام القطب
جاء في أعلى كتاب ما رأت مثله قبل عيون الحقب
خير سفر حق للأسفار إن تبحثوا تعظيماً له في الركب
فخر أهل الدين قد جاء به أرخوه (هو فخر الكتب)
١١. ٨٨. ٤٥٣ = سنة ١٣٤٤هـ

٣ . لفخامة القائد الشهير احد أركان النهضة العربية وقوام الحركة الوطنية جعفر باشا العسكري رئيس الوزراء في الحكومة العراقية الجليلة اعز الله تعالى به الدين والوطن

لقد قرأت بعض فصول كتاب (نهضة الحسين) فرأيت على جانب عظيم من النفع والإصلاح شأنكم في الموضوعات الجليلة التي تخوضون غمارها ، وفي الحقيقة انه كتاب قيم لم ينسج احد على منواله ومفيد كل الإفادة للنشء الحديث الذي ينبغي أن نتقنهم ثقافة عربية إسلامية صحيحة ، والإمام الشهيد ولاغرو وزعيم هذه الثقافة المستندة إلى دعائم ثلاث . الأخلاق الفاضلة، والعروبة، والمصلحة الإسلامية العامة .

٤ . للفاضل الأوحد نادرة الأدباء و نابغة العلماء الشيخ محمد علي الاوردبادي الغروي النجفي (١٣٨٠هـ) .

روضة فيها مجاني الأدب أم ذكا قد بزغت من كذب
أم هي الصهباء بذت فلكا ودراية بطننا في الحب
(هبة الدين) وكم أطلعها أنجما فوق مناط الشهب
وكسى التاريخ من آرائه بحلى أثواب مجد قشب
وشاني العبوق إذ لم تعده فكرة تخرق كل الحجب

٥ . للفاضل الأديب والكاتب المجيد السيد محمد مهدي العلوي آل شيخ الإسلام السبزواري المحترم .

هبة الدين الشهرستاني هو ذلك العالم الفذ الذي عرفه أبناء الضاد وغيرهم بخدماته الإصلاحية ومآثره العلمية، وقد أرانا أخيراً كتابة الجليل وتصنيفه الذي لا يماثله مثيل (مختصر نهضة الحسين)، فرأيت أنه كتاباً جمع فأوعى ما لم يوعه غيره من المؤلفات المؤلفة في هذا الشأن، فقد ألف العلماء الأفاضل قبل هذا اليوم كتباً كثيرة في أخبار الإمام الحسين⁷ ومقتله غير أنها كانت ناقصة

وقد اجتمع في هذا الكتاب مباحث من الدين والعلم والفضائل والأخلاق والسياسة .

فالكتاب الذي يجد فيه العالم والأديب والكاتب والسياسي ضالته المنشودة حرى بأن يترجم إلى جميع اللغات .

وبينما كنت أطالع هذا الكتاب إذ عثرت على اشتباه فيه هو:

قال فضيلة المؤلف في ص ٢٨ ، ٢٩ من هذا الكتاب ما عبارته: (وقنع الحسين 7 منه . أي من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . بإرسال شبليّة الباسلين وقد كان ناصريه بالنفس والنفيس وكانت أمهما زينب الخ)

فأقول : إن ولدي عبد الله بن جعفر المقتولين بكرلاء هما : عون الأكبر المدفون على بعد فرسخين من كربلاء ومحمد .

أم عون فأمه زينب بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام . وأما محمد فأمه
الخصاء بنت حفصة بن ربيعة وينتهي نسبها إلى بكر بن وائل فالسيدة
زينب 3لم تكن أم الاتنين^(١) كما قاله العلامة المؤلف^(٢)

٦ . الخطيب الأديب الفاضل الشيخ علي الباز نزيل الكوفة

ذا (هبة الدين) وناموسه بالمجد والجد سما النيرين
(هيئته) جلت و(توحيد) حتم بلا شك وريب ومين
فهو (دليل) للهدى (مرشد) وللمعالي الغر إنسان عين
فمن مساعيه التي استوجب الـ شكر بها (نهضته للحسين)

(١) نُقلت هذه النبذة بنصها من مجلة المرشد ص ٢٧٣ من المجلد الثاني.

(٢) لما كانت زينب أم احدهما ومربية الثاني جاز القول بأنها أمها من باب التغليب.

والتغليب عادة للعرب مثل الشمسين والقمرين

٧ . للفاضل المشتهر والأديب الأكبر الشيخ محمد حسن الحيدر نائب لواء المنتفك في مجلس الأمة العراقي .:

(السيد هبة الدين الشهرستاني) هو العلامة الفذ المعروف بعلمه الطائر الصيت في سائر أنحاء المعمورة حتى قل أن يوجد له نظير في عصرنا الحاضر بمؤلفاته القيمة التي جادت بها رشحات قلمه السيال كالسحر الحلال خدمة للأمة الإسلامية خاصة والعربية عامة . . .

وحسب القارئ الكريم دليلاً ناصعاً على علمه الجم تأليفه الحديث (نهضة الحسين) فقد أودع فيه من الدين والأخلاق والتاريخ والسياسة ما لم يودع في غيره من الكتب الطافحة بأخبار الحسين (7) ووقعته التاريخية المعروفة .

ولا أغالي في معاليه إن قلت قد فاز من يده الطولى بالقدرح المعلى على كل مؤلف في كشفه أسرار نهضة الحسين سيد الأباة (7) فلم نر مثيله

قرأته حين لمستته بتشوق وتلهف فرأيتة وحيدا في بابة حسنا في أسلوبه فحرى برواد الأدب وطلاب العلم أن يقتنوه لمكتباتهم وان ينوهوا بفضله في منتدياتهم لأنه هو الكاتب الذي بتعاليمه يعلمنا روح النهضة الحقة ويرشدنا إلى عزة النفس من إباء وشمم وعز وهمم فمن الحق وأيم الحق أن يشكر عليه حين يذكر . وأتمنى من المولى جل وعلا أن يطيل بقاء فضيلة المؤلف لتنتفع الأمة بإرشاداته الدينية ومآثره العلمية قائلاً:

حي عني اليوم محي السنن مرشد الإسلام عن الوطن
 (هبة الدين) وما أدراك ما (هبة الدين) فريد الزمن
 نصر الدين ولولا نصره كاد أن يرجع دين الوثن
 كم حمى حوزته من فئة بذرت فيه بذور الفتن
 لا تخافوا اليوم فالدين علا رغم أناف العدى في مأمن
 كيف نخشى بزمان (هبة الـ دين) أضحى فيه محي السنن
 طالما عن حوضه زاد وكم دونه أرخص غالي الثمن
 طالما شمر عن ساعده غير هباب ولا ذو وهن
 ناهجاً نهج الهدى في قومه أبداً مهما رأى من محن
 ما وني في الذب عنه ساعة مذ نشأ في السر أو في العلن
 ها اروني مثله هاد لنا فيه جيش الغى عنا قد فنى
 كم على التاريخ والعلم له من يد طولى ومن فضل سنى
 لم يولع أبداً في عمره بسوى العلم ولم يفتتن
 كم له من كتب ألفها خدمة للدين أو للوطن
 كتباً يعجز عن إدراكها حيرة فكر اللبيب الفطن
 فانظروا تأليفه في نهضة الـ سبط المصطفى المؤتمن
 قد جلا بعد غموض سرها بوضوح وجلال بين
 كاشفاً فيه لنا علتها ببيان كان عنا مكن
 كلما سرحت في آياته نظر في آياته تسحرني

(هبة الدين) على رغم العدى عش عزيزاً ناعم البال هني
دم حمى للدين والإسلام ما غردت ورق بأعلى فنن
إنما فيك وفي أمثالك الـ يوم يغدو الدين سامي الركن

٨ . لمجلة العرفان من كبريات المجلات الشهيرة في عالمي العلم والأدب
قالت في الجزء الثامن من سنتها الثالثة عشره ص ٩٤٦ ما نصه : .

هذا الكتاب الجديد سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الإمام سيدنا الحسين بن علي (7). وهو تأليف السيد هبة الدين الشهرستاني المشهور في علمه وفضله. وقد علل تلك الفاجعة تعليلاً فلسفياً نافعا في بابهِ وقد طبع بمطبعة دار السلام في بغداد طبعاً جيداً على ورق فاخر وذلك سنة ١٣٤٥هـ فجاء في ١٦ صفحة بقطع العرفان ويطلب من إدارة العرفان في صيدا وثمنه ١٧ قرشاً ذهبياً او ليرة سورية .

٩ . للواعظ الأديب الشيخ سلمان الانباري : .

وسفر وما عيني رات مثله سفرا أحاط بأخبارين فاطمة خبرا
جلاه لنا الحبر الذي اعترفت له جميع البرايا انه أصبح الحبرا
محمد النذب العلي ومن علا على القطب والعيوق والمشتري قدرا
وقد زفه للذاكرين فقلت يا آلاه ابقه حتى المعاد له ذكرى

١٠ . لجريدة الكرخ البغدادية الزاهية في عددها ٢٤ لسنة الأولى قالت .:

(نهضة الحسين)

أهدنا حضرة الأستاذ السيد هبة الدين الشهرستاني مؤلفه الجديد (نهضة الحسين) فتصفحناه فوجدناه كتابا جديرا بالاعتناء والمطالعة فقد نهج به الأستاذ المذكور طريقا لم يسلكه احد من قبله فجاء الكتاب سجلا وافيا في تاريخ الحسين (7) وتفصيلا دقيقا عن فاجعة (كربلاء) وحوادثها مأخوذاً من أوثق المصادر وأصحها . والكاتب بحد ذاته مؤلف جليل إذ هو صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي سيما ومؤلفه جناب العلامة المؤمى إليه فنحت المولعين في التاريخ أن يقتنوا هذا الكتاب الفريد في بابه .

١١ . لنا بغة الهند وسليل العلم والمجد السيد احمد الرضا الهندي النجفي .:

كتاب تاريخ ولكنّه من خالص العلم حوى محضه
شفا سقيم العلم لما بدا وجس في تحقيقه نبضه
ياساهرا من اجل نشر الهدى ولم يذق من اجله غمضه
وناصبا للدين أعلامه ورافعا في جزمه حفظه
سما بك العرفان أوج السما وفيك أرخ "بانت النهضة"

١٢ - علامة مصر الأكبر وفيلسوف الإسلام المشتهر فضيلة الشيخ طنطاوي جوهرى صاحب المؤلفات القيمة وأستاذ العلوم الدينية والأدبية والأخلاقية قال دامت بركاته في كتاب له ما نصه : .

كتاب نهضة الحسين لعلامة العصر وفريد الدهر صاحب السماحة السيد هبة الدين الشهرستاني أدام الله فيضه عبرة لمعتبر وحكمة لمستبصر وآية كبرى ونعمة عظمت بعث من شقاوة الأمة سعادة ومن الموت حياتا ومن أعظم المنائم أجل المواهب ، كتاب تجلت فيه الروح الحسينية فرفرت على قلوب قارئيه من المصلحين . ولطالما قرأنا هذه القضية في الأخبار والسير وتصفحنا كثيرا من الرسائل والكتب ولكن ليس المدار على الروايات ونشرها ولا الأخبار وذكرها وإنما السير للعبير والمبتدأ للخبر . ولعمري لم تقع عيني على صفحة منه إلا وجدت في النفس إنكار للذات وشوقا إلى ورود حوض المنايا لرفع الأمة واحتقار الشأن والحياة بما في الكتاب من الأسلوب الذي يسحر الأبواب . هذا الكتاب اشتق من بؤس المسلمين بقتل أبى الرسول 7 يشوق الأحرار إلى التضحية وإحراز قصب السبق في سبيل الله وطلب المجد من أفضل المنايا يتسابقون إليها زرافات ووحدانا ولقد تبين من هذا الكتاب صدق ما قاله لي منذ سنة بالإسكندرية العلامة الفاضل العبيدي مفتي الموصل مانصه (إن الشيعة في نهضة العراق يدا تذكر فتشكر

طنطاوي جوهري

١٣- لسيد الأدباء وأشرف الخطباء السيد محمد آل شديد الحسيني الكاظمي:.

نهضة للحسين قد افتتها فكرة العيلم الهمام العلي
برهنت للأنام في حسن لفظ واتتهم بكل سر خفي
فلو إن الرضي طالع فيها لارتضاها بقوله المرتضي
من أحق الوري باظهار فضل لحسين بين الوري من علي
هاشمي قد قام في كشف سر للبرايا لناهض هاشمي

١٤- الشيخ كاظم آل نوح (خطيب الكاظمية والعالم الإسلامي)

في مقدمة كتاب دم الشهيد للشاعر طالب الحيدري ذكر الشيخ القضية
الحسينية متناولاً كتاب نهضة الحسين في ص ٦ قائلاً:

وقد كتب ما وقع في هذا الحادث من صنوف الرزايا كثير وكثير من
الكتّاب. وقد كتب المؤرخون عنها صوراً مختلفة: منهم من أطنب ومنهم من
أوجز من تاريخ وقوعها حتى اليوم. وفي هذا العصر قد ظهرت بثياب
جدة؛ نازعة عنها تلك الثياب البالية العتيقة. وكان أول ما ظهر بصورة
عجيبة: هو كتاب (نهضة الحسين) 7: للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني، ثم

١٥ - لمجلة (الكلية) السورية (وهي من كبريات صحف العلم ومجال أقلام أساتذة الفن بقلم الفاضل المشهور من تلامذتها المنتشرين) وهي لسان حال الجامعة الأمريكية في بيروت قالت في جزئها الأول من المجد الرابع عشر في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٧م ما نصه :

نهضة الحسين : كتاب اجتماعي أخلاقي تاريخي تأليف العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني وزير معارف العراق سابقا طبع في مطبعة دار السلام ببغداد ويقع في ١١٦ صفحة ورقه صقيل وحروفه جلية

إن أكثر الكتب التي كتبت عن مقتل الحسين ر.ض. لم تكن لتعتني بالوجهة التهذيبية النفسية لهذه الحادثة الجليلة بل كانت سلسلة روايات وأوصاف وضعت في قالب عتيق يمجّه ذوق الطالب العصري وينفر منه .

أما كتاب نهضة الحسين فقد جاء بأسلوب جديد يجذب الطالب المتجدد ويفيده علميا وخلقيا. ولا عجب فان العلامة الشهرستاني قد وقف على أفكار الشبان المتجددين من أبناء هذه البلاد فعرف أذواقهم وأدرك مواطن الضعف فيهم .وما أحوجنا اليوم إلى أناس يقتدون به فيظهرون محتويات كتبنا العتيقة في ثوب قشيب وأسلوب جديد وان عملا كهذا حسب ما نعتقد سيزيل كثيرا من سوء التفاهم الموجود بين طبقة الشبان المتجددين ورجال الدين ولا سبيل لتقدمنا اليوم إلا بالتفاهم المتبادل

إن الطريقة التي يتبعها علماء التربية اليوم في تهذيب أخلاق النشء وتقويمها هي طريقة للمثال الأعلى وذلك بان يقدموا للنشء سير الأبطال ورجال الفضيلة بصورة تجذب عواطفهم وتملك قلوبهم فيجعلون صور أولئك الأشخاص أبدا نصب أعينهم فيجتهدون في تقليدها والنسج على منوالها وها إن العلامة الشهرستاني قد نصب صورة الحسين ⁷ وشخصيته مثالا أعلى لشبان اليوم في إتباع الحق والجهد في سبيل المبدأ والسعي وراء نشر الفضيلة ومحاربة الظلم والاستبداد. كل ذلك بهمة لا تعرف الملل حتى ضحى النفس والنفيس في سبيل الحق والمبدأ.

لنترك البحث في منزلة الكتاب التاريخية فإنها لا تعد شيئا أمام قيمته التهذيبية الاجتماعية إذ ما أحوجنا اليوم إلى شبان يتعلمون درس إنكار الذات وتضحية النفس في سبيل الحق والفضيلة من الحسين ⁷

إذن فكتاب نهضة الحسين كتاب تهذيبي أخلاقي قبل كل شيء وهو لا يخص أبناء الطائفة الشيعية فقط بل شبان العالم على اختلاف مللهم ونحلهم .
 ماهو بكتاب طائفي بل هو هو كتاب تهذيبي عام حري بالناطقين بالضاد أن يقرأوه ويضعوا شخصية الحسين 7 كما يصورها هذا الكتاب نصب أعينهم
 فانه مثال الإيمان والثبات والتضحية

(محمد فاضل الجمالي)

١٦ - للفاضل الأديب الشيخ عبد الكريم الدجيلي:..

رشحك الله لدين الهدى ففقت فيه ناهضاً باليراع
 وأنت سر لحياة الورى لذا سنا نورك في الكون ذاع
 إن جردت للضرب بيض الضبا فسيبك المزير عند القراع
 علامة العصر همام به قد غبطت بغداد كل البقاع
 وشمس أفق العلم أضحى لذا قد طبق العالم منها شاع
 أقمت دين الله في (نهضة) قد طار قلب البغى منها شاع
 قد وردتنا فوجدنا بها فلسفة طورا وعلم اجتماع

١٧ . جريدة (حضر موت) الشهيرة في العالم العربي الجديد مما وراء البحار
(جاوه) والتي تسمى أميرة الصحف في عروبته اليمانية وفصاحتها
القحطانية . قالت في عددها ١٢٣ لسننها الرابعة ما نصه : .

مختصر نهضة الحسين

السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني رجل العلم والدين وبطل الإصلاح
والنهوض ، وهو بشهرته الذائعة وسمعته الطائرة وصفته المنتشرة غير مفتقر
إلى النعت وفي غنى عن التعريف :

أخرج للناس حديثاً قيماً ومصنفاً نفسياً وسمه بـ (مختصر نهضة الحسين)
وأفرغه في قالب بديع صاغه خصيصاً وقدره لتخليد ذكرى هذه النهضة
التاريخية الفريدة التي هي نواة ماتلتها من النهضات التي تكافح الاستبداد
والأثرة وتصارع البغي والطغيان ، وتطعن برمح العدل والإيمان وقد أتى
فضيلة المؤلف في هذا السفر الثمين على سلسلة الحوادث التاريخية حول
فاجعة الإمام سيدنا الحسين السبط بن علي عليهما السلام المأخوذة من
أوثق المصادر ، ناهجاً منهجاً فريداً في تحليل الحوادث وسرد المقدمات
وترتيب الوقائع وتحليل الأسباب بأسلوب فلسفي تحفه هالة ذلك الإشراق
الإنشائي ، ويترشح منه ندى تلك الطلاوة التحبيرية التي تأبى أن تفارق
منشئات هذا النحرير الجامع ومدبجات هذا الجهد الحجة .

وقد معنا النظر وسرحنا الطرف في مطالعة هذا الكتاب الثمين الذي يدخر
كميرات كريم للأعقاب ، ويقتنى كعلق نفيس لا تبور دراريه ولا تكد جواهره،
إني تطاولت العهود وتمادت الأحقاب ، وكان الفكر والخيال يرفرفان
ويتغلغلان في فضاء استعراض تلك الأدوار العصبية وفي المرور بحوادث
تلك الذكريات المؤلمة التي طغى فيها تيار الباطل على معادل الحق وظهر
فيها عتو الملك العضوض وبطر العصبية المهلكة على تقديس المبادئ
المحمدية والوقوف مع التأسيسات الاحمدية وكيف كانت سيوف الظلم
والبغي تعمل اخاديداً في أديم هذه البسيطة بما تسفكه وتجريه من سيول
الدماء الزكية التي أهدرت من فروع دوحة النبوة وعثرة الرسالة واهريقت من
ضحايا قراء الكتاب والسنة وسالت من قرأين ثقل النجاة والعصمة ، الذين
سجلو شهادة الاستماتة في الاعتصام بالكتاب والسنة وفي الاستمسك
بالواجب والفضيلة بما رقه الهندي وأساله على ظباته من مهجهم العزيزة ثم
كيف حاف الخذلان بالذين قال القائل ملمحا بخيانتهم (السيوف عليك
والقلوب معك) وكيف كانت الصورام المتحزبه للملكية والعصبية أمضى
واصدق القلوب المنطوية على الإيمان بالرسالة الاحمدية والأفئدة المضمرة
الود للعترة النبوية . وهيئات جدوى تمنيات أفئدة متذبذبة في الود ، مترددة
في الصدق مع تألب قواضب قواض على العدل واجلاب خيل ورجل لارواء
غلة الانتقام وإشباع تهمة الجهل ، وهكذا كان الفكر والخيال يتعرضان كل

طبع هذا السفر الذكري المجيد طبعاً جيداً على ورق عال بمطبعة دار السلام (بغداد) ويقع في نحو (١٢٠) صفحة ويطلب من مؤلفه ومن مجلة المرشد ومن إدارة (حزرموت) فنحث الأدباء وطلاب العلم وعشاق البحث على اقتنائه

١٨ - للفاضل الأديب عبد المهدي الأعرجي النجفي قائلاً .:

لله حبر لم يزل فاتحاً لكل سر للهدى غامض
وناهضاً من علم آل الهدى لكل عباً للفتى باهض
فكم له من معجز باهر أشرق مثل الكوكب الوامض
انشأ لأبن المصطفى (نهضة) أكرم به من سيد ناهض

١٩. لجريدة العراق البغدادية الفائقة على أخواتها في حسن الصيت والقيام
بوجائب الصحافة . قالت في عددها ٢٣٦٨ ما نصه : .

وضع حضرة العلامة خادم العلم والدين هبة الدين الحسيني كتابا في نهضة
الحسين رضي الله عنه . وقد جاء هذا الكتاب بسلسلة حوادث تاريخية حول
فاجعة الإمام الحسين بن علي 8 مأخوذ من أوثق المصادر وبطرز بديع
جديد فيه تحليل وتعليل للوقائع التاريخية ولا عجب فقد وضعه عالم كبير له
الوقوف التام على تاريخ العرب عموما والإسلام خصوصا فجاء الكتاب
نتيجة لعلم غزير وبحث دقيق واطلاع واسع وخبرة تامة مما يتعشق إليه غواة
العلم والتاريخ . فندعوا القراء لمطالعة والاستفادة منه والكتاب يقع في ١١٦
صفحة ومطبوع على ورق صقيل ويباع في كل مكاتب العراق

٢٠- للفاضل الكامل السيد خضر القزويني النجفي:.

[هبة الدين] همام نهضت شرعة المختار في [نهضته]
فيلسوف فاق أعلام الورى فهي لم تلحقه في خطته
إن بدت في عصره فلسفة غير بدع فهي من سنته
نصر الدين وما من ناصر مثله للدين في نصرته

٢١- لجريدة ندا الشعب البغدادية المحتجة قالت في عددها ٤٢٥ ما نصه

مختصر نهضة الحسين

أهدى إلينا معالي العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني مؤلفاً حديثاً باسم [مختصر نهضة الحسين] تتضمن سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الحسين (7) بطرز جديد . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في ١١٦ صفحة فنقدر جهود الأستاذ المؤلف في هذا الباب ونحث المولعين بالمطالعة على اقتنائه -

٢٢- للأديب الكامل الشيخ هادي القارئ .:

كم كنا نتمنى أن يهئ الله لهذه البلاد عالماً مصلحاً يوفق بين القديم والحديث ويطبق العلوم على أساس الدين ويمشي وبالدين مع حاجات العصر ومقتضيات الأمة ، وكم دعونا الله بأن يبعث لهذه البلاد من يأخذ بيدها من جمود التقليد ، وانحطاط المدارك فيسموا بها إلى حيث العلم النافع والمبادي الدينية الصحيحة وكم سألنا الله أن يرسل إلينا من يسبر غور حوادث التاريخ الإسلامي الكبرى فيمحصها ثم يخرجها للناس حقائق ملموسة لا شبهه فيها ولا غبار عليها ، وقد أعطانا ما سألناه ، وهو سماحة العلامة السيد هبة الدين الحسيني وزير المعارف الأسبق ورئيس مجلس التمييز الشرعي الحالي ومؤلف كتاب (مختصر نهضة الحسين) 7 وغيره

وإذا قلنا (مختصر نهضة الحسين) فإنما هو سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الإمام الحسين بن علي⁷ وقد اخذ الأستاذ العلامة هذه الحوادث (من أوثق المصادر) وجاء بها إلى القراء في (طرز أخلاقي جديد) لم يعرف القراء من غير الأستاذ فهو (يحلل ويعلل الوقائع على أسلوب فلسفي فريد في بابه) وعدا إن هذا المختصر في (سبك وجيز) جيد الورق ، متقن الطبع،

٢٤ - اللواعظ الشهير والمحقق الكبير مولانا السيد حسن الإسترابادي الحائري دام علاه.

يامنادي الهدى عليك حقيق أن تنادي الورى وأنت وثيق
(هبة الدين) للأعادي شرار اجتهاداته عليهم حريق
كلما رتب الغزاة جيوشاً فعلى رأسه اللواء خفيق
وإذا اظهر الأكابر شاناً فله العز والفخار يليق
فلرمح البنان منه بيان ولسيف اللسان منه بريق
زورق العلم في بحار هداه فيه يطلب النجاة غريق
في التصانيف والتأليف فرد لفظه جوهر ودر أنيق
فله (نهضة الحسين) كتاب جامع للعلوم وهو دقيق
وعباراته ينابيع علم ولسر النكات بحر عميق
حبذا من بلاغة فيه تتلى وزلال الألفاظ فيه رقيق

٢٥. لصفوة الأدباء الأفاضل السيد محمد صادق آل شرف الدين الكاظمي

(كتاب نهضة الحسين)

ليس اليوم في الشرق والغرب من يجهل مقام الحسين 7 ومواقفه المشهودة ، ولا من ينكر ماله من أيادي بيضاء قد أسداها على الأمة الإسلامية وعلى الدين الإسلامي الحنيف

إن الحسين 7 لما رأى اضمحلال الدين ، وظهور الفتن والبدع من أيدي أناس يستعملون أنواع الحيل في البرهة تلو الأخرى لهدم أركان الدين المقدس وخراب أسسه القويمة ، ساءه أن يقف إزاء هذه المشاهد المحزنة موقف المتفرج ، وعلم انه إن لم يتدارك دين جده من أيدي المستبدين به ، والظاهرين بمظهر النائبين عن الصادع به لالتبس الأمر على بسطاء الأمة ولاختلط عليهم الحابل بالنابل فتتدهور حينئذ الأمة الإسلامية ويصبح الإسلام أثراً من الآثار وخبراً من الأخبار يؤرخه لنا المؤرخون كما يؤرخون الأمم السالفة التي هي اليوم لا عين لها ولا اثر

لذلك نرى الحسين 7 قد نهض تلك النهضة المباركة التي قد سطرها له التاريخ بقلم من نور لكي يكشف النقاب عن نوايا القوم ، وعن مكنونات أسرارهم المحجوبة بالتمويه ، فنهض وهو مقدم نفسه العزيرة ونفس أهليه وولده وصحبه ضحايا في سبيل الدين وإحياء شريعة جده سيد المرسلين ، شأن الرجال العظام الذين يقدمون كل مآلديهم من رخيص وغال في سبيل المصلحة العامة . فحري إذا بالكتاب وذوي الأقلام إن تكون نهضة هذا الشخص العظيم هي الشغل الشاغل لهم ، وعلماء الإسلام وإن بذلوا غاية جهدهم والفوا المؤلفات المفصلة والمجملات وقعة الطف ، تلك الوقعة التي لم يرشدنا التاريخ حتى الآن إلى مثلها لكن لا يوجد من بين ما الفوا كتاب يلاءم روح العصر الحاضر ولطالما كنت أود وجود كتاب في هذا الموضوع يبين أسرار تلك النهضة ويحللها تحليلاً تاريخياً فلسفياً حتى حظيت ذات يوم بما طلبت وذلك ببروز (كتاب نهضة الحسين) إلى عالم الطبع ، ذلك الكتاب الذي دبحه يراع المصلح الشهير والكاتب الكبير سماعة الأستاذ العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني أطال الله بقاءه الشريف . ولقد دعاني . حب الاستطلاع والاستفادة وأهمية الموضوع وشهرة المؤلف الطائر الصيت - أن أطلع كتابه النفيس بكل شوق وكل همة ونشاط فألفيته جم الفوائد فصيح اللفظ بليغ المعنى حسن الأسلوب ، ذلك الأسلوب الجذاب الذي يأخذ بمجامع قلب القارئ ، وهنا صفة للمؤلف قد كنت أحس بها تتجلي في خلال عبارات كتابه الشائقة إلا وهي تأثير كتابته على الشعور .

وحقا أقول انه لو لم يكن للمؤلف اثر غير هذا الأثر الجليل لكفى دليلا على حسن أسلوبه الإنشائي وغازة ينبوعه ومادته . كيف وله من المصنفات الفريدة والمؤلفات العديدة في مختلف الفنون ماسوف تكون أثرا خالداً للناطقين بالضاد.

فحري بخطباء المنابر وطلاب العلم ورواد الإصلاح أن يقتنوا هذا الكتاب الفريد ، وجزير بالنشء العربي الكريم أبناء اليوم ورجال الغد أن يعملوا بما في هذا الكتاب من أقوال الحسين7 وفعاله التي تلقنهم دروس التضحية وتعرفهم كيف تستهان النفوس العزيزة في سبيل الغايات الشريفة كي يعيدوا حضارتهم الغابرة ويستردوا مجدهم السالف .

٢٦. لجريدة النجف المحتجة . قالت في الملحق الخامس للعدد ٧٩

سنتها الثانية بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣٤٦ ما نصه .:

للسيد معالي هبة الدين الحسيني يد طولى في عالم التأليف والتصنيف فقد وقف هذا العلامة حياته الثمينة على خدمة المسلمين والأخذ بناصر الدين

٢٧- لنا بعة العراق وشيخ أدائها على الإطلاق الشيخ محمد جواد الشبيبي قال دام علاه :-

إن نهضتكم الشريفة - نهضة الحسين - مما تقيم مراسيم التذكار فيبتاع الموالي بسوقها الرائجة منزل الكرامة وثمان تلك العين المخلدة ماتت شره العين من لؤلؤ الدمع ومرجانه فيالها من أوراق تتوح بحديثها وهو ذو الشجون ورقاء الحزن فتذكرنا الواقعة التي برح الإسلام قديمها وهون عظام رزايا الحقب عظيمها فدامت باقية الآثار كتبك القيمة مؤثرة في النفوس حكمك البالغة

٢٨- للفاضل الأديب الشيخ موسى بن الفقيه الأكبر الشيخ جعفر الحائري قدس سره:.

مرشد الحق إلى الرشد دعا فاهتدى من لنداه استمعاً
قائلاً سيروا بمنهاج الهدى واطلبوا سبل المعالي اجمعاً
كم له نهضة عز دونها أنجم الخضراء تعنوا خضعا
(نهضة) تقعد من اقرانه كل من للعز يمشى مسرعاً
أحييت السنة ما بين الورى وأماتت في هداها البدعا
(هبة الدين) بدت أسرارها شبحاً في الجو تزهو طلعا
شب في حجر المعالي يافعا ولكم منها لباناً رضعا
لم يزل يبذل أقصى جهده للهدى حقاً ويبدى الورعا

٢٩- لجريدة الاستقلال البغدادية الخادمة لمبدأ استقلالنا السياسي

والأدبي قالت في عددها ١٤٤٣هـ مانصه : -

لابد من الاعتراف بان معالي الشهرستاني قد سد فراغا كبيرا في عالم
التأليف بكتابه (نهضة الحسين) لان هذا الكتاب مع صغر حجمه قد حوى
الأسس الصحيحة لقضية الطف ووفر على الخطباء عناء البحث ومراء
التمييز بين صحيح الروايات من سقيمها

ويسرنا القول بأن جماعة من الخطباء والأدباء في الكاظمية قد احتذوا حذوه وقرروا متابعة هذا المنهج الإصلاحى وفي مقدمتهم الأستاذ الشيخ كاظم آل نوح والسيد محمد آل شديد والسيد سعيد وغيرهم وأملنا وطيد في أن يقتدي بهم أمثالهم من خطباء الجهات الأخرى .

٣٠- للأديب المذهب الشيخ احمد الحائري .:

أيا من تجلت منه أدنى بلاغة فخرت له الأقلام في الطرس سجدا
تنقلت في أوج المعالي منازل فأبدت آثار الفضائل والهدى
لقد جئت هذا العصر للناس رحمة وما اخترت إلا ذروة المجد مرصدا
وأحييت من ارض العراق علومه بهمتك العلياء مذ صرت مقتدى
عهدت بني الدنيا كثير عداها وأنت بذاك العد أصبحت مفردا
فديتك كم من (نهضة) لك بالهدى تداني بأفق المجد نسرا وفرقدا
هدى الله فيك الناس ياخير مرشد إلى الرشd أرباب المكارم ارشدا
ولا زال شمل المجد فيك مجمعا ولا زال ركن الدين فيك مشيدا

٣١- لمجلة الهدى الإسلامية الحاملة لراية الدين في العمارة قالت في الجزء الرابع المجلد الأول مانصه : -

نهضة الحسين كتاب جمع بين دفتيه ما لوزن بالأكسير لرجح عليه وايم والله إنني نظرت إليه إلا ووجدته يأخذ بمجامع قلبي فلا يدعني انظر إلى ما سواه فكأنه بما أودع فيه من رقة الكلام وجزالة المعنى وفخامة الموضوع واستواء القصد سحر يميل بالقلب إلى حيث يشاء .

٣٢. تقرير مجلة المرشد ج ١ مج ٢ ص ١٩٥ تحت عنوان نهضة الحسين جاء فيه:-

أنفس كتاب تأريخي تحليلي بيّن فيه أسرار النهضة الحسينية وأسبابها والنتائج السياسية والاجتماعية المتقدمة أو المترتبة عليها والانقلاب الفكري الذي أعقبها والغايات التي كان يطمح لها الإمام الحسين بن علي 7 بترتيب أنيق عصري يجد القارئ فيه نفسية ذلك البطل الإسلامي متمثلة بالإباء والحزم وبعد المرمى، ويقف الباحث منه على روابط المسلمين وكثير من عاداتهم وآدابهم في ذلك العصر، وهذا الكتاب من حسنات فيلسوف الإسلام الأستاذ السيد هبة الدين الشهرستاني دامت فيوضاته الذي لم يزل ولا يزل متوهجاً لكشف حقائق دين الإسلام وإظهارها بأحسن صورة وأجلى مثال

٣٣- كلمة (معالي محمد فتحي زغلول باشا)^(١) وزير المعارف المصرية وهو شقيق (سعد زغلول) في محرم سنة ١٣٤٦ هـ الموافق تموز ١٩٢٧ م، عندما حضر مأتم الحسين 7 في تكية الايرانيين بالقاهرة وكان الخطيب يومها رشيد المرتضى من الخطباء اللبنانيين وهو من أهالي جبل عامل، وبعد الانتهاء من خطبته ونزل من المنبر استدعاه الوزير قائلاً له:-

(إنني منذ خمسين سنة لا احضر في مثل هذه المآتم إلا مجاملة للطوائف التي تقيمها، إذا إنني كنت معتقداً إن مثل هذه المآتم غير مشروعة كما وكنت ألوم في نفسي خروج الإمام الحسين 7 بعياله ورجاله إلى طف كربلاء مع قلة من معه ضد دولة قائمة لها يومها شأنها، وبعد اطلاعي على كتاب (نهضة الحسين) وما سمعت منك ما ألقيته هذه الليلة أقتنعت بان الحسين 7 إنما قام بواجبه الديني والسياسي معاً في الوقت الذي تهاون غيره منها وان وجود مثل هذه المآتم في اعتقادي الآن ضرورية لأنها تنفخ في الناس روح الإباء وتغرس في أدمغتهم وقوة الإرادة في الحق وتدفعهم بأيمان للدفاع عنه)

(١) هذه المحاورة موجودة ضمن أرشيف المرحوم السيد جواد نجل السيد هبة الدين ،وقد رواها الخطيب بنفسه للسيد هبة الدين سنة ١٩٢٨ م ودونها السيد جواد يومها

٣٤- فضيلة مفتي الموصل الشيخ حبيب العبيدي:-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان كانت فاجعة كربلاء فذة في تاريخ البشر . كما كان مُمَثِّلُهَا أَفْذَاذُ . والبطولة كما تكون في الفضائل تكون في الرذائل .

لندع أبطال الرذيلة سُبَّة الدهر ولعنة الأجيال والخزي الخالد في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد لرب العالمين .

وإنما على المسلمين عامة . والعرب خاصة أن لا يغفلوا ذكرى أبطال الفضيلة في تلك الفاجعة الكبرى يتخذون منهم قدوة صالحة ومثلاً أعلى . وبمثل هذا الاقتداء تسر أرواح أولئك الشهداء .

رأس الحسين بن علي 8فيما شرع الله في كتابه العزيز . وعلى لسان نبيه الكريم سنة الدفاع عن الحق المهضوم والصالح العام وما سميهِ مشرعو العصور الحديثة ومقاومة الظلم فلم يسعه وهو الطائع لربه والسائر على قدم جده غير الامتثال لأمرها والسير على شريعتها ولكن رأى أمامه عاراً لا يُغسلُ إلا بدمه وصرحاً لا يُقوضُ إلا بخيط رقيقة وأمه مغلوبة على أمرها لا يفك قيدها إلا بأسر أسرته والنيل من كرامته فوطن النفس على هذه التضحية

وأي انقراض كان: انه ليس المعقول عادة أن يكون قد انقرض نسله أمية مثلما دالت دولتهم لكننا نكاد نجد على وجه البسيطة اليوم من يدعوا نفسه أمويا يتوارى من الراى الإسلامي العام كما إننا نرى بعض قبور الدولة المنقرضة مراجع في دمشق وغربي دجلة قرب مدينة الموصل هذا من حيث نجد سلالة الحسين تربو على ألوف الألوف يتمنعون من العالم الإسلامي بعطف واحترام ونرى قبره في كربلاء كعبة القصاد يؤمه المسلمين من أنحاء

(١) يشير إلى حديث هلاك أمتي على يد اغيلمة من قريش: وقد اولوه فيمن انتهت بعهدهم دولة الخلفاء الراشدين وجعلوا الخلافة ملكاً عضوضاً كما في حديث آخر: وهم الذين نهض عليهم الحسين (7).

(٢) ذكر هذا إمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) وانه المراد بالفتنة حدث في أيام بني أمية

وبعد فقد ضرب الحسين المثل الأعلى لقوة الإيمان والشمم العربي وللتضحية في سبيلهما وإنما تسر روحه الكبيرة الطاهر بالسير على سيرته لا بمظاهر أخرى وما ذل العرب ثم ذل بذلهم الإسلام^(١) حتى صاروا نهياً قسماً لطواغيت الجور والاستبداد ولعفاريت الاستعمار والاستعباد إلا بعد ما فقدوا أمثال هاتيك الحلال فهل لإنبياء القران والضاد أن يستيقظوا لهذا السر الظاهر الخفي لعل الله ينشر الأموات من طي الأكفان.

فسلام الله عليك أبن رسول الله وقرت بك عين العروبة والإسلام ثم سلام على علي ولدك البار كاشف أسرار نهضتك وجزاه الله عنك وعن أمة جدك خير الجزاء

^(١) يشير إلى الحديث الشريف إذا ذل العرب ذل الإسلام

حبيب العبيدي مفتي الموصل

بغداد الأربعاء ١٠ رجب ١٣٥٦ هـ ١٥ أيلول ١٩٣٧ م

٣٥- ممثل وزارة المعارف والثقافة الايرانيه إلى مترجم نهضة الحسين إلى
عظمت حسين

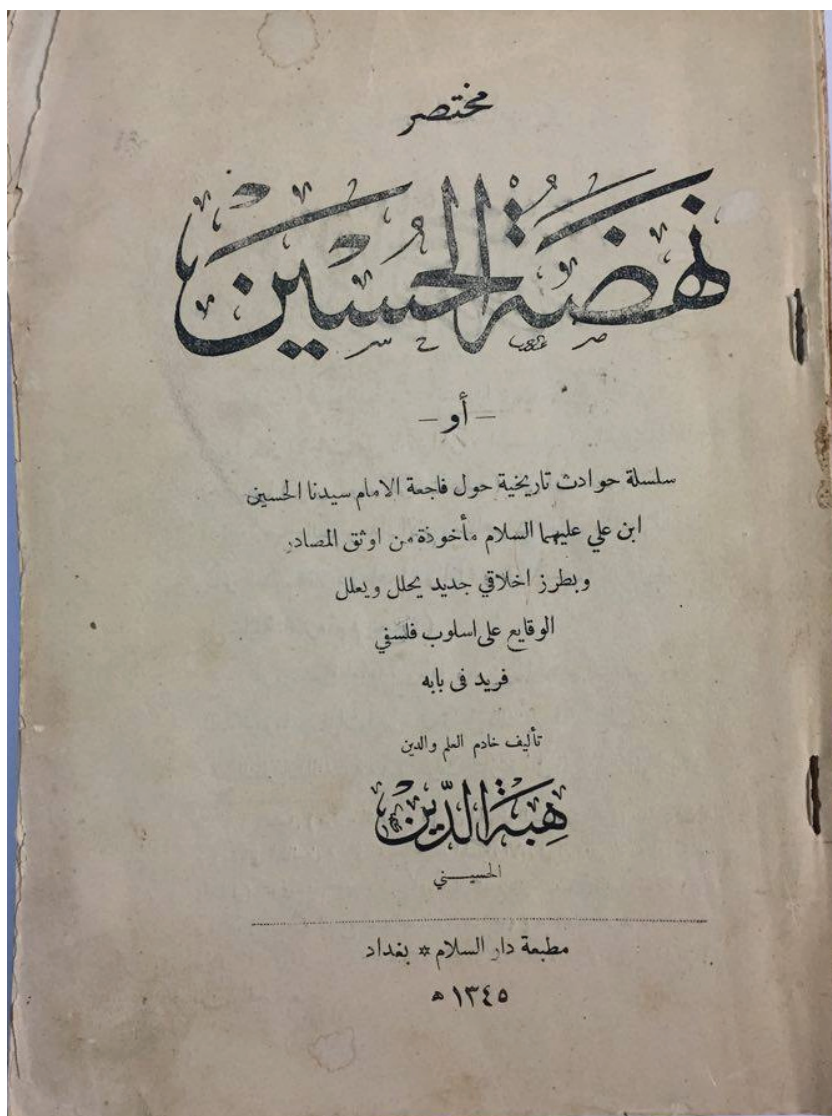
لا يزال الأدباء والكتاب يكتبون عن عظمت حسين ترجمه كتاب نهضة الحسين عليه السلام وفي تاريخ ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٩ وردتنا بغداد رسالة حضرة آية الله مولانا هبة الدين الشهرستاني محتواها إن رئاسة المعارف ومفتشيه وزارة المعارف الايرانيه في بغداد الأستاذ السيد صادق نشأت مفتش ومسؤول جميع المدارس الايرانيه في بين النهرين وهو من الفضلاء والعلماء كتب لهذا والعلماء كتب لهذا المخلص عن نظرياته الدقيقة والتمينة لكتاب نهضة الحسين وترجمته المتقنة (عظمة حسين)

كتاب نهضة الحسين الذي يحكى بلغة القران وصل إلينا والسيد على رضا خسرواني قاجار ترجمه بلسان (سعدي حافظ) في الحقيق السيد خسرواني قيامه بترجمة كتاب نهضة الحسين خدم مواطني الشعب الإيراني والذين كانوا عطشى لمعلوماته وشكروا الله على سهولة تحصيل نسخه من كتاب

المخلص / صادق نشأت

الباب الرابع

طبقات نهضة الحسين



غلاف الطبعة الأولى (مختصر نهضة الحسين)

١٩٤٥ هـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد الحمد والصلاة: فقد حدا بيّ إلى تأليف كتابي هذا غفلة الجمهور عن تاريخ الحركة الحسينية وأسرارها ومزايا آثارها . وهي النواة لحركات عالمية . حتى أنّ بعض الأغيار إذ وجد هياج العالم، وحداد الأمم، ومظاهرات العرب والعجم اندفع قائلاً: «ما هذا؟، ولماذا؟، وهل الحسين إلا رجل خرج على خليفة عصره ثم لم ينجح؟».

نعم! سنعرّفه ما هذا؟ ولماذا؟ ومن الحسين الناهض؟، ومن المعارض؟، وماهي غايات الفريقين؟ كل ذلك بهذا الكتاب الذي جمع المحاكمات التاريخية إلى النظرات الاجتماعية والمرويات الموثقة من كتب التواريخ المؤلفة قبل الاربعمئة الهجرية مثل:

(مروج الذهب) لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ.

و(مقاتل الطالبين) لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي المرواني الأصفهاني مؤلف (الأغاني) المتوفى سنة ٣٣٦ هـ.

و(تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

و(الإرشاد) للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ.

و (العقد الفريد) لأبن عبد ربه المغربي المتوفى قبل سنة ٣٢٨ هـ.

و(الإمامة والسياسة) لعبد الله بن مسلم الدينوري المعروف بأبن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ. وكتابه الآخر (المعارف).

و (الأخبار الطوال) لأحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ.

و (الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ.

وذلك بأسلوب وجيز، مؤملاً من المتأملين فيه، ومن قراء مآثم سيدنا الحسين

أن يتقبلوه منّي بقبول حسن.

بغداد في ٢٤ رمضان ١٣٤٣ هـ

هبة الدين الحسيني

نهضة الحسين

- أو -

سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام سيدنا الحسين
ابن علي عليهما السلام مأخوذة من أوثق المصادر
وبطرز اجتماعي جديد يحلل ويعمل
الوقائع على اسلوب فلسفي
فريد في بابه

تأليف خادم العلم والدين

هبة الدين

الحسيني

الطبعة الثانية باضافات وتنقيح

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة الجزيرة * بغداد

١٩٣٧ - ١٣٥٥ هـ

غلاف الطبعة الثانية

١٩٣٧ هـ . ١٣٥٥ م

مقدمة الطبعة الثانية

كان الناس بحاجة ماسة في قضية الطف إلى أصل تاريخي يرجعون إليه ليقفوا على أسبابها الأصلية والفرعية فطلع عليهم هذا الكتاب الجليل حوالي سنة ١٣٤٤ وما كاد ينتشر خبر طلوعه إلا وقد تهافت الناس عليه لاعتماده على أوثق المصادر واصدق الآراء واصح الروايات واقل عليه رواد الحقائق ووُرّدها يرتشفون من منهله الصافي إذ وجدوا فيه الضالة المنشودة فقرظته الأدباء ونوّهت به الخطباء وترجمته الكتاب .

اجل لقد فتح هذا الكتاب على الكتاب والخطباء والزعماء أبواباً خارج الحساب لما احتوى عليه من نظريات اجتماعية ومحاكمات تاريخية ومرويات لا يقبلها الشك أو القبح وإفشائه إسراراً من بطون التاريخ خفيت على أهل النظر زهاء ثلاثة عشر قرناً فصار من بعده المؤرخ يمشي على ضوء العلم والناقل يعتمد في تصحيح روايته على هذا الكتاب ، كل ذلك مضافاً ثقة العالم الإسلامي بمؤلفه العلامة الحجة الذي أسدى إلى العالم والدين خدمات عظيمة يذكرها له التاريخ جيلاً بعد جيل وإن أهل العلم والفن واثقون كل الوثوق بحصره المدارك لأرائه ومروياته من أوثق المصادر ومن كتب مؤلفة قبل الأربعمئة الهجرية حتى انه قال في بعض مؤلفاته : (التاريخ المدون بعد الأربعمئة ضعيف الحكاية لصيرورة أقلامه بيد غير أعلامه وسوء تدخل الأمراء في استخدامه حتى انقسم الناس في مذاهب

ولقد اهتم بهذا الكتاب الجليل الخطباء والمحدثون اهتمام عظيمًا هذا يستظهره حفظا (وذاك يقرؤه على الجمهور نصاً وقد قال فيه معالي محمد زغلول باشا: في محرم سنة ١٩٢٧ عندما حضر مأتم الحسين عليه السلام في تكية الايرانين بالقاهرة) إنني منذ خمسين سنة لا احضر في مثل هذه المآتم غير إلا مجاملة للطوائف إذا إنني كنت معتقداً إن مثل هذه المآتم غير مشروعة كما كنت ألوم في نفسي خروج الإمام الحسين⁷ بعياله إلى طف كربلاء وبعد اطلاعي على كتاب (نهضة الحسين) أصبحت اعتقد بان الحسين⁷ إنما قام بواجبه الديني والسياسي معاً وان وجود مثل هذه المآتم ينفخ في الناس روح الإباء ويورثها قوة الإرادة في الحق).

وكتب سماحة العلامة حجة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ما نصه :

كتاب (نهضة الحسين) الأثر الجليل الذي مازلت انوه به وأحث عليه منذ رأيته قبل برهة لا رعاية لحقوق الصداقة والإخوة بل عناية الحق والمروة . فانه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر لا من كتب العصر ومن الجاريات مع الأبد لا الساريات إلى أمد ومثل هذه الكتب القيمة هي التي

وكتب فيلسوف مصر الشهير فضيلة العلامة الشيخ طنطاوي جوهرى ما
نصه :

كتاب (نهضة الحسين) لعلامة العصر وفريد الدهر صاحب السماحة السيد
هبة الدين الشهرستاني أدام الله فيضه عبرة لمعتبر وحكمة لمستبصر وآية
كبرى ونعمة عظمى بعث من شقاوة الأمة سعادة ومن الموت حياتا ومن
أعظم المآثم أجل المواهب ،كتاب تجلت فيه الروح الحسينية فرفرفت على
قلوب قارئيه من المصلحين ولطالما قرأنا هذه القضية في الأخبار والسير
وتصفحنا كثيرا من الرسائل والكتب ولكن ليس المدار على الروايات ونشرها
ولا الأخبار وذكرها وإنما السير للعبير والمبتدأ للخبر . ولعمري لم تقع عيني
على صفحة منه إلا وجدت في النفس إنكاراً للذات وشوقاً إلى ورود حوض
المنيا لرفع الأمة واحتقار الشأن والحياة بما في الكتاب من الأسلوب الذي
يسحر الألباب . هذا الكتاب اشتق من بؤس المسلمين بقتل أبى الرسول
شوق الأحرار إلى التضحية وإحراز قصب السبق في سبيل الله وطلب
المجد من أفضل المنى بالمنيا يتسابقون إليها زرافات ووحدا

وكتب فخامة جعفر باشا العسكري يوم كان رئيساً للوزارة العراقية واطلع على الكتاب ما نصه: لقد قرأت بعض فصول الكتاب (نهضة الحسين) فرأيت على جانب عظيم من النفع والإصلاح شأنكم في الموضوعات الجليلة التي تخوضون غمارها، وفي الحقيقة انه كتاب قيم لم ينسج احد على منواله ومفيد كل الإفادة للنشئ الحديث الذي ينبغي أن نتقنهم ثقافة عربية إسلامية صحيحة، والإمام الشهيد ولا غرو زعيم هذه الثقافة المستندة إلى دعائم ثلاث : الأخلاق الفاضلة والعروبة والمصلحة الإسلامية العامة .

وكتب الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس المفتشين في المعارف العراقية ومديرها العام سابقاً ما نصه : إن أكثر الكتب التي كتبت عن مقتل الحسين (رض) لم تكن لتعتني بالوجة التهذيبية النفسية لهذه الحادثة الجليلة بل كانت سلسلة روايات وأوصاف وضعت في قالب عتيق يمجّه ذوق الطالب العصري وينفر منه. أما كتاب (نهضة الحسين) فقد جاء بأسلوب جديد يجذب الطالب المتجدد وبفيدة علميا وخلقيا . ولا عجب فان العلامة الشهرستاني قد وقف على أفكار الشبان المتجددين من أبناء هذه البلاد فعرف أذواقهم وأدرك مواطن الضعف فيهم . وما أحوجنا اليوم إلى أناس يقتدون به فيظهرون محتويات كتبنا العتيقة في ثوب قشيب وأسلوب جديد وان عملا كهذا حسب ما نعتقد سيزيل كثيرا من سوء التفاهم الموجود بين طبقة الشبان المتجددين ورجال الدين ولا سبيل لتقدمنا اليوم إلا بالتفاهم وبالتبادل .

إن الطريقة التي يتبعها علماء التربية في تهذيب أخلاق النشء وتقويمها هي طريقة المثال الأعلى وذلك بأن يقدموا للنشء سير الإبطال ورجال الفضيلة بصورة تجذب عواطفهم وتملك قلوبهم فيجعلون صورة أولئك الأشخاص أبداً نصب أعينهم فيجتهدون في تقليدها والنسج على منوالها . وها إن العلامة الشهرستاني قد نصب صورة الحسين ر.ض. وشخصيته مثالا أعلى لشبان اليوم في اتباع الحق والجهاد في سبيل المبدأ والسعي وراء نشر الفضيلة ومحاربة الظلم والاستبداد كل ذلك بهمة لا تعرف الملل حتى ضحى النفس والنفس في سبيل الحق والمبدأ .

لنترك البحث في منزلة الكتاب التاريخية فإنها لا تعد شيئاً أمام قيمته التهذيبية الاجتماعية إذ ما احوجنا اليوم إلى شبان يتعلمون درس إنكار الذات وتضحية النفس في سبيل الحق والفضيلة من الحسين7 إذن فكتاب نهضة الحسين كتاب تهذيبي أخلاقي قبل كل شيء وهو لا يخص أبناء الطائفة الشيعية فقط بل شبان العالم على اختلاف مللهم ونحلهم ما هو بكتاب طائفي بل هو كتاب تهذيبي عام حري بالناطقين بالضاد أن يقرأوه ويضعوا شخصية الحسين7 كما يصورها هذا الكتاب نصب أعينهم فانه مثال الإيمان والثبات والتضحية .

وكتب أمير النثر العربي أنيس شهاب العلوي الحضرمي ما نصه :

السيد هبة الدين الحسيني رجل العلم والدين وبطل الإصلاح والنهوض ، وهو بشهرته الذائعة وسمعته الطائرة وصفته المنتشرة غير مفتقر النعت وفي غني عن التعريف :

((اخرج للناس حديثاً كتاباً قيماً ومصنفاً نفسياً وسمه ب(نهضة الحسين) وأفرغه في قالب بديع صاغه خصيصاً وقدره لتخليد ذكرى هذه النهضة التاريخية الفريدة التي هي نواة ماتلتها من النهضات التي تكافح الاستبداد والاثرة وتصارع البغي والطغيان وتتافح بسيف الواجب والفضيلة وتمشق حسام الحق والصدق وتطعن برمح العدل والإيمان وقد أتى فضيلة المؤلف في هذا السفر الثمين على سلسلة الحوادث التاريخية حول فاجعة الإمام سيدنا الحسين السبط بن علي 7المأخوذ من أوثق المصادر ناهجاً منهجاً فريداً في تحليل الحوادث وسرد المقدمات وترتيب الوقائع وتحليل الأسباب بأسلوب فلسفي هالة ذلك الإشراق الإنشائي ، ويتشرح منه ندى تلك الطلاوة التحبيرية التي تأبى أن تفارق منشئات هذا النحرير الجامع ومدبجات هذا الجهد الحجة . وقد متعنا النظر وسرحنا الطرف في مطالعة هذا الكتاب الثمين يدخر كميراث كريم للإعقاب ويقتنى كعلق نفيس لا تبور دراريه ولا تكسد جواهره إني تطاولت العهود وتمادت الأحقاب وكان الفكر والخيال يرفرفان ويتغلغلان في فضاء استعراض تلك الذكريات المؤلمة التي طغى فيها تيار الباطل على معاقل الحق وظهر فيها عتو الملك العضوض وبطر

هذه بعض الكلم التي صدعت بفضل هذا الكتاب أعلام الكتاب وأهل النظر
إشارة إلى قيمة المعنوية وإيماء إلى طرق الاستفادة منه .

لذلك وبعد أن نفذ جميع نسخ الطبعة الأولى لكثرة توارد الطلب عليها من كل صوب وحذب ، رأينا ضرورة إعادة طبعه خدمة للحق والعلم مع التنبيه على إن هذه الطبعة تمتاز عن الأولى بإضافة (الفصل الخامس) وإضافات في الهوامش وتصحيح بليغ ومن الله وحده نرجو المعونة والتوفيق

الناشر

علي حسون الجابري

نهضة الحسين

— أو —

سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام سيدنا الحسين
ابن علي عليهما السلام مأخوذة من اوثق المصادر
وبطراز اجتماعي جديد يحل ويحلل

الوقائع على اسلوب فلسفي

فريد في بابه

تأليف خادم العلم والدين

هبة الدين الحسيني

الطبعة الثالثة باضافات وتنقيح

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

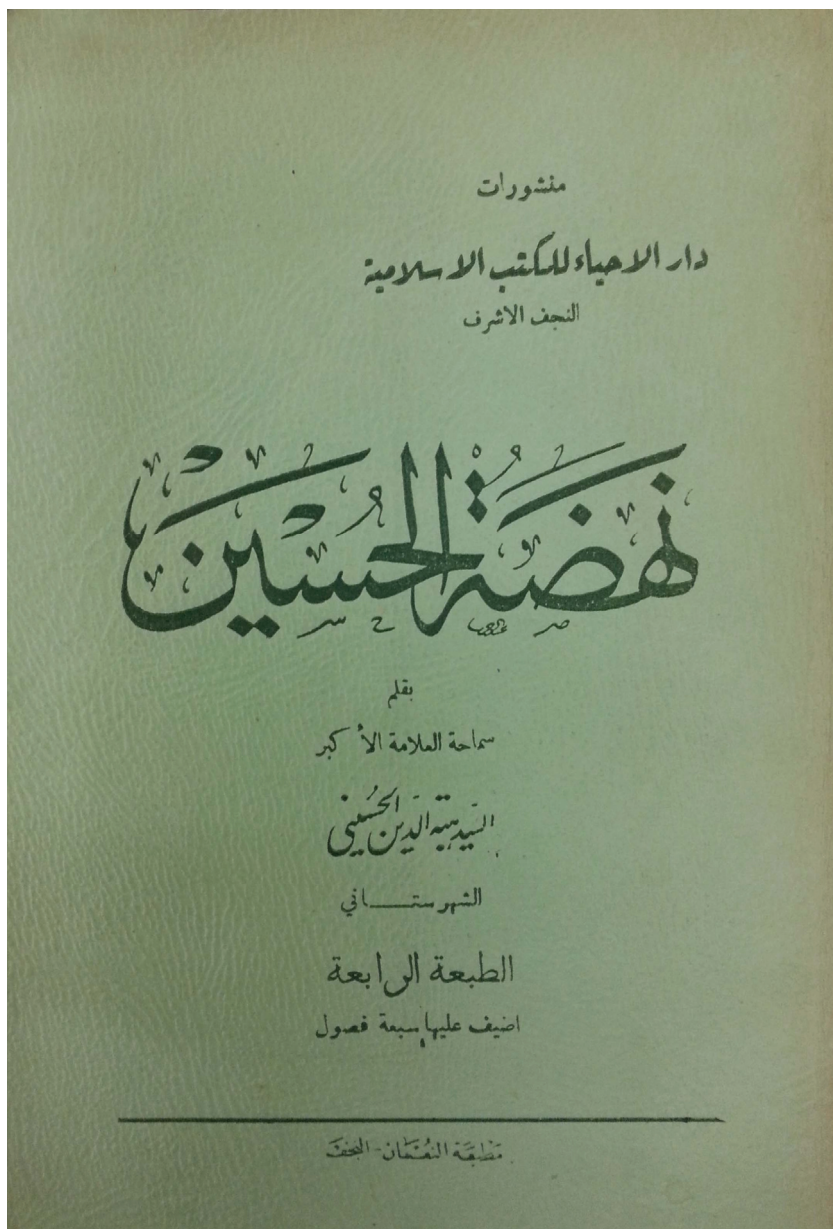
طبع على نفقة

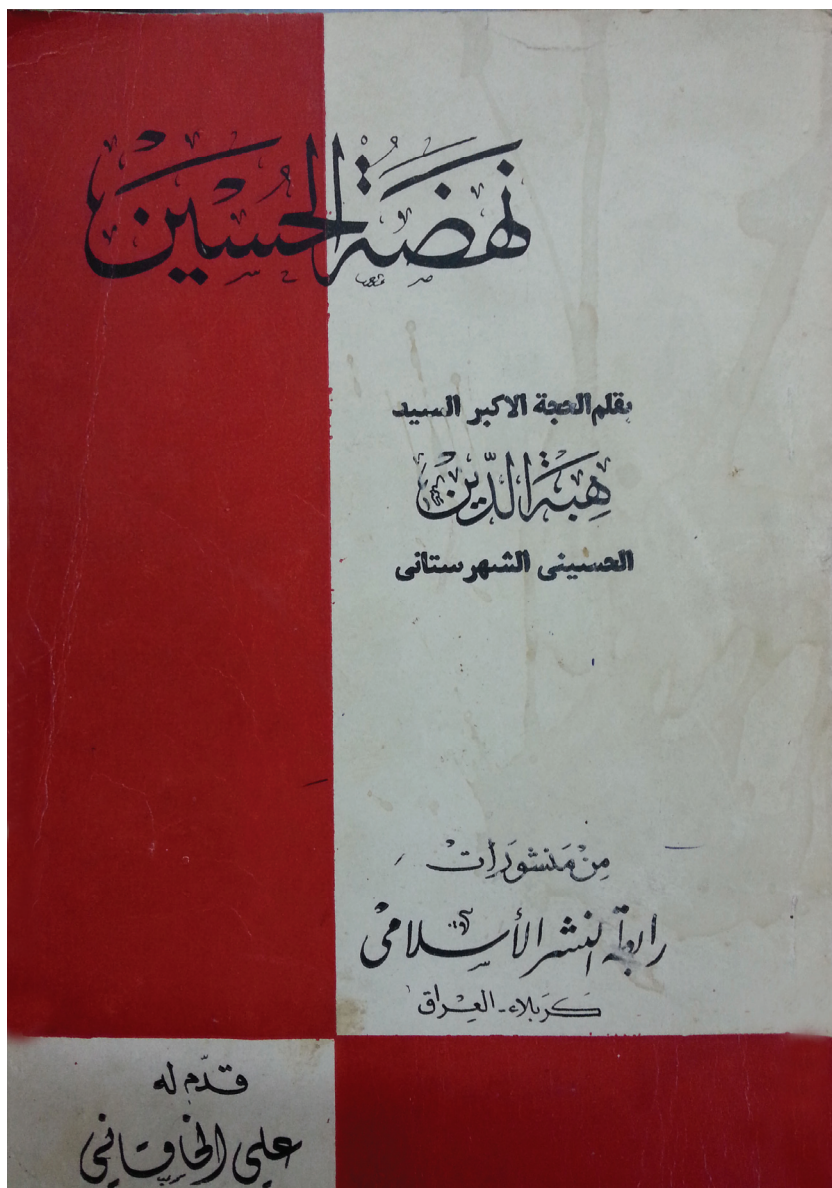
المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

غلاف الطبعة الثالثة

١٣٦٥ هـ . ١٩٤٦ م





مقدمة الطبعة الخامسة

السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهير بالشهرستاني

المتولد ١٣٠١ هـ والمتوفي ١٣٨٦ هـ الموافق ١٨٨٣ م . ١٩٦٧ م

بقلم علي الخاقاني

هو الحجة السيد هبة الدين محمد علي بن الحسين العابد بن محسن الصراف بن المرتضى بن محمد بن الأمير السيد علي الكبير بن منصور بن شيخ الإسلام أبي المعالي محمد نقيب البصرة بن احمد بن شمس الدين محمد البازياز بن شريف الدين محمد بن عبد العزيز النقيب بن علي الرئيس بن محمد أبن علي القيل بن الحسن النقيب بن أبي الفتوح محمد بن شريعة الملة الحسن أبن عيسى بن عز الدين عمر بن أبي الغنائم محمد النقيب بن الشريف أبي علي الحسن بن أبي الحسن محمد النقي السابسي بن أبي الحسن محمد الفارس النقيب بن يحيى نقيب النقباء بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد أبن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وأسرته المعروفة في كربلاء بال السيد علي الكبير المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري لها فروع في كل من كربلاء والنجف والكاظمية ، أما في كرمنشاہ وھمدان وطهران فقد نزحوا إليها من العراق قبل قرن كامل

ولد في سامراء ظهيرة يوم الثلاثاء ٢٣ رجب من عام ١٣٠١هـ ونشأ بها على أبيه الذي رعاه ووجه كما يريد الله والناس من حب العلم وأربابه وكان للمدرسة الأولى (الأم) فضل كبير في زرع الثقافة بذهنه وصقل حسه المبكر ، وقد كانت كما تدل آثارها من الشاعرات الفاضلات ،

وهكذا نشأ بين أبوين صالحين عالمين ، نما وترعرع في جو كان يهيمن عليه اكبر زعيم ديني هو السيد ميثا الشيرازي الذي صدع الغرب بجرأته وقوته الدينية ، وزرع اكبر جانب اقتصادي له بتحريمه وفرضه على الشاه ناصر الدين أن يلغي الاتفاق معه بخصوص امتياز التبناك وذلك عام ١٣٠٧هـ ، وكان الوليد الحي آنذاك يسمع بهذه العواصف ، وتحسس هذه الزوابع التي تربي النفسيات على الاعتداد والاعتزاز ، خاصة وان رجل الدين هو فوق رجل السلطة والسياسة ، وراح ينظر سامراء وهي تعج بالأفذاذ والأقطاب من أعلام العراق وإيران والهند تحج بيت الشيرازي وتخضع بعد زيارة الإمامين العسكريين (ع) ٠

رجع بعد وفاة الشيرازي مع والده إلى كربلاء موطن الإباء وهنا تبدأ ادوار حياته التي رأيت أن اقسماها إلى سبعة وهي :

١ . هاجر من كربلاء إلى النجف في شعبان من عام ١٣٢٠ هـ بعد أن نشطت معارفه ، والفضل كما ذكره- حفظه الله- يعود إلى الزاهد السيد مرتضى الكشميري فقد زار كربلاء في رجب من السنة نفسها وقصد المترجم له في بيته يعزيه بوفاة أبيه لقرب الزمن بالوفاة ودار البحث حول خواطر علميه وعلى أثرها حسن له الهجرة إلى النجف والخطوة بأنديتها العلمية والاستفادة من مركزها العالمي، فأعذر له أولاً لوجود موانع عائلية ، ثم التقى معه بالحرم الحسيني ليلة الجمعة أوائل شعبان فألح الكشميري عليه وأمره بالاستخارة في كتاب الله فإذا بالآية (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)^(١) وكانت من الصدف إن أم المترجم له اسمها (مريم) واشبع له القول حول تفسير الآية ومصادفتها العجيبة ، وعلى الفور هاجر بوالدته وتوطن النجف مدة خمسة عشر عاماً ، يختلف خلالها على الحلقات العلمية ويحضر الحلقات الأدبية وأول عمل قام به هو فتحه لأبواب التدريس في العلوم الأربعة البلاغة ، المنطق والفلسفة ، الهيئة والنجوم ، وأصول الدين وفروعه ، وكان لبقاً عجيباً ومصوراً بارعاً فانهالت عليه جموع من الشباب الذكي من مختلف الأسر الروحية كآل الجواهري وآل كاشف الغطاء وآل الشيببي وآل الجزائري ، ورمقه أساتذته أمثال أبي الأحرار الشيخ ملا كاظم الخراساني وشيخ الشريعة والسيد كاظم الطباطبائي . وفي

(١) المؤمنون: الآية ٥٠

٢ . بدأ اشتغاله بالسياسة في عام ١٣٢٤هـ حيث قام العلماء في طهران يطالبون الحكومة بالعدل والشورى والدستور وكبيرهم آنذاك أبين عمه الأمير السيد محمد الشهير بآية الله الطباطبائي والسيد عبدا لله البهبهاني فصار المترجم له يستمد المعلومات السياسة والتطورات الفكرية حولها منهما ، كما يتصل بالوقت نفسه بأقطاب الفكر الحي في مصر ، واشتدت صلته بأستاذه الخراساني وشجعه على استمراره بنشاطه ، وقوى نفسيته جموع من الشباب المتيقظ من أحرار النجف وطلبوا منه إصدار مجلة علمية سياسة فلبى طلبهم واصدر مجلته (العلم) في ذلك الدور المظلم ، واستمر في إصدارها حولين كاملين كانت إعداده كالشواظ تلهب النفوس وتوقظ الغافلين من ذوي المواهب ، وحام حوله فريق ممن نما الوعي فيه واكتمل فسانده على نشرها ، وكان صداها في العالم الإسلامي والعربي يردد بقوة كما كانت تصل إلى

٣ . وبعد أن انتشر صيته وتعالى اسمه قام بسفارات في مختلف العواصم الشرقية من عربية وإيرانية وهندية ، فدخل سوريا ولبنان ومصر والحجاز واليمن وزار الهند فمكث بها أكثر من عام ، ولم يقتصر على الدعاية للدين والوطن فحسب بل راح يلهب شباب تلك الأقطار بتأسيس الجمعيات والنوادي وإصدار الصحف ونشر المعارف والعلوم ، وقد سجل ذكرياته في رحلته هذه ووصف فيها ما دار بينه وبين أعلام تلك المدن التي دخلها ، وقد استغرقت رحلته هذه ثلاث سنوات بدأ فيها من أوائل عام ١٣٣٠ هـ إلى ١٣٣٣ هـ وعاد في أول رمضان من تلك السنة إلى النجف حيث اخذ يقص

٤ . وهذا الدور يبدأ بجهاده ومناوئته للاستعمار وجيوش الانكليز التي صارت تزحف على العراق ، والروس الذين اخذوا يحتلون إيران ، واستأنف محاضراته على إخوانه وتلامذته بإيقاظ الهمم والسعي وراء مطاردة المعتدين ، وعلى اثر حركته هذه زاره قائمقام النجف (بهيج بك) وبلغه برقية رمزية من وإلى بغداد (حسين جاويد) وغبته بالحضور إلى بغداد لمشورة معه مهمة ، فسافر إليه في ١٢ رمضان من عام ١٣٣٣ هـ فسر إليه الوالي إن الحرب الألمانية الانكليزية بدأت في أوربا ولا بد أناه ستشمل الممالك العثمانية حسب ما علمت من ناظر الحربية(أنور باشا) فهل ترى من تدبير لمحافظة العراق وولاء العشائر لنا وصد هجمات الأعداء، فأبدى له الخطة الراجحة والرأي السديد الذي إذا سلكه فسي فوز ، ومن ذلك الحين بدأ يحكم الصلات بين الرجال الدين وبغداد ونظارة الحربية في الأستانة ، ووحد الرأي بين علماء كربلاء والنجف ، وكان في مقدمة المؤيدين له السيد كاظم اليزدي الذي أعلن رأيه بوضوح وجرأة ، وصعد على منبر وضع له في مقام المهدي بوادي السلام وكان يوم الغدير وجمع العشائر احتشدت في النجف تزور هذا اليوم ، فكان إلى جنبه المترجم له يوضح للناس رأي اليزدي بأسلوب

٥ . وهذا الدور الذي ظهر فيه كبطل في الثورة العراقية التي بدأت بعد احتلال الانكليز لبغداد والبصرة ، فقد قطن خلاله في كربلاء واخذ يكوّن حلقات في مدرسة باب السدرة يلقي فيها محاضرات في التفسير ويؤلف الكتب التي تشيد بهذا الفن وغيره ، وانتعشت حركة الشباب الروحية ، وفي عهده هذا انتقل الحجة الخالد الذكر الشيخ محمد تقي الشيرازي من سامراء إلى كربلاء فاتصل به المترجم له مع من اتصل به من أحرار النجف وقوى صلاته به وكانت النتيجة أن تبنى الإمام الشيرازي حرمة الثورة المقدسة ومطالبة الانكليز بالجلاء ونيل العراق للاستقلال التام فكان المترجم له احد أعضاء هذه الحركة الفعالة ، ومن إبطالها من ذوي الرأي والتدبير ، وقام بأمر أستاذه وقائده ممثلاً كربلاء مع صديقة الشيخ احمد أبن الشيخ ملا كاظم الخراساني في بغداد عند السير ولسون الحاكم السياسي العام عام ١٩٢٠م بعد أن القى الانكليز القبض على مجموعة كبيرة من رجال الحركة ومنهم الشيخ محمد رضا نجل الإمام الشيرازي وعمر الحاج علوان ، ولما عاد المترجم له رفيقه إلى كربلاء بخفي حنين أطلقت على الانكليز أول رصاصة بالرميثة والتهب عشائر آل فتنه والخزاعل وبني حسن والعوابد وغيرهم ممن سجل جهادهم التاريخ الصادق وتسربت إلى كربلاء وأطراف الحلة والنجف ونواحيها فاخروا الحاكم الانكليز منها وقطعوا خطوط والمواصلات عليهم ، واسقطوا نحو ثمانية طائرات حربية واغرقوا عدة سفن ، وربما بلغت خسائر الجيش الانكليزي حوالي العشرة الألف ، غير إن نبا وفاة

وفي ذي الحجة من العام نفسه دعاه عبد الحميد خان الحاكم السياسي في كربلاء لمقابلة جلالة الملك فيصل الأول في الحرم الحسيني المطهر عندما يأتي من زيارة النجف وقد رشح للملكية ، فحضر مع باقي العلماء واستقبلوا ضيفهم الكبير ، وتبودلت بين الملك فيصل الأول والسيد الشهرستاني آيات الترحيب والتعظيم ، وبعد وصوله إلى بغداد أرسل إليه الملك فيصل مؤكدا عليه قبول وزارة المعارف العراقية .

٦ . وفي هذه الدور برز السيد الشهرستاني بطلا جبارا فأخذ يرسم الخطط لتقليص ظل النفوذ الانكليزي من المعارف وتحديد اتجاه وضع المناهج الاستعمارية وتبديل الشارات الانكليزية بالعشائر الوطنية ، مما لفت نظر

٧ . وفي هذا الدور ظهر ممثلاً للقضاء الشرعي حيث اسند إليه منصب رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري بإصرار من صاحب الجلالة الملك فيصل الأول ، وقد اعتذر له غير إن مجموعة العلماء أصرّوا عليه بقبوله لتوفر الكفاءات عنده ، وساند الجميع إلزام فخامة السيد ناجي السويدي وزير العدلية آنذاك بقبول هذا المنصب ، وبني قبوله على أساس رفع درجة القضاء الجعفري من نواب قضاة إلى قضاة ، ونفذ هذا الاقتراح بصدر الامر في ربيع الأول من اعم ١٣٢٤هـ فاتجه إلى تنظيم هذا المجلس الذي هو الأول من نوعه وحدد موقف باقي المحاكم القضائية المرتبطة به ،

والمترجم له من أشهر مشاهير الشرق ، ومن الأعلام الذين سرى ذكرهم إلى الغرب مشفوعا بالإكبار ، واصل جهاده الديني والعلمي منذ البدء حتى اليوم على ما هو عليه من تأخر في صحته وانشغال في مزاجه ، ولخبرته في فهم الصحة وثمراتها فانه ظل يواصل المحافظة على مزاجه رغم الأعمال التي يقوم بها والامالي التي يواصلها ، وتفكيره سليم لأبعد حد فهو الرجل الديني الوحيد الذي عرفت انه لا يداجى ولا يدجل ولم يتقلب حسب رغبة الظروف

واجه مجتمعه من يوم ان اعتمد على خبرته في الفقه وفهم القران ، بامور يتصورها الناس انها جزء من الدين منها براء ، وقد كونتها بلادة اقوام او اغراضهم فبقيت تنخر في ذهنية العوام حتى انستهم اصول عقائدهم الصحيحة ، وابو الجواد كله اصلاح وكله خير وكله عمل ، واول صدمة قام بها لمجتمعه الروحي هو تأليفه ونشره لرسالة (تحریم نقل الجنائز) وبها صار مضرب المثل في جرأته ، ولخبرته الواسعة بكتب آل البيت (ع) وضبط ما جاء عنهم ، قام فصرخ في وجه الجبناء من الفقهاء طالبا منهم ان يوقفوا الناس على حقيقة الامر ، مدلا على ذلك بكل برهان جاي ، وصدمه ايضا بمقالاته التي واصلها في مجلته (العم) التي أنشأها عام ١٣٢٨هـ واطلع بسببها كل من لم يعلم عن قيمة المذهب الصحيح ونقائه ، وصدمه يوم ان فصل المستشار البريطاني (كبتن فاوول) عن وزارة المعارف فاحدث رجة في الاوساط السياسية / وصدم مجتمعه يوم ان صرخ في تحریم ضرب القامة على الهامة ، ونبذ تلك العادات الوحشية من ضرب السلاسل ايضا ، واستقام في مبدئه لم يحد عنه شبرا واحد ، وبرهن على صحته بكونه لم يستغل مكانته الاجتماعية الخطيرة بامتلاك ارض او عقار •

وابو الجواد عرفته منذ زمن بعيد جدا وسره انه الملجأ للشباب الحائر والموئل
للاحرار منهم وقد عرفته يوم ان اتصلت به نتيجة ماقرأته من آثاره القيمة
وكتبه الخالده ومقالاته الملهبة ، وعرفته بعد ان اتصلت به كأمين لمكتبه
العامة في الكاظمية فكان يأتيني في كل يوم بسر مجهول من الطف
والوداعة والشرف والابداع ، ووقفت على توجيهه لعائلته ذكورا واناثا بان لم
يدخنوا ولم يشربوا الشاي ولا القهوة لانه ينهي عن شربها ويؤكد ، وكان
يتضايق مني لاستعمالي لها ، ولكنه يغفر لي ذلك اعتزات بما يلقاه مني
من توجيه وتنظيم لمكتبته وايصال اسمها إلى ابعد الامكنة وربط المؤلفين
بها .

عرفته في مختلف الظروف انسانا يحب الخير ويدعو له فقد قلب سيرة
الكاظمية في اليوم العاشر من المحرم من ضرب القامة إلى اقامة حفل
عظيم تتلى في اسرار نهضة الحسين من قبل اعلام الكتاب والشعراء ،
وثابر على ذلك سبعة اعوام كانت نتائجها الاعداد الخاصة بذكرى الحسين
لمجلتي البيان ، كل ذلك كان يسع إليه ليقلب صفحة التفكير ويوقف الناس
على فهم الدين وما يريده الائمة (ع) من سعادة الناس لا ان يشقوا ويتعسوا
، ولكن المغرضين وارباب الاطماع لم يرق لهم ذلك بل راحوا يعيدون
الدورالسابق بارجاع العوام إلى حضيرة لجهل والفناء ، وتغلبوا بفضل من

وعرفته بمصاحبتني له في عام ١٩٦٥ هـ عند زيارته لإيران حيث قضيت مع أكثر من شهرين متتابعين بغية الاستفادة من معلوماته، وقد حصلت على ما أردت واملني على كثيراً من الذكريات المهمة ووقوفه على الاحداث الفاصلة في تاريخنا معللاً اسبابها، وموضحاً بواعثها، وكنت اشاهده وهو يحنو على اكثر من والدي، ويرفق بي اكثر من ولده، وعجبت من نفسيته الكبيرة التي تجلت بزيارة المسؤولين له في الدولة الايرانية وعدم اكترائه بسطوتهم، وفعلاً كنت يوماً عنده في دار فخامة السيد صدر الاشراف (تجريح) فقابلته كما يقابل ابسط اصدقائه، وعند القيام لم يخط معه خطوة واحدة عن كرسيه، وهكذا رايته يقوم بمظهر الزعيم الديني الذي يجد نفسه اهلاً لاحتلال المقام الروحي ومعرفة التصرف بشؤونه.

وصاحبته إلى خراسان وقد ركبنا الطائرة سوية فشاهدت الانقلاب العظيم الذي خرجت فيه خراسان حكومة وشعباً لاستقبال وتقبيل يده، وهكذا رايته في كل من همدان وملاير وبروجرد ودرود وارك وقم وهذه المكانه وليدة ما قدمه من جهود خلال نصف قرا إلى العالم الاسلامي والعربي من خدمة واستقامة. هذا بعض ما عرفه عن هذا العلم الفذ والمصلح المخلص، والعالم العامل وهذا بعض ما وقفت عليه من سيرته المشرفة، والمليئة بالصور الناطقة.

آثاره العلمية

واروع جانب من حياته هي هذه لآثار التي نسجلها، وقد سدت فراغاً كبيراً في المكتبة العربية الاسلامية وهي التي طبعت، اما الذي لا يزال مخطوطاً واهمه في التفسير فتأسف بقائه، واليك اسماء مؤلفاته مرتبة حسب ازمنة الطبع.

١. منظومة مواهب المشاهد في اصول العقائد.

٢. رواشح الفيوض في فن العروض واوزان بحور الشعر.

٣. الهيئة والاسلام في استنباط مسائل الهيئتين القديمة والجديدة من ظواهر الايات والروايات وحل مشكلاتهما والتوفيق بين الاكتشافات الجديدة وقواعد الفلكيات مع الاقوال الماثورة الاسلامية ترجمت إلى لغة اردو الهندية في لاهور باسم (البدر التمام) وإلى الفارسية مصورة باسم (اسلام وهيئت).

٤. مجلة (العلم) وهي اول مجلة عربية ظهرت في العراق دامت سنتين في مجلدين.

٥. تحريم نقل الجناز تكرر طبعها ثلاث مرات.

٦. (تفتيش) حول مضرات حلق اللحية وادلة التحريم باللغة الفارسية تكرر طبعها في النجف وتبريز.

٧. فغان اسلام بالفارسية طبعت في لا هور وكلكتا.
٨. التذكرة في احياء مجد عترة النبي (ص).
٩. التنبيه في تحريم التشبه بين الرجال والساء.
١٠. توحيد اهل التوحيد في جمع كلمة المسلمين على الاصول الاعتقادية
تكرر طبعه في بغداد وطبعت ترجمته الفرسية في طهران وتقرر في
المدارس رسمياً.
١١. منظومة اسمها فيض الباري لاصلاح منظومة السبزواري في فلسفة
الاهوت.
١٢. المنظومة الكمالية في تقرير نظرية الاستكمال وقواعدها.
١٣. الدلائل والمسائل ج ١ و ج ٢ في اجوبة سؤالات مشكلة وردت لسماحة
المؤلف ونشرت في مجلة المرشد البغدادية وبقي منه عشرة اجزاء لم تطبع.
١٤. جبل قاف في شرح هذا الرمز الاسلامي وحل مشكلاته وماثورته
الشرعية حسب الهيئة الجديدة.
١٥. نهضة الحسين في اسرار مقتل الحسين (ع) عن اوثق المصادر
وسلسلة اسبابها واثارها، تكرر طبعة بعد سنة ١٣٤٤ هـ وطبعت ترجمته
الفارسية والهندية والانكليزية.

١٦. الجامعة في تفسير سورة الواقعة نشرت ضمن مجلة المرشد.
١٧. ما هو نهج البلاغة في ميزات هذا الكتاب النفيس وتصحيح اسانيد ما فيه على الاخص الخطبة الشقشقية تكرر طبعه في مجلة العرفان، وطبعت ترجمته الفارسية في طهران باسم (نهج البلاغة جيست).
١٨. ادعية القران او زبور المسلمين.
١٩. الامة والائمة في طرق تعيين خلفاء النبي (ص) طبعت ترجمتها الفارسية في طهران باسم (امامت وامت).
٢٠. ثقافة الرواة في اسماء المحدثين القدماء الذين تركى كل واحد منهم بعدلين.
٢١. رهنماي يهود ونصارى يأبيلها بالفارسية في تعليقات مهمة حول العهدين - التورات والانجيل.
٢٢. ذو القرنين وسد ياجوج وحل مشكلاتهما التاريخية بالفارسية.
٢٣. المعارف العالية للمدارس الراقية في توحيد الله وفوائد الدين واعجاز القران المبين بادلة جديدة سديدة.
٢٤. وجوب صلاة الجمعة خلف امام عادل، طبعت ترجمتها الفارسية في ايران سنة ١٣٥٦ هـ وتجدد طبعها في بغداد.

٢٥. المعجزة الخالدة في وجوه اعجاز القرآن وشرح اسرارهِ وحل طلاسمهِ
تكرر طبعها وترجمتها.

٢٦. تنزيه التنزيل في اثبات صيانة المصحف الشريف، من النسخ والنقص
والتحريف، طبعت ترجمته الفارسية في طهران.

٢٧. وظائف زنان بالفارسية في احكام النساء شرعاً وطبعاً وما لهم وما
عليهن.

٢٨. حلال المشكلات.

٢٩. الدلائل والمسائل، ج ٥ طبع ببغداد.

آثاره المخطوطة

وآثاره المخطوطة تتضاعف بالعدد على ما طبع له واليك اسماءها.

١. التقاط النقاط من فوائد الاسقاط.

٢. اضافات المصنفات.

٣. ارجوزة السلام.

٤. الادلة من الاله.

٥. الف مشكلة ومشكلة.

٦. بلغة اللغة.

٧. بساط سليمان من طياري.

٨. بثر بن يوسف.

٩. بحر العلوم.

١٠. تنزيه التنزيل بالعربية (بالعربية).

١١. تقويم الف واربعمئة سنة.

١٢. تسامح الادلة في الادلة.

١٣. الثورة العراقية.

١٤. الجواب الحسن من صلح الحسن.

١٥. الجنس اللطيف من الشرع الشريف.

١٦. جمهرة المعارف.

١٧. جمهرة الفتاوي.

١٨. جمهرة الفوائد والزوائد.

١٩. جابر من الحاضر والغابر.

٢٠. جوامع الكلم.

٢١. حياتي.

٢٢. حقايق من دقايق.

٢٣. الحواصل.

٢٤. حوادث الدهور من ايام الدهور.

٢٥. حق زن (بالفارسية).

٢٦. حجة الاسلام.

٢٧. الحساس من أبين عباس.

٢٨. خريطة المدهشات.

٢٩. خير المخلفات من المؤلفات.

٣٠. خير الدلائل في اجوبة المسائل.

٣١. خير الجواب في فصل الخطاب.

٣٢. الخيبة في الشعبية.

٣٣. خطر الافيون (بالعربية).

٣٤. الدين في ضوء العلم.

٣٥. دابة الارض.

٣٦. الدر والمرجان.

٣٧. ذو القرنين وسد ياجوج (بالعربية).

٣٨. كرى الصوفية.

٣٩. ذرى المعالي في ذرية أبي المعالي.

٤٠. رؤوس الدروس.

٤١. الرسائل والمسائل.

٤٢. الرجعية.

٤٣. رساله الاسلام للمسلمين.

٤٤. رهنماي تقوى وفتوى.

٤٥. رد الباب.

٤٦. زيادة خراسان.

٤٧. الزواج المؤقت.

٤٨. سجل الاحوال من الرجال.

٤٩. سحر السحر.

٥٠. سجل الزائرين.

٥١. السفينانية والمروانية.

٥٢. سبت النبات.

٥٣. سماحة المذهب.

٥٤. سجل المسجلات.

٥٥. سجل المسائل.

٥٦. سجل المجالس.

٥٧. سلسلة الذهب في النسب.

٥٨. سلالة السادات.

٥٩. شذرات.

٦٠. شجرة العلوم.

٦١. الشيطان في الميزان.
٦٢. شافية الامراض.
٦٣. شهرستانيات.
٦٤. صدف اللثالي.
٦٥. الصدف او الهدف.
٦٦. الضياء.
٦٧. الطيف والنائم.
٦٨. طب الضعفاء.
٦٩. الطلاس.
٧٠. العزاء الحسيني.
٧١. عصارة الحياة او الكلمات.
٧٢. العريشة.
٧٣. العلم.
٧٤. غواصة المعاني.

٧٥. الغالية.

٧٦. غرائب المذاهب.

٧٧. الفوائد في عدة اجزاء.

٧٨. فهرست المجاميع.

٧٩. الفضيلة في اصلاح الوسيلة.

٨٠. فاروق الفرق.

٨١. قلم الوحي ووحى القلم.

٨٢. قاموس الفلسفة.

٨٣. قاموس الفقه.

٨٤. قدم العالم من صبح الازل.

٨٥. كراستي في اية الكرسي.

٨٦. كشكول فارسي.

٨٧. كهرياء القلوب.

٨٨. كهف المشكلات.

٨٩. كظمياتي او مجموعة الشتات.

٩٠. كلماتي.

٩١. كتب في كلمات.

٩٢. الكتاب المفتوح.

٩٣. كنوز الرموز.

٩٤. المستحسن من اجوبة مسائل اندرسن.

٩٥. مشهد الفصاحة.

٩٦. مشروع البث.

٩٧. مدرسة القران في رمضان.

٩٨. مذكراتي.

٩٩. مفكراتي.

١٠٠. مجربات.

١٠١. مرآة المطالب.

١٠٢. المحاضرات.

١٠٣. معجم الفقه.

١٠٤. المصلح.

١٠٥. المرشد.

١٠٦. المعرفة في الفلسفة.

١٠٧. المحكى على المحك.

١٠٨. الموسوعة.

١٠٩. المذهب العلمي.

١١٠. المجموع في الفروع.

١١١. محصول الجيب.

١١٢. الذهب في سبل الرب.

١١٣. الملل والنحل.

١١٤. منابر الاثير.

١١٥. مشكلات العلوم.

١١٦. المعتبر من الخبر.

١١٧. المقياس في القياس.
١١٨. ميزان العروبة.
١١٩. مسيح الاناجيل.
١٢٠. المهدوية.
١٢١. مختصر الهيئة والاسلام.
١٢٢. مفصل الهيئة والاسلام.
١٢٣. النهايات في النهايات.
١٢٤. النقية في التقية.
١٢٥. نقد دوزي (بالفارسية).
١٢٦. نقض العهود واليهود.
١٢٧. الناطق بفضل الصادق.
١٢٨. نماذج الأقلام والقرايح.
١٢٩. الوصايا.
١٣٠. الوديعة في الشريعة.

١٣١. هادي العمى.

١٣٢. الهدية المحمدية.

١٣٣. ياقوت النحر من ميقات البحر.

١٣٤. يمن العزا او الاربعين في مدفن امير المؤمنين.

وبؤسني اني لم اقف على هذه الاثار الكثيرة كما يؤسفني ان لم يتهيا لها من المخلصين من ينشلها من ظلمة العدم ويخرجها إلى عالم الطبع خاصة والفرصة في وجود سيدنا الحجة هي مما تشجع المخرج وتقصير زمن الاخراج.

المشروطة والاستبداد.

لهذا الحدث فضل كبير في تاريخ النجف الفكري، ونظراً إلى عثوري على مذكرات سيدنا المترجم له رايت ان اثبت ما جاء فيها حول الموضوع بنصه: يقول علماء الاجتماع ان للحوادث سلسلة فكرية ايجابية، فكل حادث لع علاقة بسابقة وان لم يتصور المتصور، واذا لا حظنا هذه الحركة الفكرية الدينية وامعنا فيها وجدناها صدى لحوادث تقدمتها.

في شهر رجب من عام ١٣٣٤هـ وردت النجف رسائل من قبل علماء طهران وفيها يستجدون ويطلبون مشاركة الراي للفكرة التي بداوها وهي المطالبة بايجاد يركن إليه شاه ايران وهو مظفر الدين وياخذ بمقرراته (عين الدول) وهو رئيس الوزراء المعروف بالصدر الاعظم وحكومته، وحاكم طهران العام علاء الدولة، والمجلس يرتكز على فكرة ايجاد عدالة تحررها الحكومة ولا تتعدها وتكف عم الظلم والحيث الذي لحق الناس من اعمالها واستبدادها. وقد اسموها (عدالت خانه).

وكان لهذه الفكرة اولا صدی ضعيفاً عند الحكومة فلم يعبا عين الدولة كما لم يهتم بامرها الشاه المظفر الدين، غير ان العلماء الدين ايدوا الفكرة وسجلوها في رسائلهم ومضابطهم واصلوا الامر بجد واهتموا في انجاح الموضوع مهما كلفهم من خسارة، واول عمل ايجابي قاموا به هو انسحابهم من مدينة طهران والتحاقهم بمدينة الشاه عبد العظيم التي تعتبر انذاك حصنا محترما وحضيرة مقدسة، وعندما دخلوها في رمضان تلك السنة، اخذوا يذسعون مقرراتهم واراءهم، فصار الطلاب المثقفون ومن هم دون مرتبتهم العلمية ينضمون اليهم ويساندوهم، كما التحق بهم فريق من الخطباء والوجهاء الدين يحملون الشعور الديني والعدلي، حتى بلغ عددهم الالف وبذلك ظهر الصدی وتردد على اذن الشاه وحكومته وشعر الجميع ان الامر تطور وسيؤدي إلى ما لا يحمد عقباه وصاروا يفكرون في الامر وفي ايجاد الحلول التي تقضي على

اما العلماء الذين تبنا الحركة اولا جماعة هم

(١) الحاج عبد الله البهبهاني

(٢) الافا امير السيد محمد الطباطبائي.

(٣) الحاج شيخ فضل الله النوري.

واول رسالة بعثوها إلى علماء النجف وهم ابو الاحرار الشيخ ملا كاظم الخراساني، والشيخ ميرزا حسين الحاج خليل، والشيخ عبد الله المازندراني، والسيد كاظم اليزدي، وقد طلبوا فيها منهم ارسال البرقيات والرسائل التي تنصح الحكومة والشاه وتطلب منهم النزول على رغبة العلماء والشعب والكف عن المظالم التي يقومون بها.

وفعلا بادر هؤلاء العلماء يبعث البرقيات والرسائل المؤثرة والمنبة والناصحة، وكان لها صدى قوياً في نفس الحكومة، كما ان علماء طهران وجدوا فيها سنداً وقوة للمجاوبة التي حصلت والاتفاق الذي تم بفهم قيمة الهدف وشرفه.

ولأهمية مركز النجف في العالم الاسلامي فقد اخذت الفكرة اولاً من طهران وتبنتها طهران اخيراً صدى إلى النجف الذي هز بوقته عرش القاجار وزلزل مركزه واودى به، ودارت الفكرة حول محورها الذي اصبح الشيخ الخراساني، وانذاك صار كل انسان يحمل فكراً نقياً وثقافة واسعة وعقلاً ناضجاً ينظم إلى هذه الحلقة الذهبية التي قلبت تاريخاً واسعاً وخلقت تاريخاً جديداً، وصار الرجال الابطال واعلام الدين يهتفون بالخطط التي وضعوها والمقررات التي هياؤها وبذلك كثر العديد الذي لا اشك بان الفرد منهم كان امة، وكان لاخواني الذين انظموا إلى حلقتي الاثر الكلي في ترويج الفكرة وايصالها إلى اكبر عدد من الناس فقد اجمع العلماء ورجال الدين على ذلك، وكان للحجة المازندراني ومن اتبعه اثر بارز في نشر الفكرة، كما ان السيد اليزدي كان اول الامر مع الجماعة ومن المؤيدين، غير ان الديم تبنوا الفكرة لم يشعروا ولم يلمسوا منه صدق العمل بالاستمرار فقد كونوا باسلوب غير مباشر جواً معكراً ضده ادى بالاخير ادى إلى تشويش الازهان نحوه وجفاء الناس له.

واستمرت الحركة من عام ١٣٢٤ هـ إلى عام ١٣٢٩ هـ حيث توفي الإمام الخراساني، وفي خلال ذلك اجتمعت الكلمة من قبل رجال الدين، غير ان المفاجئات التي داهمتا اوجدت تفككا في الصفوف، واني كنت استغرب هذه الاسباب والاساليب التي تتولد في كل يوم، غير اني كنت اعلل ذلك بامور هي ان السلطتين الايرانية والعثمانية اخذت تتجاوب تجاوباً سريعاً لانهما

والواقعة وقعت في كربلاء وذلك عندما ايس الناس من نجدة العلماء لهم فصاروا يستتجدون بقتل الانكليز وهو محمد حسن النواب الكابلي القندهاري وهو بدوره يشجعهم على التمرد ويقدم لهم الضمانات الكاذبة، والاساليب المعسولة، وبذلك طمع الناس به وساقهم جهلهم إلى الاطمئنان فتجمعوا حول داره وتحت العلم الانكليزي المئات من الناس ان لم اقل الالوف وصاروا يعلنون رجوعهم واحتماءهم بشخص القنصل وبالعالم البريطاني، واستمروا في ذلك بعد ان انقطع الطريق ليلاً ونهاراً وجاءوا بافرشتهم وصاروا ياكلون وينامون في الجادة اكثر من خمسين يوماً، وبذلك تصوروا ان الحكومة لا تستطيع طردهم لا استمرار بقائهم، غير ان المتصرف (رشيد باشا الزهاوي) بعد هذا الومن ارسل إليهم مدير الشرطة

وبعد ان وقعت المؤلمة، والتي اشغلت بال ولاة الفكر المحترمة وهم العلماء، صارت التعليقات تخلق ساعة بعد ساعة، وصار الخصوم من اتباع الاستبداد يستظهرون على ابطال الديمقراطية، وكانت واقعة كربلا خير وسيلة للتفرقة والتشنيع على جماعتنا فقد فرقت بين صفوف العلماء حيث لم يتدخل شيخنا الخراساني بالامر كما لم يتدخل المازندراني بالنظر لتجنب الشيخ الخراساني، غير ان الحاج ميرزا حسين والسيد كاظم اليزدي تداخلا بصورة النصيحة والانذار حيث بعثا رسلا كما تدخل السيد محمد بحر العلوم صاحب البلغة وغيره في نصيحة القوم فلم يرتدعوا ولم يفد بهم النصح.

وبعد فتك الحكومة العثمانية باهالي كربلاء صارت تضايق رجال الدين الذين كانوا يتأسون للحادثة ، كما ان القنصل الانكليزي وهو النواب الذي ورط الناس صار يساند فكرة رجال الدين لتتميتها من جديد، ولكن المتصرف وقفسداً دون اظهار استياء العلماء بعدم بعث البرقيات والرسائل ، وغير ان زعيما دينيا معروفا وهو السيد علي الشهرستاني المرعشي استطاع ان يلفت بمغامرة لطيفه وهي تظاهره بالكسل وخروجه إلى بعض الرساتيق للراحة وبذلك فلت من السياج الذي وضعه المتصرف على رجال الدين فقد غادر كربلاء إلى بغداد ودخل السفارة الايرانية واستطاع ان يعلم السفير عن التصرفات التي اجراها المتصرف والفتك الذي حل بالرعايا الايرانيين وصار هذا يستعمل الشفرة مع السلطان وعلماء طهران الذين تحصنوا في الشاه عبد العظيم : كما استطاع ان يتصل بالوالي ببغداد ويعلمه سوء تصرف المتصرف وسوء المغبة ستجلبها اعماله .

وما ان حل المحرم من عام ١٣٢٥هـ حتى وضع الاختلاف بين اعلام الحركة ، وتفككت صفوفهم وصدرت الاوامر من استتبول بوضع الرصد عليهم وحجرهم بصورة غير مباشرة وحجب الصحف عنهم وهذا الحال اوجب ان ينشق الامر إلى شعبتين الشعبة الأولى هباي التي لا تزال ترتبط بايران . اما علماء كربلاء فقد حصل لهم ربط باستتبول .

وهذه الحالة اوجبت ضعف علماء طهران لضعف المساندين لهم في النجف ومصادمة الاتراك لهم ، وهذه المصادمة لا استبعد كما سبق انها نتيجة توجيه الحكومة الايرانية للحكومة التركية وافهامها مغبة المصير على الجميع فيما اذا قويت شوكة علماء الدين •

ولما ضعف نفوذ العلماء في الشاه عبد العظيم انتبه (عين الدولة) ورجاله والشاه مظفر الدين وحاشيته فطلبوا منهم التفرق في البلدان والتحاق كل منهم بعمله الخاص فكان ما اردوا غير ان الذين شايعوه في الراي من الوجوه والاعيان ورجال البلد احسوا باشر فتحصنوا بالسفارة الانكليزية وصارت زوجة السفير وكانت مثقفة تفهمهم ان الطلب الذي تذرعوا به لا قيمة له وان (عدالة خانة) لا قيمة لها في حين ان الغاية اوسع واهم من ذلك بان تكون المطالبة بايجاد الحرية والمساواة وايجاد الشورى والمشروطية وبعد ان نضجت الفكرة في معظم هؤلاء انقلبت الاهداف والطلبات إلى هذه العناوين مما ادى إلى حدوث تطور جديد وفكر جديدة تمتاز عن الأولى بتبلور الفكرة وتقيقها •

والذي طور الامر ولطفه وبسطه هي جريدة (حبل المتين) التي تصدر انذاك بكلكتة فقد كانت لسان حال الاحرار في العالم الشرقي والاسلامي فكانت تهاجم الحكومة القاجارية وتاريخ القاجار واثبات معاييبهم وظلمهم ، كما

وكانت الحبل المتين تأتي بغداد بلا رقابة غير ان وصولها إلى كربلاء والنجف كان عسيرا لوقوف السلطة الادارية ضدها وضد الفكرة ، ولكن بعض التجار الاحرار وهم الحاج علي اكبر الاهرابي وحاج ملا احمد اليزدي هما اللذان كان يوصلانها إلى اصحابنا الذين يتلفون عليها بواسطة موادهم التجارية .

وفي الوقت الذي كانت جريدة(الحبل المتين)تغذيها بالمعلومات كان الصديق الشيخ صياء الدين النوري يطلب لنا من مصر جريدة(المؤيد)و(اللواء)و(الهلال) كما يجلب لنا الكتب التي تتضمن سير المصلحين امثال كتاب(مشاهير الشرق)وكنا نقف على كثير من الحقايق التي خفت علينا ، فقد وجهت كثيراً من النفوس كما خلقت من الكثيرين مناظرين ومجادلين ومحاكمين لاقوال الماجورين من الخصوم ، وما ان تم عام ١٣٢٥هـ حتى وجدنا كثيراً من الرجال استعدوا للهجوم عن طريق العلم والمعرفة والوقوف على كثير من الحقايق التي كانت ما وراء التصور وصار يدير الفكرة بطهران الذوات الذين تحصنوا بالسفارة الانكليزية .

غير ان الروس بالنظر لخصومتهم المعروفة للانكليز رأوا ان الانكليز قد توغلوا في صفوف الحومة والشعب الايرانية وصار يبذرون سمومهم عن

وفي خلال عام ١٣٢٥هـ بدأ النزاع على أشده بين جماعة شيخنا الخراساني والسيد اليزدي وقويت الخصومة التي بلغت منتهى الوحشية من إيذاء العوام لآخواننا وهيئتنا بتسميم فكرة العوام ، من اننا نريد الحرية التي هي ضد الدين وكثيراً ما كانوا يضربونهم على رؤوسهم ، واعتقد ان بعض الشياطين منهم عملوا عملاً سيئاً خدموا فيه جماعة اليزدي بنشرهم اعلانا الصقوه على الجدران رسموا فيه يداً وفيها مسدساً خاطبوا فيه السيد اليزدي وناشدوه النزول على رأى رجال المشروطة فان لم يفعل يقتلونه فكان لهذا الاعلان اثر سيء في نفوس العوام وانتصارهم لليزدي ، فقد هاجمت عواطفهم واعتبروا ان هؤلاء مجرمين يريدون القضاء على أبن رسول الله وانحاز إلى جنب اليزيد فريقيا الشمرت والزكرت الذين عرفوا بمروقهم عن الدين وقتلهم الانفس

بالسلاح ويهتفون باسمه، وعزز اليزدي مركزه الموقت بجلب اسرة علمية لها مركزها وهم اسرة آل كاشف الغطاء فقد دعا الشيخ احمد واخاه الشيخ محمد حسين وطلب منهما مساندته والتعلق بهما وبالهما وبذلك انقطعا عن الحضور في حلقة الإمام الخراساني ، وبعد ان كان من الملازمين الثابتين فيها . غير ان اظامام ال كاشف الغطاء حفز اسرتين خطيرتين انذاك وهما ال الجواهري وال بحر العلوم فانظما إلى الإمام الخراساني وتعصبا له ولجماعته وتطورت الخصومة بصورة خطيرة بين العلماء والعوام وصارت النجف كالآتون المستعر ، واضبط اليزدي ان يضاعف عطاءه للعوام ولرؤساء الشمرت والزكرت لما عرف من سطوة رجال الدين واجماعهم ضده

وكانت جريدة (الحبال المتين) تأخذ هذه الاخبار وتنشرها بصورة مكبرة ضد السيد اليزدي وجماعته مما أثارت العواصم الاسلامية واحرار الهند من جماعة غاندي في اول الامر واتصلوا بالإمام الخراساني وجماعته ومنوهم بالامدادات والنصرة ، وصارت النجف لها صدى عظيم في مختلف العواصم وخاصة طهران واستانبول ، كما انها اصبحت قبلة تتبع في اتخاذ الآراء والاستهداء بها .

وفي عام ١٣٢٦هـ قامت الاحرار على السلطان عبد الحميد فانتعشت فكرة الاحرار في النجف ونفوسهم وصاروا يتنفسون الصعداء بعد الابتلاء الذي غمرهم عن عوام النجف ومن جماعة اليزدي ، كما احس فريق اليزدي بانقلاب الجو ضدهم وتطور الوضع في تركيا فانعكس الصدى على النجف وزار النجف (ثريا بك) واجتمع في مدرسة الميرزا حسين الميرزا خليل بحضور اعلام النجف وزعماء الدين ، وتضاءل شخص اليزدي وحاشيته ، وتقارب احرار الاتراك واحرار النجف لتجاوب الفكرة وصاحدف القدر بانزال (مظفر الدين شاه) إلى رسمه فكان لاحرار ايران ان اخذوا يوسعون الهدف ، وكان لاحرار الاتراك اعلنوا الدستور العثماني وقيدوا السلطان عبد الحميد بالعهود والخضوع للدستور .

اما الذوات الذين كنما نجتمع معهم بتدبير الاعمال ورسم الخطط بصورة سرية في سردايب النجف خشية العوام وحاشية السيد اليزدي فهم فريق من الاحرار المخلصين اذكر اسماء المعظم منهم وهم ١ . الحاج أغا الشيرازي ٢. الشيخ محمد باقر الاصفهاني ٣. ميرزا عبد الرحيم بادكوبي ٤- ميرزا علي هيئت تبريزي ٥- أغا ميزا رضا ايرواني ٦ . السيد عبد الله اصفهاني المعروف اخيراً بثقة الاسلام ٧. ميزا حسن رشتي ٨. حاج أغا شريف رشتي ٩- شيخ اسد الله المامغاني ١٠- الشيخ عبد علي لطفی ١١- السيد مهدي لاهيجي ١٢. الشيخ اسحق الرشتي ١٣- السيد ابو القاسم الكاشاني ١٤- ميزا

وفي عام ١٣٢٦هـ تحسن الجو لفكرتنا المقدسة وجاءت الاوامر بالانتخابات فانتخبنا الاديب المعروف عبد الهادي الحافظ الحائري عن مدينتي كربلاء والنجف وكان هذا الرجل من المخلصين للدعوة خاصة في كربلاء التي كانت تعارض فكرتنا بوضوح ، وكان معه في المهمة والحس والشعور السيد حسين القزويني وهيئة المدرسة الحسينية الايرانية ، في الوقت الذي تجاوبها الموسستان المدرسة العلوية الايرانية في النجف ، ومدرسة الاخوة في الكاظمية التي اسسها الحاج علي اكبر الاهرابي •

وكان الهب شعور الكريلايين ضدنا هو السيد اكبر شاه الذي هاجر من طهران وسكن كربلاء وكان من مشاهير الوعاظ الذين يحسنون الهيمنة على شعور العوام ، فكان كلما يوقد النار يطفئها عبد المهدي الحافظ والقزويني •

وساند الحركة المقدسة ظهور جمعية (انجمن سعادة) في الاستانة فقد كانت هي الرابطة الوحيدة ، والواسطة التي تربط بين استانبول وطهران واحرار النجف ، وتواصل بسط الفكر وبعثها إلى احرار العالم والمتطلعين كما تمد النفوس الحرة بالقوى ، وقد مثل احرار النجف الشيخ اسد الله المامغاني فيها عندما التحق باستانبول لدراسة الحقوق هناك •

وبذلك اصبحت النجف في هذا العهد مركزاً سياسياً مهما وشبها مخيفا بين عواصم الامم الاسلامية مما دعا ان يستجد بها احرار تركيا عندما احسوا بان السلطان عبد الحميد سيفتك بهم ويغتالهم ، فطلبوا من احرار النجف وزعيمهم الإمام الخراساني ان يبرقوا إلى عبد الحميد ببرقية ينصحونه فيها ويؤنبونه واجابة إلى تدعيم الفكرة ، فقد بادر ابو الاحرار الخراساني ببرقه مطولة ملأت صحيفة كاملة وفيها انذارات وتهديدات ونصائح للرضوخ إلى فكرة الاحرار ، وتسلمناها منه ذهبنا تَوّاً إلى مأمور البرق (زينل افندي) فامتتع عن بعثها ، وكلما أصرارنا عليه لم يجد ذلك نفعا ، غير ان الإمام الخراساني بعث عليه وطمنه ووثقه بالعهود والاقوال من انه يدفع عنه كل خطر يأتيه من جراء ذلك ، واخيرا رضخ إلى رايه بعد ان استكتبه كطلب

وفاته :

في منتصف شهر شعبان من عام ١٣٦٨هـ الموافق اواخر تشرين الثاني من عام ١٩٦٦م انهارت صحته على اثر زكام شديد فنزلة صدرية حاده ، فالتهاب شديد في البروستات ، ولما كانت صحته العامة لا تساعد على اجراء العملية الجراحية للبروستات فقد عالجها الاطباء بالمسكنات الموضوعية ، وقد رافقها ضعف عام في صحته ، ثم اضطراب في الكليتين ، فالتهاب في الكبد ، وكانت العلاجات تتعارض بعضها مع بعض ، ومع كل هذه الاعراض الحادة تراه لم يفقد ظرفه ونكاته ومداعباته مع الاهل والمعالجين والمراجعين ، إلى ان اشتدت به عارضة البروستات صبيحة الجمعة ٣ شباط ١٩٦٧م وافقدته وعيه ، وفي فجر يوم الاثنين ٢٦ شوال ١٣٨٦هـ الموافق ٦ شباط ١٩٦٧م وفي تمام الساعة الخامسة صباحاً فارقت روحه الحياة بداره في محلة العيواضية ببغداد .

وما ان سمعت الاوساط الرسمية بخبر الوفاة حتى اذاعت ذلك من دار اذاعة الجمهورية العراقية ، واصدر مجلس الوزراء بيانا ينعيه إلى العاملين العربي والاسلامي ، معربا عن خسرتهما لهذا الجهد المصلح ، وخرجت بغداد بجماهير للمشاركة في تشيع الجثمان مبتدئة من جامع برatha في الكرخ إلى الكاظمية في مواكب مشهودة ، وقد مشى خلفه ممثل رئيس الجمهورية ، كما اوفد جلالة شاه ايران سفيره الدكتور السيد مهدي بيرايسته ومعه اعضاء السفارة الايرانية للمشاركة في التشيع ، كما شاركت كافة الجهات الرسمية والشعبية في ذلك . وقد تقدمت المواكب امام الجثمان تنعاه إلى مقره الاخير في مكتبة الجوادين العامة مؤسسته العلمية في الكاظمية في تمام الساعة السابعة من عشية اليوم المذكور ، وقد صلى عليه الحجة الكبير السيد محمد مهدي الاصفهاني مع جموع المسلمين في داخل الروضة الكاظمية ، وعند الدفن ارتجل الشاعر المعروف جميل احمد الكاظمي قصيدة أبّن فيها الفقيّد وعدد مزاياه ومآثره . وقد اقيمت له مجالس الفاتحة في داره بالعيواضية من قبل الاسرة وتلتها الفواتح في كل من الكرادة الشرقية من قبل جمعية الصندوق الخيري الاسلامي ، وفي الكاظمية من قبل جامعة العلم ، كما اصدرت بيانا ساعة الوفاة ، وفي كربلاء من قبل الاسرة الشهرستاني ، وفي النجف من قبل الإمام كاشف الغطاء والدكتور عبد الرزاق الشهرستاني ، والحجة السيد عبد الله الشيرازي ، كما أقيمت المجالس في مختلف مدن العراق كالبصرة والعمارة وبغداد الضواحي .

وفي ايران امر جلالة الشاه باقامة مجالس التعزية في مختلف المدن الايرانية وشاركت الجماهير هناك بمثلها ، وأبنته الاذاعة الايرانية في مقالات خلال اربعين يوما بعد وفاته ، وساهمت وزارة التربية والعدل باقامة مجالس الفاتحة وقد القيت في جميعها المقالات والقصائد ، ورثاه في العراق معظم الشعراء منهم.

١. الأستاذ جميل احمد الكاظمي ومطلعها:

كيف يرثى الهدى وترثى الجلاله بالذي فيهما أصاب الاصاله

٢. الشيخ محمد حسين الصغير ومطلعها:

ألمثل مجدل يستطيل رثاء وعلى يدك من الجهاد لواء

جججج

ج

٣. العلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ومطلعها:

حضنتك ساحات الجهاد رسولا فوحت بوحي بيانك التنزيلا

٤. الأستاذ محمد حسين الشيبلي ومطلعها:

الحزن بعد المصلحين يطول والصبر ما وافى الحزين جميل

٥. الأستاذ الخطيب الشيخ سلمان الانباري ومطلعها:

أي شيء يقول فيك الاديب والخطب الموجه الموهوب

٦. الاستاذ حميد فرج الله ومطلعها:

صه يا نعي الم يخرسك منعاه وليس من (ليس للدين) إلاه

٧. الاستاذ صادق محمد رضا آل طعمة بقصيدتين (١) مطلعها:

نجم من العلياء خر إلى الثرى وخبا سناه وكان قطبا نيرا

ج

ج

والثانية مطلعها:

هيا نعزي الدين باسم حماته فالدين في حزن على صنديه

جج

٨. الاستاذ سلمان هادي طعمة ومطلعها:

لا نجم يلمع فوق السهل والجبل وضجت الضاد اثر الحادث الجلل

٩. الشيخ حسن الصغير:

ليل دجا فسمما الفضيلة مظلم وقسا فاخرس بلبل مترنم

ج

١٠. الاستاذ عبد الكريم العلاف وقد ارخ فيها الوفاة واليك المطلع والتاريخ:

قالوا ابو العلم قضى نحبه يا حسرة الدنيا مع الدين

للعلم والاصلاح في قبره ارخ ضجيجا هبة الدين

١١. السيد عبد الله الجوادي واليك المطلع والتاريخ:

خدم الشرع والمعارف نهجا بهدى جده النبي محمد

كان للدين يا مؤرخ (طودا هبة الدين في الجنن مخلص

وقد اقيم للفقيه حفل تأبيني بعد مرور اربعين يوما على وفاته من قبل

لجنة الاساتذة في (جامع براتنا) شارك في مشاهير الكتاب والشعراء

كالدكتور عناد غزوان ، والاستاذ عبد الرزاق الظاهر ، والدكتور حسين

نماذج من شعره

وسيدنا ابو الجواد صرح لي انه ليس بالشاعر الذي يهز الشعور، بل انه
ناظم يدلي ببعض الخواطر عن طريق الوزن والقافية، ولان الشعر صفة
طيبة فقد رأى ان لا يتعزى منها، وقد نظم في الرجز كثيراً واجاد وله
منظومات كثيرة منها.

١. فيض الباري لاصلاح منظومة السبزواري.

٢. المنظومة الكمالية.

٣. ناظمة النحو.

٤. قاضية الامل في اعلام لا تقبل آل.

٥. منظومة في الاصول والفقه.

٦. منظومة في الاخلاق والاجتماع.

٧. اللؤلؤ والمرجان في علمي المعاني والبيان.

٨. منظومة في المناظرة.

وهذه المنظومات طبع بعضها، وقد سجلنا من لسانه بعض ما اثبتناه في
حين ان له مجموعة شعر كبيرة وفيها قصائد عامرة سجل فيها بعض
الحوادث كثورة النجف، وقصيدة الحرية التي وصف فيها تبريز واليك
نماذج من شعره قوله:

بلد فيه خائن وحسود وعلى جوه النفاق يسود
ليس يرضى السكنى به لا وربى فضلاء احرارهم والاسود

جج

وقوله:

رمانى زمانى قسوة بقسيه كذلك من امسى أبيا ومحتاجا
غدا صخرة لما رانى زجاجة ولما رانى صخرة صار زجاجا

وقوله ناصحاً:

هدأ الهائج بالقول العذب فمن الصالح تحذير العصب
ليس يرضى الله والعقل اذا مرجل الامة يغلي بالشغب

وقوله مداعبا وفيه الاقتضاب:

العلم ناجي ومنهاجي ومستندي وملهبي العلم بل شيخي ومعتمدي

وقوله في عام ١٣٢٨ هـ:

رايت اناسا يدعون مهارة لا نفسهم في الكيمياء وفي الجفر
وفي كشف مستور بنجم وفرعة واحضار ارواح ومعرفة السحر
وهم بين خداع وصاحب جنة حول القوى خمس البطون من الفقر
فقلت لهم ان سماء ظاهر عيشكم فهل هذه الاشياء تنفع في القبر

وقوله في نبذ الفوارق ونشد ان السلام والحب:

وطني الارض وقومي البشر اينما كانوا وممن ظهروا
نحن في النوع جميعاً واحد شكلنا يجمعنا والصور
ليس في التربة اللون فما خارطات الارض الا صور

ومن مزدوجاته قوله:

من ابدع الكون كعقد نظيم واودع الدر نظام السديم
طبيعة عمياء جهلا تهيم انى لها هذا النظام القويم

فاقرأ كتاب الكون في نقطة من خط ذي عين ولام وميم
يدخر المحيط في قطرة رشح نداها بحر فضل عميم

مظاهر القدرة في بذرة دوائر الاكوان فيها تقيم
وسنة اللقاح في زهرة تهدى إلى صراطه المستقيم

مناظر الجمال في بقعة حقيرة مراة رب عظيم
وسر الاستكمال في بيضة ينم عن تدبير حي رحيم

وخذ فنون العلم من نملة علمها استاذ فن قديم
ودودة اعد في صخرة معاشها رب ودود كريم

ظواهر الحكمة من نحلة تحكي تعاليم اله حكيم
وهيكل الانسان ذو فكرة منه ومنها حار لب الفهيم

سيرة الحياة في نطفة تطوي سراها بدليل عليم
من نظم الافلاك في حكمة (ذلك تقدير العزيز العليم)

وقوله في الدين الاسلامي:

اذا الابحر السبع انقلبين محابرا واقلامها ما في البرية من غصن
وراموا بان يحصوا محاسن ديننا لما بلغوا معشار ما فيه من حسن

وله مشطراً:

يارب جوهر علم لو ابوح به نصرت ديني وطوقت الورى مننا

وقوله:

على عكس ما كان عندي القوي بخيلا وصعبا ومخشوشنا
رايت اللئيم تجاه الضعيف سخيا ومستسلما لينا

وقوله:

تموج النفس بالشهوات فيكم ودينكم كربال السفينة
عواطفكم متى ثارت عليكم فعقلكم كقاض في المدينة

وقوله ناصحاً

لسانك فاحفظه فللناس السن وفي العين من سوء فللناس اعين
ولاتك مكثار الكلام فكلما بقلبك من طي البيان يبين
وعثرة انسان بفعل وقوله يقال باحسان اذا هو محسن

وقوله بعنوان - التجدد الحقيق:-

ليس التجدد بالتبرنط لا ولا بسدرة كلا ولا بالبهلوي
ان التجدد نهضة ادبية تقضي على الفوضى بمنهاج سوى

وقوله:

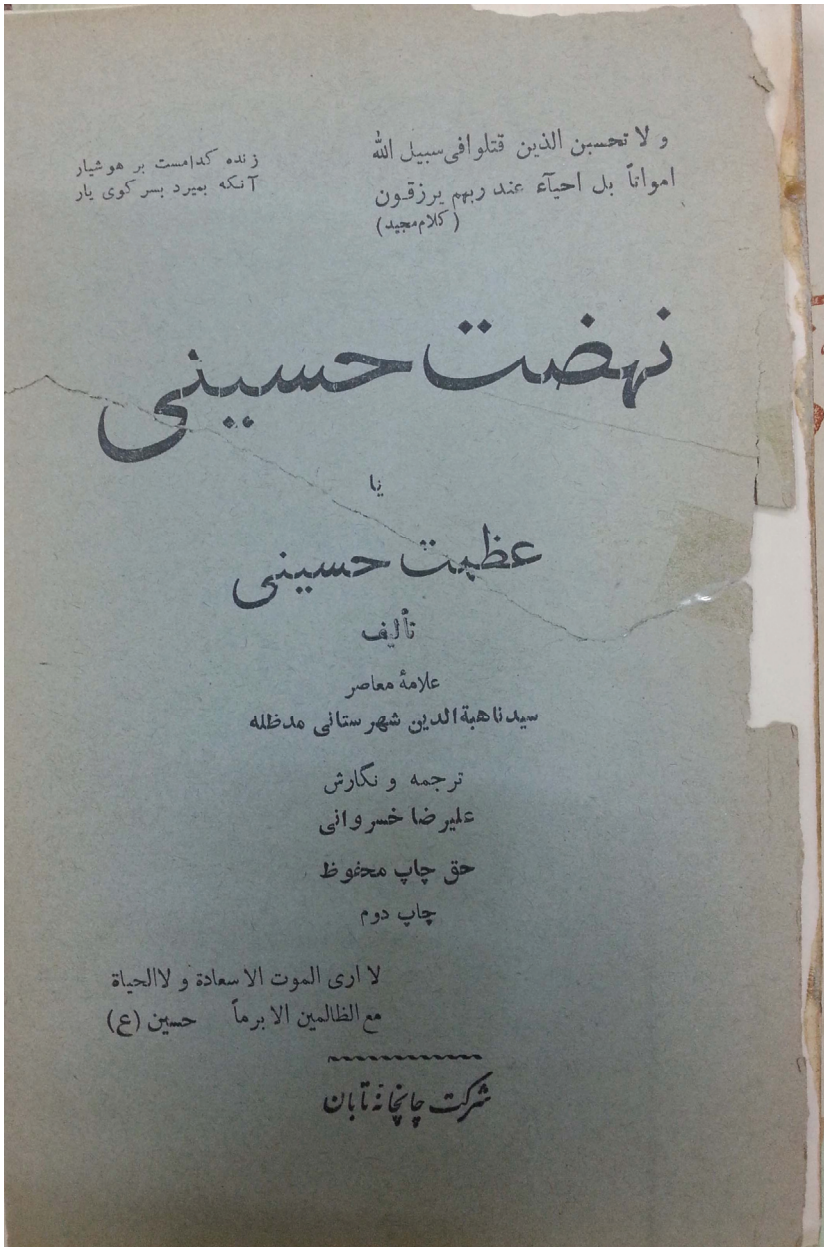
الفوز خير وليد ما بين سعي وراي
كالنبت ينتج خيراً ما بين سقي ورعي

وقوله مادحاً آل البيت (ع):

اذا ضافت بك الاوهام ذرعا فلذ ببني علي الطيبينا
فان حديثهم اكسير صدق يصير كل مشتبهِ يقينا

والحديث عن هذا العلم الفرد لا ينتهي لانه خصب في عقله ودينه ومروته
واخلاقه، حشره الله مع اجداده الطاهرين.

علي الخاقاني



بعد الحمد و الثناء

على مر الزمن، تشهد حياة البشر انقلابات تعمل على تغييره من حيث الكيفية والطريقة.

وبمرور القرون والسنين، يحصل تدريجياً تجدد في جميع الشؤون الاجتماعية للانسان ويحدث تغير في كل شؤونه الفردية.

كما تشهد كل أمم العالم وملله تطورات في الفهم وفي التصورات وتتبنى اعتقادات لا بد منها.

إن العقول الراقية التي تنشد المزيد من الرقي والعقول السامية الباحثة عن الحقيقة -كما البحث عن المعادن في باطن الارض- رأت من الأجدى ان تسبر عمق الامور المعنوية لكسب فهم الحقائق الاصلية. وكما ان الانسان أوجد آلات الطيران ليخلق بها في طبقات الجو ليعجل في خطواته ووصله الى المطلوب، كذلك كان الطيران سجيته التي توصله الى سماء المعاني لفهم دقيق لعالم الباطن.

وكما غاص في قعر البحار والمحيطات الواسعة في الطبيعة ممسكاً بعرى الثقافة والمعرفة الثمينة لازالة الشبهات والجهل عنها، فقد نجح أيضاً في الخوض في قاموس المعاني اللامتناهي للدين والمذهب عن طريق التفقه في امور الشريعة الاصلية وقوانينها و تنقية الاحاديث مما طرأ عليها من الصداً

ولا يمكننا أن ندّعي أنه كشف أو سيكشف النقاب عن ماهية بحر المعاني وحقائقه أو غاص في لجته... هيهات. إلا أن غريزة البحث والتتقيب الذي لا تنتهي عند حد، وهي مما فطر الباري عز وجل هذا الكيان الترابي عليه وجعلها شاخصة في جميع مراحل حياته، لم تكن لتعنتقه من أسرها. فهي تحركه نحو فهم المعاني والحقائق في جميع الأمور، ظاهرها وباطنها.

ولكن فطرة البحث والتتقيب والاستقصاء التي اودعتها يد القدرة في هذا الهيكل الترابي لن تدعه ينعم بالراحة والسكينة في أي مرحلة من مراحل حياته لأن جبلته قد خمرت بخميرة الاصرار على إدراك المعاني والوقوف على الحقائق ظاهرها وباطنها؛ هذا لأن من أنعم عليه بنعمة التفكير والبصيرة لم يهبه القناعة ولا التأقلم معها.

ولأن هذا الكون -بفضل خالقه- لا يقف عند حد، لا ينفك الحرص في المرء يدفعه إلى استكناه العلل الغائية للافاق؛ والحرص هو أحد خصال هذا المخلوق الذي مثل زبدة هذا العالم وتشرف بالتكريم بالادمية.

وعلى راي القول المعروف (ما لا يدرك كله لا يترك كله)، فهو يسعى الى الإبحار باذلاً وسعه راكبا سفينة فكره ومسترشدا بالعقل في هذا المجال اللامتناهي في عالم الطبيعة. وعلى هدي قوله تعالى(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)^(١)، سارت بقيادة نوح 7 سفينة التعمق والتأمل والتدبر في المحيط اللامتناهي للحكمة والفهم، فهو لا يترك القيادة إلا إذا بلغ شاطئ الهداية.

هذا الاجتهاد في استجلاب المنفعة الذي لا يتركه البشر ولا لدقيقة واحدة في قضاء حاجاته المعيشية لنيل الفوز المتتالي هو المحرك له في نيل فهم حقائق المعاني المكتسبة والملحة.

مضت قرون على المسلمين وعلى شيعة اميرالمؤمنين علي 7 ومرت سنين على واقعة كربلاء التي خاضها الامام الثالث الحسين السبط -أروحنا فداه- وملئت صفحات الكتب وسُودت صحائف من الكتابات و نصبت التعازي ومجالس العزاء واجتمع محبو الحسين 7 وتحلق مريدو آل الرسول على ذلك وبكو كثيرا وضجوا بالنحيب والبكاء، لكن علينا أن نعترف بأن عدداً قليلاً من الشيعة والخواص من هذه الطائفة أدوا كل ذلك بقدر كبير من المعرفة. اما البقية الباقية فلا نعرف منطلقاً لبكائهم ولا سبباً داعياً له. فمن كتب كتاباً

(١)العنكبوت: الآية ٦٩

وكم من قول لا قيمة له من غير فعل، وكم من طاعة كثيرة لا قيمة لها من دون اخلاص، لا تساوي حبة خردل. اذن لا تكون حقيقة التقرب الى الحسين 7 إلا بالاتصاف بصفاته، ومعنى الزلفى ومرضاته يكونان في التخلق بأخلاق الامام 7 لا غير.

إن آثار النهضة الحسينية وقيام أبي عبد الله -أرواحنا فداه- أكبر مما يتجلى لأنظارنا وأسمى مما يخطر في أذهاننا، بل أن تأويلات بعض ضعاف العقول من الشيعة والمسلمين وتعاييرهم في تقييم هذه الحركة العظيمة والثورة الخطيرة كانت سبباً في ازدهارها وإظهارها بما لا يليق، على أن ما يقصدونه هو التعظيم والتكريم، فجاء بغير المطلوب وهو الازدراء. والحق أن صاحب الشريعة الاسلامية والناهض بهذه الحركة التاريخية المهمة لم يكونا ليقرا بأدنى هذه التأويلات وأغلب هذه التشكيلات المتصدية لهذا الأمر.

إن ما يفرضه عالم التجدد والتجديد هو ضرورة الكشف عن هذه الحقيقة النيرة تدريجياً لازالة الغمام عن وجه هذه الشمس المضيئة، وستحتاج هذه المهمة إلى رجال أبطال معروفين، لتظهر شيئاً فشيئاً قدرة خالق الكائنات وتأييد سيد الكائنات من بين هذه الجموع الجديرة بالمدح والثناء، لبيينا المراد الأصلي و المقصود الحقيقي، بمعنى أن يعيدوا الحق الى محله الاصلي و يوضحوا الحقيقة في عين المفكرين.

سعى العلماء الحاذقون والعقلاء المغتتمون للفرص إلى تقديم ثمرة جهودهم التي حققوها في سنين عدة وأفنوا أعمارهم في سبيلها، تفادياً لضياح الوقت وحتى لا يستشعروا التقصير؛ فبادروا الى هداية التائهين في وديان الضلال والجهل، وعملوا على إرشاد الناكبين عن صراط الحقيقة، وخلصوا المعاني من قشور الألفاظ، وكشفوا عن نور الحقيقة بإزالة الزبد بعدما نشروا رسائلهم المكتنزة بالحكم؛ واعتمد آخرون الأصول المعرفية سبيلاً إلى الأهداف السامية من خلال بيان ما قدمه أولياء الله. لقد عمل العلماء على إصلاح أسس الشؤون الدينية في المجتمع وهدايته إلى أصل الحقائق.

ومن جملة هؤلاء العارفين العلم الحجة التحرير فيلسوف الفقهاء وفقه الفلاسفة، سيدنا هبة الدين الشهرستاني (أدام الله ظله) الذي عقد المهمة على تبين شخصية إمام الكونين أبي عبد الله الحسين 7 لأفهام عامة الناس، وتمكن بقلمه الرصين من إيضاح مكانة الإمام الحسين 7 من أنه ليس كما

لكن بعد أن خرج الى النور كتاب (نهضة الحسين 7)، وترجمت عنوانه الى اللغة الفارسية، بفكري القاصر البسيط، بعبارة (عظمت حسيني)، كما سيمر على القراء المحترمين، تجلت الصورة الرائعة والمعاني السامية ل نهضة سيد المظلومين، السبط الثاني لخاتم الأنبياء، وما حققه من إنجازات قصمت ظهور الظالمين؛ تلك الانجازات التي لم تبق مجالاً لإنكار مقامه حتى عند أعدائه. فلا يمكن أن تخفى نتائج هذا الأثر التاريخي على أحد، فمن قرأه بدقة علم ان سلوك الحسين 7 كان المثل الأعلى للتضحية وأن نهج الحسين 7 يمثل الخارطة التي تفضي إلى السعادة لمن يطلبها.

ليس من مرشد في الدنيا أهدى للشباب من عقيدة الحسين.

ونداء الحسين 7 لجنود الحق في العالم هو المصباح الأزهر لتطبيق أدق معاني الشهامة والغيرة والحمية. ان الحسين 7 عنوان المروءة والوفاء..

لقد ضحى الحسين 7 بنفسه ولم يداهن الظالمين. قضى الحسين 7 نحبه في ساحة الشرف ولم يبايع الظالمين ولم يذعن لهم. وصبر الحسين 7 على ما ينتظر أهل بيته والشباب والاطفال وبقي مرفوع الرأس ولم يقبل بالذلة. لم

كان السبب الذي دفعني الى ترجمة هذه الرسالة -ولي الشرف في ذلك- هو رغبتني في أن ينتفع أخواني الشيعة الإيرانيين وشباب بلدي العزيز من هذا الكتاب المفيد، ويتعرفوا على أحوال سيدنا وسيد شباب أهل الجنة وعلى الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والفلسفية والدينية لهذه النهضة التاريخية العظيمة؛ هذا فضلا عن رغبتني الشديدة في ترجمة الكتاب الى الفارسية ونشره بلغة أهل وطني.

أما السبب الآخر لقبولي فقد كان نزولا عند طلب بعض أصدقائي الاعزاء، وتلبية لاوامر اساتذتي الافاضل والمربين الروحانيين. وقد سعدت كثيرا بالخصوص عندما شرفنا العلامة الشهرستاني مؤلف الكتاب بالقدوم الى

ورافقت العلامة عند زيارته لحرم الامام علي بن موسى الرضا-على مشرفه آلاف التحية والسلام- وكان العلامة حينئذ يحمل معه النسخة المصححة من الطبعة الثانية للكتاب، وكانت فيها من المزايا ما يفوق الطبعة الاولى، فزادني فخرا عندما كلفني بترجمتها. وحاولت -مع ضيق الوقت وقلة الخلفية العلمية- ان أترجم جزءاً مهماً من الكتاب وأسمعه العلامة الشهرستاني. وكان من نعمه الزائدة ومنه الكبير أن ناولني مخطوطة الفصلين الواردين في نهاية الكتاب اللذين لم يردا في نسخة الطبعة السابقة.

وقد كان هذا العطف وتلك العناية هما ما ميز النسخة المترجمة عن النسخة الاصلية المطبوعة.

اتمنى أن تكون هذه الخدمة البسيطة مقبولة عند الامام الحسين 7 وتكون ذخرا لكاتبها الأصلي ومترجمها وقارئها، لأن (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)^(١). كما أتمنى ان تكون موضع عناية المثقفين والعارفين ورواد الاخلاق والفضيلة، كلما لاحظوا أخطاء في نص الترجمة وعباراتها أن

(١) النحل : الآية ٩٦

وايضا قال المترجم :

وفقنا الان بعناية الباري عز وجل إلى طبعة جديدة لهذا الكتاب، ورأينا ان من المناسب أن نضيف بعض الرسائل التي وصلت الى المؤلف الجليل بعد طبعته الاولى للكتاب والذي منّ عليّ العلامة الشهرستاني بارسالها إليّ من بغداد.

أحد هذه الرسائل تخص السيد صادق نشأت مدير المدارس الايرانية (بين النهرين) التي كتبها الى العلامة الشهرستاني والتعليقات المدونة في بعض أهم صحف طهران التي نشرت تبين المشاعر الاسلامية بعد الطبعة الاولى. نريد أن ننقلها في هذه الطبعة كي يقرأها جميع القراء ولنعرب عن شكرنا وتقديرنا لكتاب تلك المقالات.



١- آية الله مولانا هبة الدين (أدام الله ظلّه) كتب في بغداد مقدمة بتاريخ

٩ صفر سنة ١٣٥٩هـ.

... قضيت ثلاثة ايام أطلع المجلدات الأربعة من كتاب (عظمت حسيني) التي جاءتني أفضل هدية وعيدية ليقراها ويطلعها الأحباب وتنقلت من يد الى يد حتى ثارت الإعجاب واستجلبت الشكر والكثير من الدعاء.

في الحقيقة، مع قراءتي لهذا الكتاب الجليل المنزلة (عظمت حسيني)، وجدت نفسي أتحوّل واتجول في عوالم جديدة تجلت لي خلالها العظمة والقدرة لفكر هذا المترجم المبارك والقلم المتميز، إذ تركت ترجمته بصمتها جلية على روحي ونفسي لما جسده من دقيق المعاني لدرجة أوصلتني الى قناعة مفادها أن هذه الترجمة فرع مزيد على أصلها، لا بل ينبغي أن نقول انها الأصل والأصل هو الترجمة لها. ويعد هذا العمل الأكبر من نوعه من بين مجموعة الاعمال المباركة لهذا العالم القدير التي قدمها للامة الاسلامية، ودرّة التاج والحلقة الممتازة. وسترون ان هذا العمل مسجل في صحيفة الاعمال وصفحات التاريخ وله الاجر الجزيل المقرون بالثناء الجميل الدائم. ومهما حاولت الاختصار، فانه -كما أرى- وبسبب جاذبية جمل هذا الكتاب (عظمت حسيني)، سيجرني الى تأليف كتاب آخر في تقيظه.

لذلك اغلق بيان القلم وأجدد الشكر والتقدير وأختم رسالتي بذلك ... الخ

٢- وايضا أرخ العلامة آية اللّهي في ٩ من ربيع الثاني سنة ١٣٥٩ بعد
تعايير جميلة، استهل كلامه هكذا:

اقدم لكم رسالة رئيس المعارف أو مدير الثقافة الايرانية في بغداد السيد
صادق نشأت الذي يشغل منصب المدير العام للمدارس الايرانية (بين
النهرين)، ومن أفاضل العلماء، التي كتبها لي مبيناً رأيه النفيس وتقديره في
كتاب "نهضة الحسين 7" و مثل ذلك للترجمة الثمينة وأهميتها... الخ.

والان نقدم لكم نسخة من تلك الرسالة التي يحتفظ المترجم بنسختها الأصلية:

سيدي الجليل

في هذه الايام قرأت كتاب (عظمت حسيني) الذي حرره قلمكم الذي يحاكي
معجزة القرآن الكريم والذي أضفى السيد علي رضا خسرواني زينة من لغة
"سعدي" و"حافظ". وقد أسرني فيضه الروحاني بسحر جعلني -وبلا شعور-
أكتب هذه الاسطر.

لقد خدم السيد خسرواني بهذه الترجمة أبناء جلدته الاعزاء خدمة كبيرة وهم
الذين كانوا، وعلى مدى قرون، متعطشين الى معرفة مثل هذه الحقائق.
وكنتم أنا وأمثالي ولسنين نتمنى رؤية هذا النور، والحمد لله الذي وفقنا إليه.

ولم يكن ذلك ميسوراً لعشاق الشهامة والجلالة الحسينية الباحثين عن عظمة اسرار الشهادة في ذلك العظيم، الا بقراءة مثل هذه الرسالة ومطالعنها والاهتداء بها كدليل. والان، وبفضل هذا التوفيق، صار متاحاً للخواص والعوام من الناس وبسهولة أن يفوزوا بكل ذلك إذا ما تهيأت لهم نسخة واحدة من هذا الكتاب. لا يكفي أن نقدم الشكر والامتنان ويغمرنا السرور بذلك، بل علينا أن نرفع إليكم أسمى مراتب التقدير والاحترام لكم أولاً، لأنك صاحب هذا العمل الخالد والتحفة الباقية، ثم نوصل ذلك كله إلى السيد خسرواني الذي كان حبه للحقائق والخدمة في ميدان العلم والعرفان سبباً دفعه الى ترجمة هذا العمل.

أدعو الله تعالى أن يوفق أبناء بلدي لمطالعة مثل هذه الآثار وطاعة أئمتهم العظام ويوفقنا جميعاً للسير على هدي دين الاسلام والائمة الذين هم قدوتنا في الدنيا والاخرة.

المخلص - صادق نشأت

٣- تعليق في الجريدة المعروفة بـ(ايران) العدد ٦١٤٠ للسنة الرابعة والعشرين بتاريخ الاربعاء ١٥ اسفند سنة ١٣١٨ تحت عنوان الكتب الجديدة والتي ننقلها لكم في ذيل الصفحة.

الكتب الجديدة

عظمت حسيني

وصلت الى الادارة نسخة من الكتاب النفيس الذي تمت ترجمته وطباعته ونشره مؤخراً.

هذا الكتاب كتبه السيد هبة الدين الشهرستاني، وهو من أفضل العلماء المعاصرين باللغة العربية. وترجمه بلغة رصينة الى اللغة الفارسية السيد علي رضا خسرواني الرجل المحب للعلم والأديب الفاضل. وقد أولى الكتاب عناية مميزة في الطباعة والتجليد.

موضوع هذا الكتاب تاريخ فاجعة استشهاد سيد الشهداء 7، وما يميزه عن باقي الكتب أمر واضح وجلي، حيث أنه تناول الموضوع بالتعليل ومن منظور فلسفي واجتماعي، وسعى المؤلف الفاضل إلى الوقوف على الجذور الحقيقية لهذه الواقعة التاريخية. وبهذا يعد كتاب (عظمت حسيني) أعلى مرتبة من مثيلاته من الكتب التي تم تناولت هذا الموضوع. وقد استقصى الكتاب بدقة الحوادث التاريخية وجاء بتعليلاتها على الوجه الصحيح.

وسيطول بنا المقام إذا أردنا إيراد شواهد من الكتاب على ما نقول، لكننا على ثقة أن من يتوق الى استطلاع جلية الأمر، سيسعى إلى الحصول على نسخة من الكتاب ويطالعه.

ومن هذا الكتاب يتعلم القارئ درساً في الفضيلة والتقوى والشهامة والشجاعة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ. فمن مثالي هذا الكتاب سيتعلم كيف تكون التضحية من أجل الإيمان بالحق والحقيقة، وفي قبال ذلك، السلوك المنحرف والغدر والمكر والشر ووما يترتب على ذلك من النتائج السيئة التي لا تخفى على ذي بصيرة.

من هذا المنطلق، لا يعد كتاب (عظمت حسيني) مجرد كتاب تاريخي تقليدي، ولا سرداً لواقعة اليمّة تكررت مشاهدتها فحسب، بل هو، مع كل ذلك، كتاب أخلاقي على جانب كبير من الفائدة. في الكتاب دروس كبيرة في فضل الشجاعة واتباع الحق والحقيقة والتقوى والزهد، خاصة عندما يكون استاذ هذه الدروس هو الامام الحسين بن علي 7.

أثناء مطالعة هذا الكتاب، تتضح مسألة أخرى مفيدة للمهتمين بالبحث التاريخي، وهي كيفية التحقيق في القضايا والوقائع التاريخية والبحث في جذور الحوادث والتحليل والتفسير المنطقي لتلك الجذور، وهي طريقة جديدة ظهرت في كتابة التاريخ وتعد مفيدة ونافعة من حيث تجلي الحقائق والمسائل الاجتماعية.

هناك موضوع آخر يخص ترجمة هذا الكتاب الذي بقرائته يتضح للقارئ أن على المترجم الفاضل، إلى جانب تمكنه من اللغة العربية، ان يكون له باع

ويظهر لنا جلياً، انشاء مطالعتنا للكتاب ان المترجم الفاضل، فضلا عن تمكنه من اللغة العربية، فهو على جانب كبير من الفضيلة والأدب وسعة الاطلاع، وله احاطة تامة بفنون لغته الأم ومتمكن من ادواته ويتمتع بموهبة وذوق سليم في التأليف. ومن الجدير بالذكر انه كلما كان الكتاب الاصل جيد التحرير متميز الموضوعات، صار لزاما عند النقل ان يكون مترجمه على احاطة تامة بموضوع الكتاب الذي يترجمه ليؤدي حق الترجمة. ومن خاض عباب بحر الترجمة يعلم ربّ ترجمة كانت أشقّ من عملية التأليف نفسها خاصة في المواضيع التي تحمل طابع استقصاء تاريخي او فلسفي او علمي او فني. ولهذا السبب، وكما يرى البعض، فان الترجمة ليست بالعمل اليسير.

لقد صحب ترجمة هذا الكتاب الحب والشوق لأصل الموضوع؛ ويعزى هذا كله إلى شخصية السيد خسرواني الذي يعد من الفنانين والمحبين لموضوع الكتاب ودروسه الاخلاقية. وقد حافظ على فصاحة اللغة الفارسية وبلاغتها الى الحدود التي يسمح بها الموضوع وتتيحه الترجمة.

برأينا، كلما اتسمت الكتب التي تبحث الجانب الاخلاقي وتعطي دروسا في الفضيلة والتقوى والشهامة والشجاعة بالقوة واخذت مكانتها بين الكتب

٤- في الجريدة اليومية (اطلاعات) العدد ٤١٤٢، كُتِبَ تعليق بتاريخ يوم السبت، العاشر من شهر فروردين سنة ١٣١٩ هـ ش، أيضاً تحت عنوان الكتب الجديدة ونقله لكم بالحرف الواحد.

الكتب الجديدة

عظمت حسيني

لا يعد تأليف الكتب التاريخية أمراً ميسوراً لأي أحد، خاصة تلك التي تبحث تاريخ الأديان، فكل عصر وزمان خصوصية في أحداثه، وقد اختلط الغث بالسمين وأصبح من الصعب الحصول على الحقائق من خلال التكهن بمجرياتها.

وفي عصرنا هذا، فتح تقدم العلوم المادية بشتى جوانبها السبل أمام الاستقصاء الدقيق للأمور المعنوية، وتم التوصل من خلال تحليل الصفات المادية للبشر، الى ان الاجسام في الطبيعة لها ميل الى التركيب والتجانس وبمقادير معينة إلا ذات واجب الوجود، فهو فوق حد التفكير وحدود العقل وخارج ما توصل اليه العلماء والمفكرون.

ان الحاكمية المطلقة للقاعدة الرياضية التي مفادها (وكل شي عنده بمقدار)، تشمل كل الحقائق المادية والمعنوية، وعليه يكون تتبع الاثار وطرق معرفة النسب الرياضية والفيزيائية مبنياً على هذه القاعدة. ويذهب الباحثون الى الاعتقاد ان للتاريخ الاهمية نفسها، فهو صفحة مصير الحياة البشرية وسيرتها . وليس القصد من كتابة التاريخ هو جمع الحكايات التي تتناقلها الألسن، بل ليس للمؤرخ ان يرتب اثرا على هذه المرويات المتشابكة ولا يصح له بمكان السعي إلى تجميع المواضيع التي لا تنسجم مع التحولات والتركيبات الرياضية.

وقد اصبحت كتابة التاريخ في وقتنا الحاضر ترتبط بصورة كاملة مع مجريات الأحداث والتيارات والشؤون الاجتماعية، وهذا الارتباط الذي بات ملموسا بشكل ملحوظ، كان له الحضور في الماضي ايضا. لكن ما كان خافيا عن أعين الكتّاب هو العلاقة بين العلة والمعلول، فلم يعيروها بالغ اهتمام.. ومع هذا فان ما وصل الينا من إرث تاريخي له قيمته، فلا يكون

لقد انفصلت كتابة التاريخ في وقتنا الحاضر عن الصحافة وابتعد عن نسج الخيال والشائعات التي أخذت شكل الاسطورة، وارتقى التاريخ إلى مصاف اهم العلوم حيث تتم ملاحظته والاهتمام به من كل الجوانب.

واليوم، وبعد ان اصبحت الصلة الرابطة ما بين العلوم محدّدة ومعلومة، واتضحت شواخص العلة والمعلول والأسباب الفلسفية، ومع وجود كثرة الوسائل الاعلامية في الاطلاع على الاحداث كالصحف والكتب والاذاعة والتلغراف وغيرها، لا يزال من الصعب على من يريد اعادة كتابة التاريخ ان يدون الحوادث وينسج خيوطها ويسلسلها طبقاً للموازين الحديثة المعتمدة في كتابة التاريخ.

ولهذا تعد كتابة التاريخ بالاسلوب الحديث عملاً شاقاً تستلزم المهارة ليتمكن المؤرخون من كتابة التاريخ القديم بطرق حديثة وبمعادلات رياضية وقواعد فلسفية لاستخراج الوقائع من قلب الحدث بحقيقتها وبشكلها الاجتماعي كما حصلت في وقتها.

وقد بات بديهيا في عصرنا الحاضر ان من يريد ان يشرع في كتابة التاريخ، وينضم إلى قافلة المؤرخين، أن يستعد لتحمل العناء والمشقة، وإذا أراد ان يجمع كل ما سمعه او قرأه فيسطّره على أنه من التاريخ فانه -بحساب اهل البصيرة- لا يعد مؤرخا وانما كاتب أساطير.

تظهر قيمة الكتب من صفحاتها الاولى، عندما توضع في ميزان المعرفة العلمية؛ ولهذا السبب، تغنيك قراءة صفحة أو صفحتين من بعض الكتب للوقوف على قيمتها العلمية، فالهدف من مطالعة مواضيع اي كتاب هو الارتقاء بالمستوى العلمي. وإذا لم يكن همنا من الأمر العلم والمعرفة، بل تجميع الكتب وحسب، فلن نجني باقتنائنا إياها إلا حملها الثقيل.

إن كتاب (عظمت حسيني) هو من الكتب التي تلقفتها المطابع مؤخراً، ولها المقام والرتبة المهمة والعالية. يشدّ هذا الكتاب، ومن صفحاته الأولى، أصحاب الرأي الدقيق إليه، وكلما استرسلت أنا شخصياً في قراءته ازدادت قيمته في نظري.

ان كتاب (عظمت حسيني) هو الترجمة للكتاب الذي كتبه العلامة المعاصر السيد هبة الدين الشهرستاني. تناول هذا المؤلف العالم الحركة الحسينية وفاجعة الطف من مصادرها الموثوقة وكتبها، ونشرها في كتاب أسماه "نهضة الحسين 7". وقد جمع هذا الكتاب كل المعايير التي ذكرناها في كتابة التاريخ، وقد بذل السيد الشهرستاني الجهد الكبير في لملة أحداثه وكتابة

وقد بين في هذا الكتاب الفاجعة الكبرى لواقعة الطف، ومكانتها، وعظمة شخصية الحسين عليه السلام، واسباب وقوع تلك الرزية. كما عرّج على ما امتاز به شهداء كربلاء من الفضائل الدينية والاخلاقية، فهم القدوة الكبرى لاتباع الحقيقة.

مترجم كتاب "نهضة الحسين 7" هو الرجل الفاضل الورع السيد علي رضا خسرواني. وهذا المترجم العالم، له الاحاطة الكاملة بالأصول والمبادئ الاسلامية ومتعمق بتاريخ الشعوب عامة وعلم الاجتماعي وايمانه واخلاصه لعظمة مقام الامام الحسين بن علي 7. ومع ان كتاب (عظمت حسيني) هو ترجمة لكتاب "نهضة الحسين 7" إلا أنه، عند وضع الكتاب في ميزان المفاضلة مع الكتاب الأصل، نجد انه لا يقل عنه قيمة، بل انه يحوي مزايا اكثر.

يتمتع اسلوب السيد خسرواني في الكتابة بأنه سهل جميل محبب، يجذب القارئ اليه، كما يلاحظ فيه انتقاء الكلمات المؤثرة والمعبرة البليغة التي لها وقع في النفوس. تميز الكتاب المترجم (عظمت حسيني) عن الاصل بوجود الفصلين الملحقين اللذين اهداهما المؤلف المحترم إلى المترجم. ومع أننا

جرى كتاب (عظمت حسيني) في استعراض فاجعة الطف مجرى اهل التحقيق المعاصرين وبين الاحداث وتسلسلها بالموازين المعنوية والرياضية والربط بين العلة والمعلول.

وتعد مصادر الكتاب التي اعتمدت من المصادر الموثوقة ومن الاثار الباقية من القرن الرابع للهجرة. ومن البديهي ان الاثار التي وصلتنا من تلك الحقبة مصادر نقية صافية خالية من الافتراءات ولم تتلها يد الزخرفة والتلوين من القرون التي تلتها.

تشكل مطالعة هذا الكتاب قيمة كبيرة بالنسبة لطبقة الباحثين الذين ينشدون ضالتهم في تتبع حقائق الامور، واهمية خاصة لاهل التحقيق والعلماء الذين يتتبعون التاريخ الاسلامي والمتقنين الذين يولون فلسفة التاريخ اهتمامهم الخاص.

ولأن موضوع فاجعة الطف له الاهمية الكبرى في العقيدة الاسلامية، كان لكتاب (عظمت حسيني) مهماً للعلماء و الباحثين ومتتبعي الحقيقة لمتكلمي

٥- تعليق في جريدة (فريده كوشش) العدد ٥٠ السنة الثامنة عشر، نشر بتاريخ الخميس ١٦ اسفند سنة ١٣١٨ هـ ش نقله لكم بنصه:

عظمت حسنى

بعد ترجمة كتاب (اصل الشيعة) الذي نشر باسم (جذور الشيعة) شرع العالم القدير السيد علي رضا خسرواني بترجمة واحد من أفضل الكتب التاريخية والدينية ووفق لطبعه ونشره.

هذا الكتاب القيم، كتاب "نهضة الحسين 7"، تأليف العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني الذي تناول سلسلة الاحداث التاريخية لفاجعة الطف بإسلوب جديد وحديث مستعينا بمصادر موثوقة، نسج خيوط احداثها بدقة وبالذوق الرفيع لأهل التحقيق المعاصرين ومنهج بحيث جسدت المشاهد الحقيقية لهذا الجانب التاريخي..

ان هذا الكتاب خير مصدر لمعرفة الدروس والعظات المهمة لواقعة الطف حيث انه يطلع القارئ على الاسباب الاجتماعية لهذا الحدث الجلل وفلسفته الدينية ليتجلى له بحق ان الحسين 7 رمز الحق والفضيلة والمثل الاعلى للإيمان والإرادة والصدق والعفة والكمال والإيثار على طريق الحق.

لقد بيّن كتاب "نهضة الحسين 7" للعلامة الشهرستاني، سلسلة احداث كربلاء بشكل مبسط وسهل من حيث انها محل اهتمام الشيعة الخاص وموضع نظر العلماء والفضلاء من المهتمين بالتاريخ.

وقد كتب العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء مؤلف كتاب (اصل الشيعة) شرحا عن كتاب "نهضة الحسين (ع)" كما اهتم محمد زغلول باشا في سنة ١٩٢٧ ميلادي بقراءة هذا الكتاب ايضا وشهد بأهمية موضوع واقعة الطف وأشاد بمؤلفات الشهرستاني.

كتب العلامة الفاضل والشيخ الكبير الطنطاوي الجوهري فصلا عن كتاب "عظمت حسيني" واعرب عن سروره وفرحه بتأليف "نهضة الحسين 7".

كما أبدى الدكتور محمد فاضل الجمالي المدير العام السابق لوزارة الثقافة العراقية وامير شهاب علوي رأياً مماثلاً بخصوص تأليف هذا الكتاب الثمين.

وبذل الفقيه الفاضل السيد حبيب العبيدي، مفتي مدينة الموصل جهدا كبيرا في التدقيق وهو من الأعلام في البحث التاريخي وفي ما جرّه التاريخ من الفجائع.

عندما نمعن النظر في كتاب "نهضة الحسين 7" من صفحاته الأولى، نرى ان الفضائل والاخلاق الحسينية عظيمة وراقية لدرجة أنه -وعلى رغم مرور

بطبيعة الحال، لا يتيسر لنا هنا ان نذكر خلاصة هذا الكتاب، لكننا نقول للساعين دائما الى فهم أصول الأحداث، أن قراءة كتاب "نهضة الحسين"7 الذي كتبه العلامة الشهرستاني، دون أن يضيف عليه التزويق والتتبيق، سيغنيهم عن قراءة العديد من الكتب الأخرى.

عندما وُفقت لقراءة الكتاب المترجم الذي ترجمه ونشره العالم الفاضل السيد علي رضا خسرواني، وعلى رغم اطلاعي ومعرفتي بفاجعة الطف منذ الطفولة وكثرة قراءاتي حول هذه الرزية العظيمة، فقد طرقت أبواباً جديدة تقود النفس إلى مزيد من القدسية لشخصية الحسين7 الفذة، بفضل اسلوب المؤلف الإنشائي، والحس العاطفي والانشاء اللطيف الذي تمتع به المترجم.

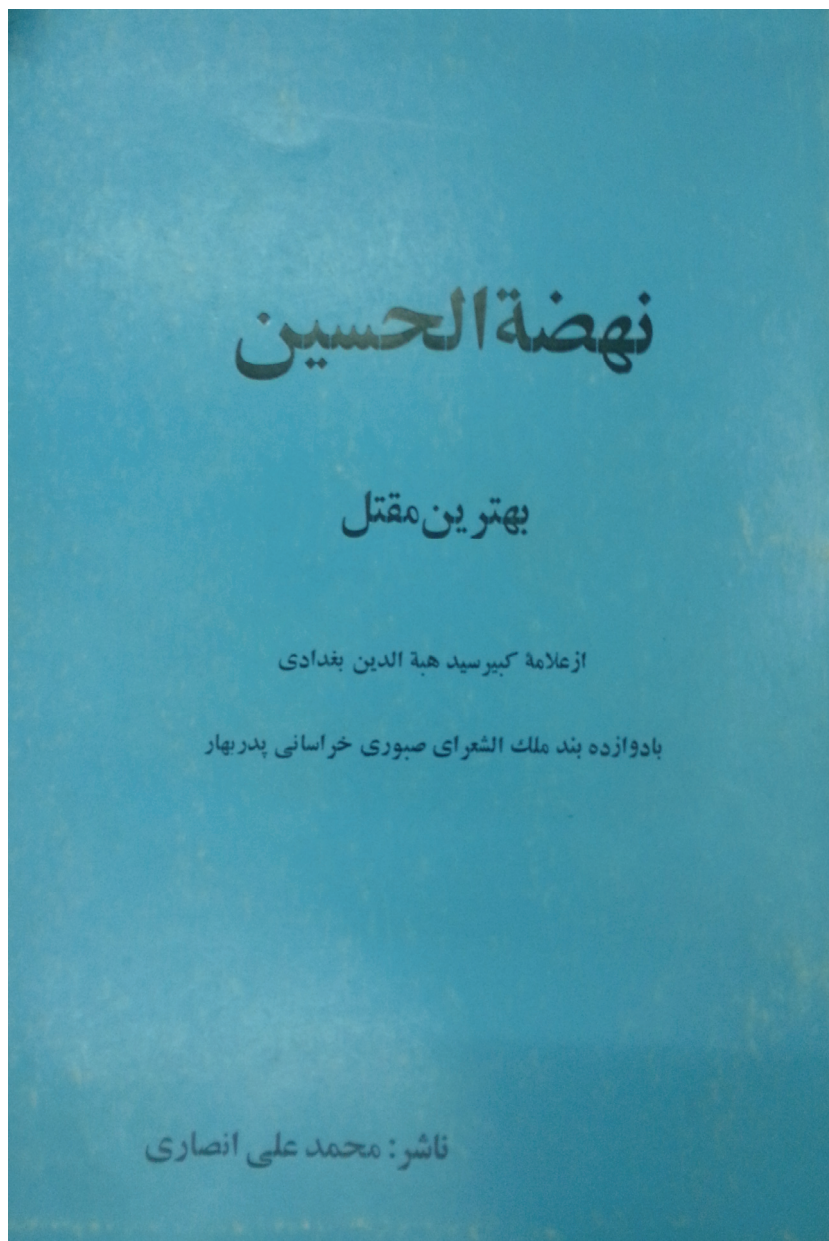
لقد قام السيد خسرواني في مقدمة الكتاب بكتابة بحث اجتماعي تاريخي دقيق زاد في قيمة الكتاب فضلا عن ميزاته الأخرى. أضف إلى ذلك أن ترجمة السيد خسرواني امتازت عن الكتاب الأصل بأنها مزيدة بفصلين آخرين من أهداء السيد الشهرستاني لم يدرجا ضمن النسخ العربية ولم يطبعا، وهما تنمة للتحقيقات التاريخية للسيد الشهرستاني.

وعلى هذا، يكون بين يدي القارئ الفارسي كتاب زادت فصوله عن فصول
النسخة الاصلية للمؤلف.

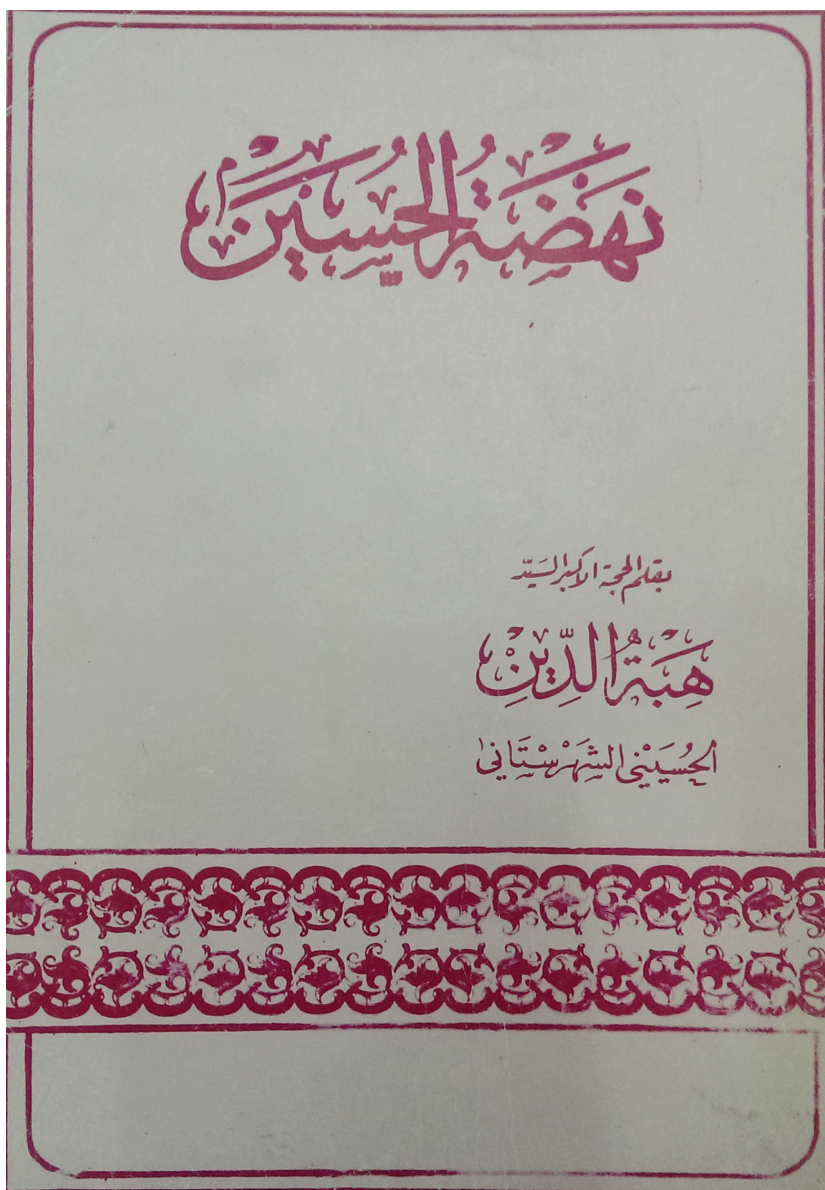
وختاماً...

بعد التقدير والثناء الذي أغدقه كَتَّاب التعليقات المدرجة في المقدمة
المحترمين الذين نظروا الى هذا الكتاب نظرة تفاؤل وأولوه عنايتهم، واسرونا
بلطفهم، ألفت انتباه القراء المحترمين الى هذه أمر مهم، وهو أنه عند الطبعة
الاولى للكتاب كنا نرغب ان يكون اسم الكتاب مطابقاً للنسخة الاصلية
(نهضة الحسين 7) (نهضة حسيني) لكن واقع الظرف حرماننا من ذلك
وأسميته (عظمت حسيني). والان وبعد زوال ذلك المانع، أعدنا تسمية
الطبعة الجديدة بـ(نهضة حسيني)، واسأل الباري عز وجل التوفيق لقراء هذا
الكتاب.

العبد علي رضا خسرواني قاجار



غلاف الطبعة الفارسية (السابعة) / للناشر محمد علي الأنصاري



مقدمة الطبعة الثامنة

كلمة الدار

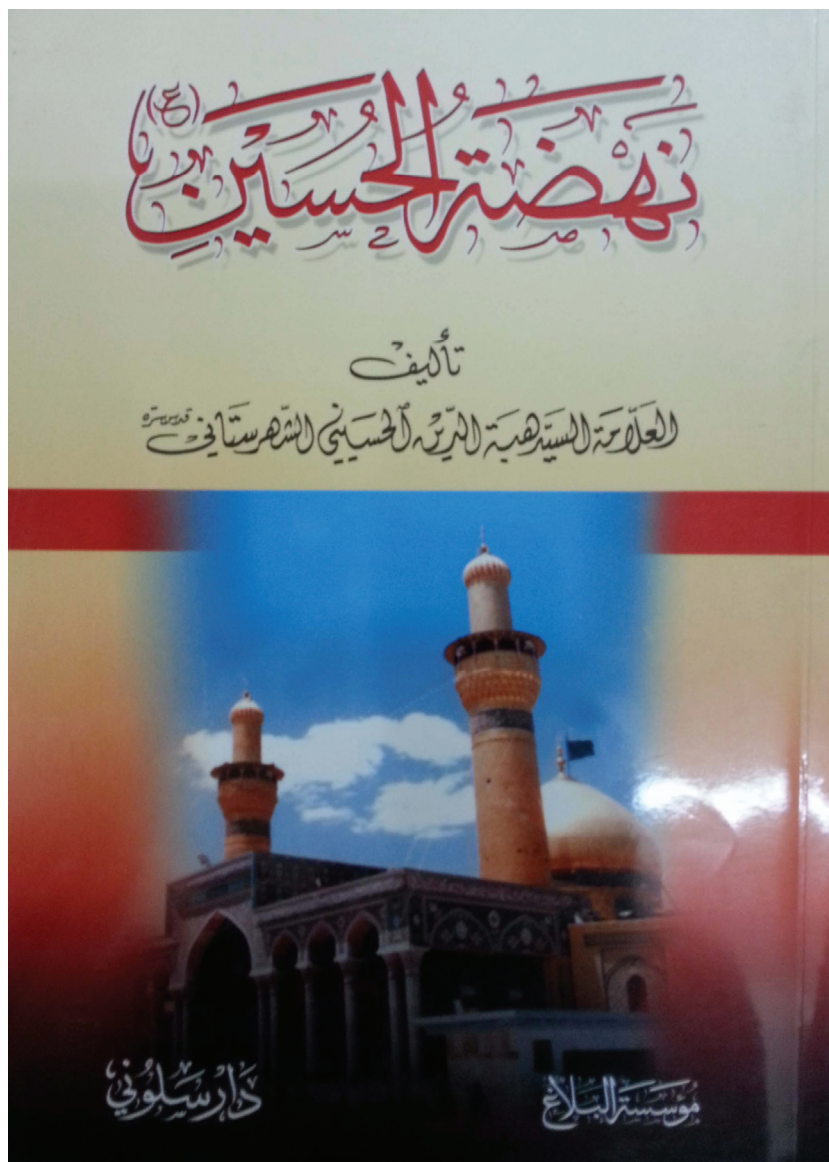
كتب سماحة الامام الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء قدس الله روحه يقول (: كتاب : نهضة الحسين) الاثر الجليل الذي مازلت انوه به وأحث عليه منذ ام رايته قبل برهة .. لا رعاية لحقوق الصداقة والاخوة .. بل عناية بحقوق الحق والمروة , فانه من الاثار الخالدة التي هي من كتب الدهر لامن كتب العصر .. ومن الجاريات مع الابد لا الساريات الى امد .. ومثل هذه الكتب هي التي تنضح الافكار . وتنشط العزائم وتبعث في مطالعيها روح الهمة للتفاني على الحق .. والتهالك على الالباء وعزة النفس ..)

ونحن بهذه العبارات المشرقة ذات اللفظ القليل والمعنى الجزيل نكتفي في مجال التعريف بالكتاب وتقريضه .

اما مؤلفه فمن اشهر مشاهير الشرق ،وممن سرى ذكرهم في الخافقين مشفوعا بالإجلال والاكبار ومن الافذاذ الذين رفعوا رؤوس امتهم عاليا في مواصلة جهاده الديني والعلمي منذ نعومة اظفاره حتى اخر لحظة من حياته الغالية المفعمة بالخير والبركة والعطاء البر الخالد والنتاج الضخم المفيد .

ان اثاره العلمية هي ارووع واعود جانب من جوانب حياته المثمرة المتعددة الفوائد والعوائد، والحق ان مؤلفاته القيمة قد سدت فراغا لا يستهان به في

سدد الله خطي الجميع ووقفنا لما يحب ويرضى انه سميع عليم غفور رحيم .



مقدمة طبعة التاسعة

دار سلوني

مؤسسة البلاغ

ترجمة المؤلف

هو السيد محمد علي هبة الدين بن السيد حسين عابد بن السيد مرتضى بن السيد محمد أبن أمير سيد علي الكبير بن السيد منصور الخراساني بن أبي المعالي المشهور بـ (مير سيد علي) ويصل نسبه الشريف إلى (زيد الشهيد) بن الإمام زين العابدين 7.

حياته:

ولد ٢٣ رجب عام ١٣٠١ الهجرية في سامراء، ابتدأ بالدرس الحوزوي في عاشر من عمره الشريف وإلى تسعة عشر قرء الدروس السطحية من المنطق والحديث والدراية الهيئة والنجوم والفقه والأصول وبعد انتقاله إلى حوزة النجف الأشرف وأساطينهم منهم : آية الله الوحيد الآخوند الخراساني وآية الله اليزدي وآية الله الشريعة الأصفهاني والعلامة ميرزا محمد حسين مرعشي الشهرستاني (الثاني) وفي زمان قليل صار من أكابر أساتذة الحوزة وترقى إلى درجة الاجتهاد المطلق .

آثاره :

إن السيد مع كثرة اشتغاله بالأمر الاجتماعي والسياسية وتصديته لوزارة الثقافة من العراق والمجلس التمييز الجعفري ، صنف أكثر من مائة كتاب في جميع العلوم - وترجمت أكثر كتبه إلى لغات مختلفة في ذلك الزمان . ومن مصنفاته في التفسير :

المحيط ، حجة الإسلام ، تفسير سورة الواقعة ، سراج المعراج ، رسالة ذو القرنين . وفي الفقه والكلام :

الانتقاد حول صحيح الاعتقاد والمعارف العالية للمدارس الراقية،الروحيات،دين البشر ،توحيد أهل التوحيد،فيض الباري،الإمامة والأمة،مواهب المشاهدة،نظم العقائد، الفاروق في فريق الإسلام،فيض الساحل،أصفى المشارب،التنبيه على حرمة تشبيه المرأة بالمرء ، تحريم الجنائز المتغيرة،الدخانية،ياقوت النحر،خطب في الجهاد،أحكام أهل الكتاب ، حكمة الأحكام ، حرية الفكر بالاجتهاد ، الفياض، التكتف والإسبال ، دليل القضاة ، الزواج المؤقت في الإسلام ، وقاية المحصول في شرح كفاية الأصول

وفي الرياضيات والهيئة والطبيعات:

الهيئة والإسلام ، الشريعة والطبيعة، فيصل الدلائل ،مواقع النجوم ، أداء
الفرض في سكون الأرض، نقض الفرض في إثبات حركة الأرض، زينة
الكواكب،الوافي الكاف .

وفي التاريخ :

نهضة الحسين ، المصنوع في نقد اكتفاء القنوع ، تاريخ أمير المؤمنين علي
عليه السلام ، سيرة خيرة البشر ، الخيبة في الشعبية ، ثقافة الرواة ، ترجمة
جابر بن حيان الصوفي ، الرويد ، زيد الشهيد ، الشمعة في حال ذي الدمعة
، طي العوالم في أحوال مشيخة ملا كاظم صاحب الكفاية ، سلالة السادات
وذوي المعالي .

وفي العلوم الأدبية :

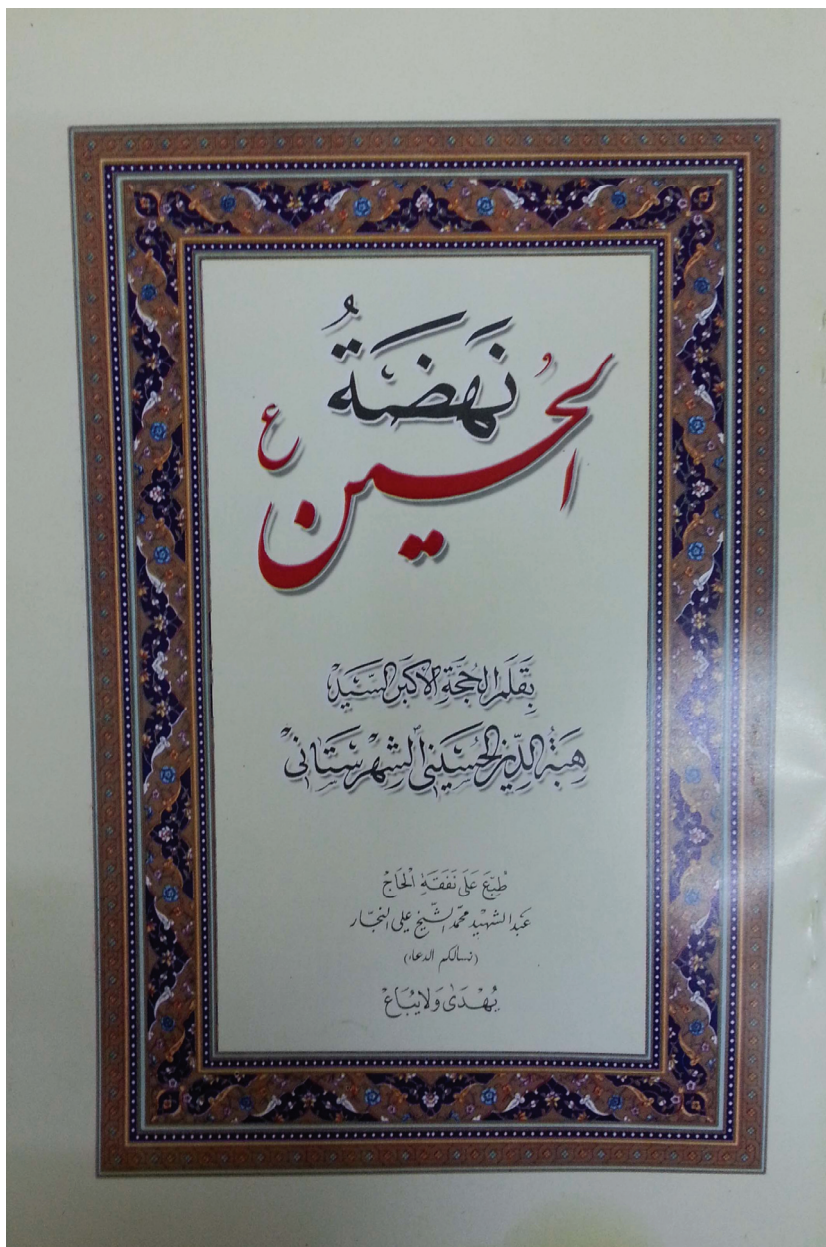
رواشح الفيوض في علم العروض ، تحول العجمة والعروبة ، مجموعة
الرسائل وهي رسالة عقد الحجاب ، الدر والمرجان السر العجيب في منطق
التهذيب ، قلادة النحو في أوزان البحور ، نتيجة المنطق ، متون الفنون ،
نادرة الأزمان .

وفي المنفرقات :

المنابر ، زيور المسلمين ، أضرار التدخين ، التذكرة لآل محمد الخيرة ،
 قضایل الفرس ، الفوائد ، أنيس الجليس ، المجاميع الاثنى عشر ، ما هو
 النهج البلاغة ، حل المشاكل ، مسيح الانجيل أو مسيح القرآن ، الباقيات
 الصالحات جوامع الكلم ، المناط في شرف الأسباط وطب الضعفاء ، فلسفة
 هبة الدين ، التمهيد في ترجمة شيخ المفيد ، مائة كلمة وغيرها من الكتب
 الثمينة والقيمة .

هذا الكتاب :

الشریف الذی أثار كثير من تقاريط العلماء في الشرق والغرب وترجمه محمد
 بهادر خان إلى اللغة الانكليزية وكذلك غيره من المستشرقين ترجموه إلى
 لغات مختلفة في أنحاء العالم وكان له دور كبير في الفات النظر إلى
 الثورات الدينية ودورها لإعادة الحق إلى صاحبه فهذا الكتاب ليس بكتاب
 تاريخي ومقتل فقط بل تحليلي فلسفي فقد حل فيه نهضة مولانا الإمام
 حسين 7 من جهات علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفتنا وبين مكانة تأثيرها
 في كل الثورات التي بعدها . (والله دره وعليه أجره) .





المقدمة الطبعة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد سقوط النظام البعثي في العراق، سعى مركز الأبحاث العقائدية . الذي أسس بمباركة ودعم سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه الوارف، وبإشراف الأخ الكريم سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد جواد الشهرستاني . إلى إعادة الروح في مكتبات العتبات المقدسة في العراق، والتي قضى عليها وأبادها النظام البعثي الجائر، فكان أولها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف، ثم مكتبة الروضة الحسينية ومكتبة الروضة العباسية في كربلاء المقدسة، إذ قام المركز بتجهيز هذه المكتبات بكلّ ما تحتاج إليه من كتب وأجهزة كومبيوتر، ومقاعد، ومناضد، وقفصات لحفظ الكتب، وسجاد وغيرها، وبعد أن انتهينا من افتتاح مكتبة الروضة العباسية في الرابع من شهر شعبان المبارك في السنة الماضية . ١٤٢٧ هـ . توجّهنا بحمد الله تعالى إلى مكتبة الجوادين³ العامة في مدينة الكاظمية المقدسة لتزويدها بالكتب وما تحتاج إليه من مستلزمات.

ولم يكتف المركز بذلك، بل ظلّ طيلة هذه الفترة يدعم هذه المكتبات بما تحتاجه وحسب الإمكانيات المتوفرة لديه.

ومن أجل دعم الحركة العلميّة في هذه المكتبات قام المركز بإحياء مجموعة من الكتب وطبعها بالتعاون مع المسؤولين فيها، منها هذا الكتاب المائل بين أيدينا، الذي جعلناه يحمل الرقم الأوّل من إصدارات مكتبة الجوادين 3 العامّة في مدينة الكاظميّة المقدّسة.

وهذه المكتبة «مكتبة الجوادين 3 العامّة» في مدينة الكاظميّة المقدّسة، التي أسّسها المرحوم المغفور له العلامة السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ (١٣٨٦ هـ)، قد مرّت بعدّة مراحل:

فكانت أولاً في منزل مؤسّسها في مدينة بغداد، وذلك قبل نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م.

ثمّ انتقلت إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة، عند انتقال مؤسّسها إلى هذه المدينة في الشهر السادس من سنة ١٩٤٠ م.

وفي الشهر التاسع من سنة ١٩٤٠ م نقلها السيّد الشهرستانيّ إلى القاعة الكبيرة الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن الكاظمي المقدّس، وذلك بعد موافقة مديرية الأوقاف التابعة لمجلس الوزراء، وموافقة رئيس الوزراء آنذاك رشيد عالي الكيلاني.

وهذه القاعة مربعة الشكل طول ضلعها سبعة أمتار، تعلوها قبة كبيرة عليها نقوش إسلامية رائعة الصنع، وكُتبت حولها سورة الدهر.

وقد اتخذ السيد الشهرستاني هذه القاعة مقراً له، إذ كان يلقي دروسه ومحاضراته فيها، ويحضرها عدد كبير من طلاب العلم والفضلاء. وفي مطلع سنة ١٩٤١م أوقف السيد الشهرستاني هذه المكتبة وفقاً عاماً، بعد أن نقل إليها كتبه الخاصة ونفائس المخطوطات التي جمعها خلال خمسين سنة من حياته العلمية المباركة، وقد أوكل إدارتها وتنظيم شؤونها وكذلك توليتها بعد وفاته إلى ولده العلامة النسابة السيد جواد. ولأهمية هذه المكتبة العلمية ومكانة مؤسسها بين أهل العلم والأدب، اقترح بعض العلماء على السيد المؤسس بإلقاء دروس منظمة فيها للاستفادة منها، فشرع بإلقاء دروس في تفسير القرآن، وقد قامت إذاعة بغداد بنقل هذه الدروس بشكل مباشر.

وخصّصت لها وزارة المعارف سنة ١٩٤٥م نصيباً من مساعداتها المالية، وكذلك خصّصت مديرية الأوقاف العامة حصة مالية لمساعدة المكتبة سنوياً.

وفي مطلع سنة ١٩٤٧م أهدى نظام حيدر آباد الدكن في الهند وملكها يومذاك ستمائة كتاب من الكتب الإسلامية المطبوعة عندهم باللغة الأوردية والهندية.

وفي سنة ٢٠٠١م، وضمن حملات الإعمار التي قامت بها وزارة الأوقاف العراقية لسور الصحن الكاظمي الشریف، فقد تمّ أيضاً بعض أعمال الترميم لهذه المكتبة.

وبعد وفاة مؤسس هذه المكتبة السيّد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م قام بإدارتها والإشراف عليها منفرداً ولده العلامة النسابة السيّد جواد، الذي عمل كلّ ما بوسعه في المحافظة عليها وتطويرها، وقد بذل الكثير من ماله الخاص في سبيل ذلك، إلى أن وافاه الأجل في الثامن من رجب سنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥/٨/١٤م، ودفن إلى جوار والده في هذه المكتبة المباركة، وكان المرحوم السيّد جواد الشهرستاني قد عهد إدارة هذه المكتبة سنة ٢٠٠٠م إلى الدكتور السيّد شادمان محمّد نظيف البرزنجي، يساعده في ذلك ولداه السيّد أياد والسيّد مصطفى الشهرستاني، والشيخ عماد الكاظمي.

هو السيّد محمّد عليّ ابن السيّد حسين العابد ابن السيّد محسن الصراف ابن السيّد مرتضى الفقيه ابن السيّد محمّد العالم ابن السيّد عليّ الكبير ابن الفقيه البصري سيف الدين منصور ابن أبي المعالي شيخ الإسلام نقيب البصرة. وينتهي نسبه إلى أبي عبد الله الحسين «ذي الدمة» ابن زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين 7. لقّب بالحسيني نسبةً إلى جدّه الإمام الحسين 7 ، وعُرف بالشهرستاني نسبةً إلى العائلة الشهرستانية المعروفة، حيث يتصل بها عن طريق الأمهات. ولد في مدينة سامراء يوم الثلاثاء، الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٠١هـ، وهو من أسرة عريقة عُرِفَت بالعلم والفضل والتقوى والصلاح، إذ كان لهذه الأسرة الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلميّة.

بدأ بتعلّم القراءة والكتابة وله من العمر خمس سنوات، وفي الثامنة من عمره

(١) اقتبسنا هذه الترجمة ممّا كتبه الأخ العزيز الشيخ عماد الكاظمي عن هذه المكتبة

من أساتذته:

والده، والشيخ علي سيوييه، والشيخ عباس الأخفش، والسيد علي الشهرستاني،
والشيخ محمد حسين محمد تقى النوري، والسيد محمد حسين الشهرستاني.
ومن تلامذته:

الشيخ جعفر النقدي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ علي الشرقي،
وغيرهم من رجال العلم والفكر.

وعُرف في مدينة النجف الأشرف بالفيلسوف؛ لتدريسه الفلسفة التي كانت لا
تُدْرَس إلاّ بشيء محدود.

وألّف عدداً كبيراً من الكتب في شتى مجالات العلوم الإسلامية، وقد أحصى
بعض المعاصرين مؤلفاته بثلاثة وخمسين مخطوطاً وأكثر من خمسة
وعشرين مطبوعاً، منها:

١٣ . نهضة الحسين 7.

١٤ . الهيئة والإسلام.

١٥ . وجوب صلاة الجمعة.

١٦ . وقاية المحصول في شرح كفاية الأصول.

إضافة لذلك كلّهُ فقد أنشأ الكثير من الجمعيات الإسلامية التي عملت على نشر الثقافة الإسلامية في أوساط الشباب، كما أصدر مجلّة (العلم) التي كان لها دور كبير في بثّ الوعي الديني في المجتمع، وأسس أيضاً هذه المكتبة العامرة التي خطّط لها أن تكون مؤسسة علمية ثقافية في الصحن الكاظمي المقدّس.

وقد شغل السيّد الشهرستاني عدّة مناصب حكومية منها: وزير المعارف سنة ١٩٢١م، قاضي قضاة الفقه الجعفري، رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري لمُدّة اثنتي عشرة سنة.

وأخيراً فقد انتقل هذا العالم الكبير إلى جوار ربّه فجر يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٨٦ هـ الموافق لليوم السادس من شهر شباط سنة ١٩٦٧م، وشيّع جثمانه الطاهر من مسجد براكا إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة ودفن في هذه المكتبة المباركة، وأقيمت له مجالس التآبين في النجف وكربلاء وبغداد وغيرها.

وهذا الكتاب

هو أحد الكتب الرائعة التي جادت بها أنامل مؤلفه المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني، تُعرّف به في عدّة نقاط:

الأولى:

بيّن فيه مؤلفه أولاً معنى الخلافة بعد النبي 9 «وأنّها النيابة عنه في الولاية على الأمة، في جميع شؤونها، إلّا الوحي، فهي أخت النبوة وشريكها في البيعة والعهد والرياسة العامة».

ثمّ شرع ببيان من هو الأولى بالخلافة بعد النبي 9، وكيف وصل يزيد بن معاوية إلى الحكم، بزعم أنّه الخليفة.

وبدأ ببيان عدم صلاحية يزيد لهذا المنصب الحساس، وأهلية الإمام الحسين 7 له، وهو صاحبه الشرعي بعد وفاة أخيه الإمام الحسن 7.

وأوضح أهمية الحركات الإصلاحية في المجتمع، وكون حركة الإمام الحسين 7 رمزاً لكلّ الحركات، وبيّن آثار هذه الحركة المباركة على العالم الإسلامي في الماضي والحاضر، وذكر عوالم نهضته 7، ومبادئ قضيته العادلة ودوافع يزيد الانتقامية من أهل البيت: ثم أخذ يشرح كيفية هجرة الإمام الحسين 7 وحركته من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، قاصداً الكوفة عاصمة أبيه، ثمّ إجباره على النزول في كربلاء المقدّسة، وما جرى له من محاورات مع أخيه محمد بن الحنفية وأبن الزبير وأبن عباس وغيرهما،

الثانية:

أهمية هذا الكتاب تتجلى بوضوح من الكلمات المُشرقة التي قالها عنه الإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، إذ قال:

كتاب نهضة الحسين⁷، الأثر الجليل الذي مازلتُ أنوّه به وأحثّ عليه منذ أن رأيته قبل برهة، لا رعاية لحقوق الصداقة والإخوة، بل عناية بحقوق الحقّ والمروءة، فإنّه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر، لا من كتب العصر. ومن الجاريات مع الأبد، لا الساريات إلى آمد. ومثل هذه الكتب هي التي تُنضج الأفكار، وتُنشط العزائم، وتبعث في مطالعها روح الهمّة للفتاني على الحقّ، والتهالك على الإباء وعزّة لنفس». .

الثالثة:

اعتمد في كتابه هذا على أمهات المصادر الرئيسية عند علماء المسلمين والتي ألفت في القرنين الثالث والرابع، منها:

«الإمامة والسياسة»، و «المعارف»، لأبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

و«تاريخ الأمم والملوك» لأبن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ).

و«العقد الفريد» لأبن عبد ربّه الأندلسي (ت قبل ٣٢٨ هـ).

و«الأخبار الطوال» للدينوري (ت ٣٢٨ هـ).

و«الكافي» للشيخ الكليني (ت ٣٢٨ هـ).

و«مقاتل الطالبين» لأبي فرج الأصفهاني الأموي (ت ٣٣٦ هـ).

و«مروج الذهب» للمسعودي (ت ٣٤٥ هـ).

الرابعة:

ذكر المؤلف سبب تأليفه لهذا الكتاب قائلاً:

«فقد حدا بي إلى تأليف كتابي هذا غفلة الجمهور عن تاريخ الحركة الحسينية وأسرارها ومزايا آثارها . وهي النواة لحركات عالميّة . حتى إنّ بعض الأغيار إذ وجد هياج العالم، وحداد الأمم، ومظاهرات العرب والعجم، اندفع قائلاً: ما هذا؟ ولماذا؟ وهل الحسين إلّا رجل خرج على خليفة عصره ثم لم ينجح؟

نعم! سنعرّفه: ما هذا؟ ولماذا؟ ومن الحسين الناهض؟ ومن المعارض؟ وماهي غايات الفريقين؟ كلّ ذلك بهذا الكتاب الذي جمع المحاكمات التاريخية إلى النظرات الاجتماعية والمرويات الموثّقة من كتب التواريخ».

الخامسة:

طبع هذا الكتاب سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م، كما هو مُثبت في آخره، إذ علّق عليه نجل المؤلّف المرحوم المغفور له العلامة النسابة السيد جواد هبة الدين الشهرستاني، وتلك الطبعة هي التي شاهدناها واعتمدنا عليها في إخراج هذه الطبعة، التي كانت الإصدار الأول باسم مكتبة الجوادين 8 العامة.

السادسة:

تاريخ تأليف الكتاب، هو الرابع والعشرون من شهر رمضان سنة ١٣٤٣ هـ، كما أثبتّه مؤلّفه في آخر مقدّمته له.

وهذا التاريخ وكذلك مقدّمته . يدلّ على أنّ مؤلّفه العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني كان من ضمن أولئك الأعلام الذين نادوا بضرورة إصلاح

وفيهما أيضاً ألّف السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١ هـ) كتابيه: «إقناع اللائم على إقامة المآتم»^(٢) و«المجالس السنّية في مناقب ومصائب العترة النبوية»^(٣) ، وفيهما نشر مقالاته في الصحف البيروتية مدافعاً عن آراء السيد مهدي القزويني الكاظمي التي نُشرت في صحيفة الأوقات البصرية. ثمّ قام السيد الأمين ببيان آرائه حول الشعائر الحسينية وضرورة إصلاحها في رسالة مستقلة سماها «التنزيه في أعمال الشبيه» أثبت فيها لزوم تنزيه مجالس العزاء ومحافلها عن الأعمال غير المشروعة، ووجوب التحرّز عن إدخال بعض

(١) الذريعة ١٥: ٦٤٦/٩٨.

(٢) الذريعة ٢: ١١١٥/٢٧٥.

(٣) الذريعة ١٩: ١٦١٠/٣٦٠.

المحرّمات في التعزية وفساد هذا الأمر الخطير.

وقد طبعت هذه الرسالة أولاً بمطبعة العرفان^(١)، ثمّ توالّت طبعتها، وتُرجمت إلى عدّة لغات^(٢)، وما إن انتشرت هذه الرسالة حتى أحدثت ثورة عارمة، ليس في الشام فحسب، بل في العالم الإسلامي عموماً، وعمّت دعوتها المسلمين في كلّ مكان، ووجد فيها الموافقون لآراء السيّد الأمين ومنهم العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني . فرصتهم للتعبير عن رأيهم ورفع أصواتهم عالياً وكأنّهم كانوا ينتظرون من يقوم بهذا الدور على مستوى عال، فجاءت هذه الرسالة لتكون لهم درعاً واقياً، لا سيّما أنّ صاحبها علم من الأعلام لا يشكّ أحد في ولائه وإخلاصه وتفانيه من أجل الدين الحنيف، ووجد فيها المخالفون لآرائه خطراً يهدّد مستقبل هذه الشعائر، فعارضوها عن طيب نفس وخلوص نيّة وهم يعتقدون أنّ واجبهم الديني يُحتّم عليهم ذلك، واستغلّوا البعض الآخر ذريعة لتمرير ألامعيبهم على الناس، واستثمار مصالحهم وحساباتهم الشخصية، فما هي ردود الفعل على هذه الرسالة؟.

(١) الذريعة ٤: ١٠٢٧/٤٥٥.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٠.

جاءت ردود الفعل على رسالة «التنزيه» من مختلف طبقات المجتمع: علماء، وفضلاء، وخطباء، وشعراء، وعامة الناس، واختلفت هذه الردود حسب مستوى الناس وثقافتهم، فمنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة لصاحب الفتوى بالهداية، وأظهر آخرون معارضتهم لها باللسان والكتابة والشعر، وتجاوز البعض الحدود فأنتهم السيد الأمين بتهمة باطلة، وتجاسر آخرون عليه وعلى مؤيديه بالسب واللعن، فأحاول في هذه الأوراق أن أبين ردود الفعل من المعارضين والمؤيدين، وعلى عدة مستويات:

رجال الدين:

عارض السيد الأمين عدد كبير من رجال الدين، وفي مقدمتهم مراجع دين، ومجتهدون، وكتاب معروفون، منهم:

١ . المرجع الديني الكبير الميرزا حسين النائيني (١٣٥٥هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز^(١).

٢ . المرجع الديني الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٣٧٣ هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز^(١).

(١) معارف الرجال ٢: ٢٨٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

وكانت لفتوى هذين المرجعين أثر كبير في نفوس الناس في العراق وخارجه، حيث استغلّها بعض المغرضين لتأليب الرأي العامّ على السيد الأمين. ٣ . المجتهد الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (١٣٦١هـ)، عارضه في النبطية بإصدار فتوى بالجواز^(٢)، إضافة لكتابته رسالة «سيماء الصلحاء».

٤ . المجتهد الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (١٣٧٧هـ)، عارضه بإصدار فتوى بالجواز^(٣).

وكانت لفتوى هذين العلمين أثر كبير في لبنان.

٥ . المجتهد والكاتب المعروف المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي (١٣٥٢هـ)، وكانت معارضته فعلية، فلم يُسمع منه أي كلام ضدّ السيد الأمين، بل كان هذا الشيخ الجليل على ضعفه وكبر سنه يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه وقد حلّ أزراره وطيّن جبهته، وكان له مجلس عزاء

(١) معارف الرجال ٢: ٢٧٢، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٢) معارف الرجال ٢: ٤١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٣) معارف الرجال ٢: ٥١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

قال معاصره المؤرخ الشيخ جعفر محبوبة (١٣٧٧هـ). «وكم له أمام المناوئين للحسين 7 من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام»^(٢). وقال الشيخ محمد هادي الأميني (١٤٢١هـ) بعد أن حكى قول الشيخ جعفر محبوبة السابق: «فحين أفتى بعض العلويين في الشام . وتبعه علوي آخر في البصرة . بحرمة الشعائر الحسينية، وزمر وطبل على هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للعزاء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزواره وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل، ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أول من أقامه هناك، وعنه أخذ حتى توسع فيه ووصل إلى حدّ اليوم»^(٣).

(١) شعراء الغري ٢ : ٤٣٦ .

(٢) ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٦٢ .

(٣) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١ : ٣٥٣ .

علماً بأنّ العلامة البلاغي كانت تربطه بالسيد محسن الأمين علاقة وطيدة وصداقة قديمة منذ أيام دراسة السيد الأمين في النجف الأشرف . وقد ذكر السيد هذه العلاقة معترّاً بهما في كتابه «أعيان الشيعة» وأشرنا إلى هذا الموضوع مفصلاً في ما كتبناه عن حياة العلامة البلاغي الذي سيطبع قريباً ضمن موسوعة مؤلفات العلامة البلاغي.

٦ . الحجّة الشيخ إبراهيم المظفر، عارضه بتأليف رسالة مستقلة في ذلك، وكذلك الأسماء الواردة بعده كلّهم عارضوا السيد الأمين بتأليف رسائل، يأتي الحديث عنها قريباً.

٧ . الحجّة الشيخ عبد المهدي الحلّي.

٨ . الحجّة الشيخ عبد المهدي المظفر.

٩ . الحجّة السيد علي نقى اللكهنوي.

١٠ . الحجّة الشيخ محمّد جواد الحجامي.

١١ . الحجّة الشيخ محمّد حسين المظفر.

١٢ . الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين.

١٣ . الحجّة السيد نور الدين شرف الدين^(١).

ومن المراجع ورجال الدين الذين أيّدوا السيد محسن الأمين في فتواه:

١ . المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الاصفهاني (ت ١٣٦٥ هـ)، أيّده باصدار فتوى التحريم^(٢).

٢ . المجتهد المجاهد الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨٢ هـ)، أيّده باصدار فتوى بالحرمة، وقد أثّرت فتواه كثيراً في أوساط الشباب^(٣).

٣ . المجتهد المجاهد السيّد هبة الدين الشهرستاني (١٣٨٦ هـ)، أصدر فتوى بالحرمة، وقد أثّرت فتواه في بعض مدن إيران^(٤).

(١) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٨٠.

(٢) أعيان الشيعة ٢ : ٣٣١، هكذا عرفتهم ١ : ٢٠٧.

(٣) هكذا عرفتهم ١ : ٢٠٩.

(٤) أعيان الشيعة ١٠ : ٢٦١، هكذا عرفتهم ١ : ٢١٢.

- ٤ . المجتهد الحجة الشيخ جعفر البديري (١٣٦٩ هـ)، أيده وسانده كثيراً^(١).
 ٥ . الحجة السيّد حسن الحسيني البعلبكي (١٣٩١ هـ)، أيده كثيراً عندما كان في النجف الأشرف، وكذلك في لبنان^(٢).

قال الأستاذ جعفر الخليلي: «ومنهم . أي الذين أيّدوا السيّد الأمين . الجريء العامل، والموالي المؤيّد بالعقيدة، السيد حسن البعلبكي، وهو صهر لأخت السيّد محسن الأمين»^(٣).

- ٦ . الحجة الشيخ عبد المهدي الحجار (ت ١٣٥٨ هـ).

- ٧ . الحجة الزاهد الشيخ علي القمي (١٣٧١ هـ) وقد أظهر تأييده علناً وفي المجالس والمحافل^(٤).

- ٨ . الحجة الشيخ محمد الكنجي، أيده بتأليف رسالة مستقلة.

(١) هكذا عرفتهم ١ : ٢٠٩ .

(٢) هكذا عرفتهم ١٠ : ٢٢٩ .

(٣) هكذا عرفتهم ٣ : ٢٣١ .

(٤) هكذا عرفتهم ١ : ٢٠٩ .

قال الأستاذ جعفر الخليلي: «وكان من أبرز دعاة التحريم . بعد طبقة العلماء الكبرى من النجفيين . الشيخ محمد الكنجي، الذي سخر قلمه ولسانه وكل نشاطه في شجب الضرب بالسيف، وقد شجعت جرأته الكثيرين على الإلتفاف حوله»^(١).

٩ . الحجة الشيخ محسن شرارة (ت ١٣٦٥ هـ) أيده بالكتابة في الصحافة. قال الأستاذ جعفر الخليلي: «أمّا البارزين من غير النجفيين . أي الذين أيّدوا السيد الأمين . فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفّ حوله من أهل بلده من العاملين جماعة»^(٢).

رسائل ألفت حول هذا الموضوع

تضمّ حوزة النجف الأشرف . التي أسّسها الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) قبل ألف عام تقريباً . علماء كبار، ومراجع دين أتقياء، وكتّاباً لامعين، يصلّون الليل بالنهار في عمل دؤوب، لا يعرفون الملل والضجر، همّهم الأول والأخير مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك عبر المحافظة على الدين الإسلامي

(١) هكذا عرفتهم ٣ : ٢٣٠ .

(٢) هكذا عرفتهم ٣ : ٢٣١ .

- ١ . رسالة «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة (عليهم السلام)» للحجة الشيخ عبد المهدي المظفر، طبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٨ هـ^(١).
- ٢ . رسالة «إقالة العائر في إقامة الشعائر» للحجة السيد علي نقي الالكهنوي، طبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٨ هـ^(٢).
- ٣ . رسالة السيد نور الدين شرف الدين، التي نشر بعضها في الصحف اللبنانية على شكل مقالات^(٣).
- ٤ . رسالة «الشعائر الحسينية»، للحجة الشيخ محمد حسين المظفر، طبعت في مطبعة النجاح ببغداد سنة ١٣٤٨ هـ^(١)..

(١) الذريعة ١: ٢٥١٠/٥١٢.

(٢) الذريعة ٢: ١٠٧٢/٢٦٣.

(٣) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٠.

- ٥ . رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للحجة الشيخ مهدي الحجار^(٢).
- ٦ . رسالة «نصرة المظلوم»، للحجة الشيخ إبراهيم المظفر^(٣).
- ٧ . رسالة «النظرة الدامعة» للحجة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي^(٤).
- ٨ . رسالة «النقد النزيه» للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي، طبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧ هـ^(٥).
- ٩ . إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه، لمحمد علي النجفي.
- ١٠ . الراية الحسينية، لمحمد علي شرف الدين^(٦).

(١) الذريعة ١٤ : ٢١٣٦/١٩١.

(٢) شعراء الغري ١٢ : ٢٠٧.

(٣) الذريعة ٢٤ : ٩٢١/١٧٨.

(٤) الذريعة ٢٤ : ١٠٣٠/١٩٦.

(٥) الذريعة ١٤ : ١٤٣٧/٢٧٩.

(٦) الذريعة ١٠ : ٨١/٩.

١١ . تاريخ المآتم الحسينية، لمحمد رضا الكتبي^(١).

١٢ . رسالة في الشعائر الحسينية، للسيد هادي الخرسان^(٢).

١٣ . المواكب الحسينية، للشيخ عبد الله المامقاني^(٣).

وأما الكتاب المؤيدون للسيد الأمين . وكانوا قلة قليلة . فقد واجهوا موجة عارمة ملتعبة من كل حذب وصوب، أدت إلى ابتعاد بعضهم عن الأنظار خوفاً من الناس. ومع ذلك كله فقد جمعوا قواهم وأوعزوا إلى أحدهم تأليف رسالة مؤيدة، للسيد الأمين، فقام الحجة الشيخ محمد الكنجي بجمع فتاوى العلماء والمجتهدين المؤيدين لما في رسالة «التنزيه»، وطبعها في رسالة مستقلة سماها «كشف التمويه عن سالة التنزيه»، طبعت في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧ هـ^(٤).

(١) معجم المطبوعات النجفية: ١١٥.

(٢) المسلسلات في الإجازات ٢: ٤١١.

(٣) معجم المؤلفين العراقيين ٢: ١٨/٣٣٤.

(٤) الذريعة ١٨: ٢٤/٤٩٢، أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

وفي الترجمة المفصلة الكاملة لحياة السيّد الأمين . التي كُتبت أكثرها بقلمه الشريف . المطبوعة في آخر موسوعته الكبيرة «أعيان الشيعة» وردت عدّة عبارات لكتاب معروفين، أيّدوا فيها آراء السيد الأمين في رسالته «التنزيه». قال الدكتور علي الوردي: «يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان: الشيخ محمّد عبده في مصر، والسيد محسن الأمين في الشام... وإنّي لا أزال أذكر تلك الضجّة التي أثّرت حول الدعوة الإصلاحية التي قام بها السيد محسن قبل ربع قرن. ولكنّه صمد لها وقاومها باسلاً، فلم يلن ولم يتردّد، وقد مات السيد أخيراً، ولكنّ ذكره لم تمت ولن تموت، وستبقى دهرًا طويلاً حتى تهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدين وجعلت منه أضحوكة للضحّاكين»^(١).

وقال الشيخ محمّد رضا الشبيبي:

«شنّ السيّد الأمين حرباً شعواء على الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي اعتبرت ديناً عند بعض الطبقات، وما هي من الدين ولا من الشرع الشريف في شيء، فهو في طبيعة المنادين في الدعوة إلى الإسلام الاجتماعي في الشرق العربيّ في غيره من الأقطار»^(٢).

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٣.

الصحف:

ولأهمية هذه القضية وحساسيتها؛ لأنها تعدّ من الشعائر والمعتقدات التي لا يمكن المساس بها عند عامة الناس، نرى أن الصحف وفي مختلف البلدان الإسلامية قد ألقت بذلّوها وأعطت رأيها فيها، والمؤيّدون للسيد الأمين لجأوا إلى الصحف أكثر من المخالفين له؛ لأنّهم القلّة القليلة، وقد سدّت الأبواب في وجوههم، ولا وسيلة للدفاع عن آرائهم؛ لذلك اتخذوا من الصحافة الحرّة ميداناً رحباً لأقلامهم، فكتبوا فيها ماكتبوا، حتى إنّ البعض منهم كتب بأسماء مستعارة كـ «حبيب بن مظاهر» و «أبي نّواس»^(١)، والذي ظهر لي من المصادر التي راجعتها أثناء كتابة هذه الأسطر أنّ عدداً ليس قليلاً من الصحف شارك في هذه المعركة الفكرية، إلّا أنّي لم أعثر إلّا على صحيفتين كان لهما الدور الرئيسي في ذلك، هما: صحيفة «ديوان ميسج» التي كانت تصدر باللغة الانجليزية في الهند، وقد كتب صاحبها محمّد علي سالمين مقالات عديدة مؤيدة للسيد الأمين، وترجم بعضها إلى العربية^(٢). وصحيفة «الهاتف» وإن كانت صدرت متأخرة عن زمان الفتوى، إلّا أن صاحبها الأستاذ جعفر الخليلي كان له دور فعّال في مناصرة السيد الأمين

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٠.

وأما المعارضون للسيد الأمين فلم يلجأوا إلى الصحف . كما قلنا . لوجود قنوات كثيرة لهم يُبينون فيها آراءهم، ومع ذلك فقد كتب أحدهم . وهو السيد نور الدين شرف الدين . مقالاً في صحيفة لبنانية يردّ فيها على السيد الأمين ورسالته «التنزيه»، فانبرى له في هذه المرة السيد الأمين وردّ عليه بمقالة مفصلة، كما انبرى للردّ عليه بمقالة مفصلة أخرى شخص آخر وقّع مقالته باسم «حبيب بن مظاهر»^(٢).

الشعراء والخطباء:

من الطبيعي جداً أن يشارك الخطباء . وبعضهم شعراء في نفس الوقت . في هذه المعركة الفكرية، فيؤيّد بعضهم السيد الأمين ويعارضه آخرون. وهو حقّ من حقوقهم، كغيرهم من العلماء والكتّاب والمتّقين الذين أيّدوا وعارضوا. لكن أن يأتي شاعر ويتعدّى الحدود المرسومة ويتجاسر على السيد الأمين ومؤيّديه وينعتهم بنعوت باطلة، ويتلاعب بعقول الناس ويحاول تمويه

(١) هكذا عرفتهم ١ : ٢٠٩ .

(٢) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٨١ .

فابصق بوجه (أمينها) المُتزنق^(٢)... يا راكباً أما مَرَرْتَ بِـ (جَلَّقِ)^(٣)

ولم يكتف بذلك فقط، بل شنّ حملة شعواء على كلّ المؤيدين والمناصرين للسيد الأمين، فأخذ ينهال عليهم بالطعن والالتهامات الباطلة، حتى وصل به الأمر إلى أن تجاسر على المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني، لأنّه أيد السيد الأمين، فشنّ عليه غارة واسعة وعنيفة بكلّ معنى

(١) انظر: البابليات ٤: ١٣٣، أدب الطف ٩: ٢٠٤ . ٢٠٥ .

(٢) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨ .

(٣) جَلَّقَ: دمشق، معجم البلدان ٢: ١٥٤ «جَلَّقَ».

قراءته أرختها (غير صالحة)^(٢) ... أبو حسن أفتى بتفسيق (صالح)
وقال أيضاً يهجوهُ:

وإمام الزمان طراً جفاه ... مُذ تَرَدَّى الشَّقِيّ بِالْغَيِّ جَهلاً

قد رمى الله صالحاً بشقاه)^(٣) ... قلت: يا من قد أرخوا (أحقيق

(١) هكذا عرفتهم ١ : ١٠٨ .

(٢) شعراء الغري ٦ : ٣٦٩ ، هكذا عرفتهم ١ : ١١١ .

(٣) شعراء الغري ٦ : ٣٦٩ .

ويقال: إِنَّ السَّيِّدَ رِضَا الهِنْدِي كَانَ مِنَ الْمَعَارِضِينَ لِلْسَّيِّدِ الْأَمِينِ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ:

يَوْمًا لِيَطْرَى النَّاسُ فِيهَا الثَّنَا ... ذَرِيَّةَ الزَّهْرَاءِ إِنْ عُدَّتْ

لَأَنَّهَا قَدْ أَسْقَطَتْ مَحْسَنًا ... فَلَا تَعْدُوا (مَحْسَنًا) مِنْهُمْ

وقيل: إِنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السَّيِّدِ مُحْسَنٌ أَبُو طَبِيخ^(١).

ووقف الشاعر الشيخ مهدي الحَجَّار (١٣٥٨ هـ) موقف المؤيِّد للسَّيِّدِ مُحْسَنِ الْأَمِينِ، فَأَنْشَأَ قَائِلًا:

إِنَّ الْحَقِيقَةَ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... يَا خُرَّ رَأْيِكَ لَا تَحْفَلْ بِمُنْتَقَدٍ

عَيْنُ أُصِيبَتْ بِدَاءِ الْجَهْلِ لَا الرَّمْدَ ... فَهَلْ عَلَى الشَّمْسِ بِأَسْ حَيْثُ لَمْ تَرَهَا
غَيْرَ الْحَقِيقَةِ إِيَّيَ وَالْعَدْلَ مِنْ صَدَدٍ ... وَمُصْلِحَ فَاهٍ بـ (الْتِزِيهِ) لَيْسَ لَهُ
مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزُّيْدِ وَالزُّيْدِ ... إِنَّا عَلَى (عَامِلٍ) نَأْسَى لِأَنَّ بَهَا

لِاقَاهُ جَدَّكَ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ حَسَدٍ^(١) ... تَأَسَّ يَا (مُحْسَنُ) فِيمَا لَقِيتَ بِمَا

(١) هكذا عرفتهم ١: ٣١.

وكتب أحد الشعراء المدافعين عن السيد الأمين، مقطوعة شعرية ردّاً على بيت الشعر الذي كان يردّده المشاركون في العزاء الحسيني، وهو:
حرّموا ندب الحسين ... لعن الله أناساً

فكتب هذا الشاعر:

قولهم كذب وهين ... أبعد الله أناساً
قد أتوه كلّ شين ... ألصقوا بالدين ممّا
وهو حبّ الدرهمين ... أظهروا للدين حبّاً
منهم دمة عين ... قطّ ما سالت عليه
يوم نصب الحكمين ... قد أعادوا عصر عمرو
تضى في الخافقين ... ولكم سبّ علي المر
وبأحد وحنين ... أسد الله ببدر

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١، شعراء الغري ١٢: ٢٠٧، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨، أدب

شبهه في الحاليتين ... بعليّ لبنيه

يزل في الزمنين ... ولعثمان قميص لم

أثراً من بعد عين ... أنا لا أطلب فيهم

فيه يزيد والحسين^(١)... كلّ عصر في الوري

هذا ما عرفته عمّا دار في حلبة الشعر حول هذا الموضوع، ولعلّ المستقبل
يطلعنا على أكثر من ذلك.

عامّة الناس

لم يكن الناس، سواء في العراق أو لبنان أو غيرهما من البلدان الإسلامية،
بعيدين عن هذه المعركة الفكرية القائمة آنذاك، ومن طبيعة عوامّ الناس أن
تحركهم العاطفة، خصوصاً إذا كان المتحدّثون أو القائمون على عمل معيّن
من الذين يُجيدون التلاعب بعقول البسطاء، فكيف إذا كانت القضية تتعلّق
بالشعائر الدينيّة؟! فمن الطبيعي أن يُشارك الناس فيها مشاركة فعّالة، ومن
المتسالم عليه أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما؛ لأنّ كلّ حركة

(١) ثورة التنزيه: ٥١.

«لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام . حيث تمّ طبعا . إلى العراق حتى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا تُوصف من الهجاء والذم والشتم المقذع. وخاف الذين آمنوا بقدسية هذه الرسالة وصحة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يُعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص

فالشيخ إبراهيم المظفر قال في رسالته: «نصرة المظلوم»: «فعلت من أين جاءت هذه البلية التي تقضي . إن تمت . على حياة الشيعة، وتيقنت إن كيد المموهين والمنافقين وخاصة أفراد «الجمعية الأموية» ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلا على السدج والبسطاء»^(٢)، وقال المتنبع الكبير الشيخ الطهراني (١٣٨٩هـ) عند ذكره لهذه الرسالة «نصرة المظلوم»: «كتبها جواباً على بعض المتجددين المتسنّين»^(٣)، وقال أيضاً عند ذكره لرسالة «النظرة الدامعة» التي ألفها الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي ردّاً على السيّد الأمين: «كتبه ردّاً على بعض المتسنّين المتجدّدين»^(٤)، والأغرب من ذلك

(١) هكذا عرفتهم ١: ١٢٢.

(٢) نصرة المظلوم: ٣.

(٣) الذريعة ٢٤: ١٧٨/٩٢١.

(٤) الذريعة: ٢٤/١٩٦/١٠٣٠.

وأخيراً نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في خدمة العلم وأهله، وخدمة المكتبات الواقعة في العتبات المقدسة في العراق، اللهم اجعلها في ميزان أعمالنا، وارزقنا شفاعة أهل البيت:، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

الناشر محمد الحسون/مدير المركز العقائدي . قم المقدسة

٧ ذو القعدة ١٤٢٧ هـ